



14.5.2021

بدر شاكر السيّاب

الأعمال الشعرية الكاملة

تقديم
أدونيس

تحقيق
علي محمود خضير

الجزء الثاني

منشورات تكوين | نبوءات
TAKWEEN PUBLISHING



بدر شاكر السياب الأعمال الشعرية الكاملة

الجزء الثاني

تحقيق
علي محمود خضير

تقديم
أدونيس

منشورات تكوين | نبوءات
TAKWEEN PUBLISHING



بدر شاكر السياب
الأعمال الشعرية الكاملة

بدر شاكر السياب
الأعمال الشعرية الكاملة

تحقيق: علي محمود خضير
تقديم: أدونيس

Complete Poet Works For Bader Shakir Al-Sayyab

By Bader Shakir Al-Sayyab

الطبعة الأولى: ديسمبر - كانون الأول، 2020 (2000 نسخة)

Copyrights@Dar Al-Rafidain&Takween2020

All Rights Reserved / جميع حقوق الطبع محفوظة / (C)

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافة نابضة بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخة أصلية من هذا الكتاب ولا احترامك لحقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أي من أجزائه بأي شكل من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتاب والمترجمين وتسمع للمرافدين أن تستمر برفد جميع القراء بالكتب.



منشورات تكوين للنشر والتوزيع
الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: +96598810440
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: +9647811005860
الموقع الإلكتروني:
www.takween.com
البريد الإلكتروني:
Publishing@takween.com



لبنان - بيروت / الحمرا
تلفون: +961 1 345683 / +961 1 541980
بغداد - العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي
تلفون: +9647811005860 / +9647714440520
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar.alrafidain
@daralrafidain

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978- 9922 - 634 - 82 - 1

الفهرس

11	مَنْزِلُ الْأَقْتَانِ (1963)
13	إشارة
14	رَحَلَ النَّهَارُ
18	هَدِيرُ الْبَحْرِ وَالْأَشْوَاقِ
20	نداء الموت
22	ربيعُ الجزائر
26	خُذْنِي
30	حامل الخرز الملون
32	سفر أَيْوَبَ
56	منزل الأقتان (في جيكور)
60	وصية من محتضر
62	الشاهدة
65	أسمعه يبكي
67	دَرَمَ
70	قصيدة من درم
72	قالوا لأَيْوَبَ
75	الليلة الأخيرة
78	القصيدة والعنقاء
81	هرم المغتني
83	قصيدة إلى العراق النائر
87	شناشيل ابنة الجلبي وإقبال (1965)
89	إشارة
90	شناشيل ابنة الجلبي

94	إرم ذات العماد
99	في الليل
101	في انتظار رسالة
104	البابُ تقرعهُ الرياح
106	من ليالي السهاد
117	خلا البيت
120	جيكور وأشجار المدينة
123	ها.. ها.. هُوهُ
126	أحبِّيني..!
130	يقولون تحيا...
133	وغداً سألقاها
135	ليلة وداع
138	أغنية بنات الجن
141	جيكورُ أُمِّي
144	يا غربة الروح
148	أم كلثوم والذكرى
150	كيف لم أحبيك؟
152	أسير القراصنة
155	نسيم من القبر
158	في المستشفى
160	سلوى
164	متى نلتقي؟
167	أقل من بشر
169	القن والمجرة
172	عكاز في الجحيم
175	لوي مكنيس
179	حميد
182	المعول الحجري
185	في غابة الظلام

188	رسالة
191	ليلة انتظار
193	نفسٌ وقبر
196	إقبال والليل
199	ليلى
203	قيثارةُ الريح (1971)
205	إشارة
207	ذبول أزاهر الدفلى
209	جدول جف ماؤه
212	العش المهجور
215	ثورةُ الأهله
217	أصيل شط العرب
219	أراها غداً
221	يا نهر
224	مجرى نضير الضفتين
227	لامس شعرها شعري
229	صائدة
232	ثورةُ على حواء
236	بين الرضا والغضب
239	بين الروح والجسد (قصة شاعرين)
240	شاعر الروح (1)
242	شاعر الشهوة (2)
244	المحبوبة (3)
245	لقاء بين الشاعرين (4)
246	حديث (5)
256	جاءت
257	اللّعنات/ إلى النار (1)
259	اللّعنات/ ضحكة الشيطان (2)
265	اللّعنات/ غصبة إبليس (3)

275	اللغات/ على شيرين (4)
285	أعاصير (1972)
287	إشارة
289	عربد الثأر فاهتفي يا ضحايا
291	حطمت قيداً من قيود
295	في يوم فلسطين
297	أعاصير
299	رثاء فلاح
301	دجلة الغضبي
304	مأساة الميناء
307	صحيفة الأحرار
310	غادة الريف
315	إلى حسناء الكوخ
325	البواكير (1974)
327	إشارة
328	على الراية
329	سراج
330	رثاء جدتي
332	على الشاطئ
334	شهداء الحرية
336	اذكريني
337	إليك شكاتي
338	يوم السفر
340	ذكريات الريف
343	همسك ألهاني
344	أغنية السلوان
346	الذكرى
348	تنهّدات
350	تحية القرية

352	يا ليلُ
353	خيالك
355	أغنية الراعي
358	المساء الأخير
359	شاعر
360	أغرودة
361	المنديل الأصفر
362	الوردة المشورة
364	السجين
365	عودة الديوان
367	مقطع بلا عنوان
368	رثاء القطيع
370	حورية النهر
373	من أغاني الربيع
374	شعاع الذكرى
376	ضلال الحب
379	الهدايا (1974)
381	يا أبا الأحرار
382	وحي النيروز
384	قاتل أخته
388	الهدية...
390	يوم ارتوى الشاعر
392	ليلة القدر
394	مولد المختار
397	ثورة 14 رمضان
399	حب وشاعر
400	خطاب والهة
401	فجر السلام (1974)
403	إشارة

404	فجر السَّلام
415	قصائد جديدة مجهولة (1978 - 2020)
417	إشارة
421	نبوءة حزينة
424	عودة من الموت
426	أغنية إنسان متحضر
429	قصيدة بلا عنوان
432	قميصُ الردى
438	غداً يحضنك الفجرُ (قصيدة مشتركة) بدر شاكر السَّيَّاب / صالح فاضل الخصيبي
440	سؤال
442	موعد
445	ملحق (1) قصائد لم تُنشر في دواوين الشاعر
447	عادهُ الشَّوق
448	الخريف
450	مريضة
451	الشتاء
452	في الغروب
454	الشَّعرُ والحبُّ والطبيعة
456	قصةُ خصام
458	أُمُّ سجين في نُقرة السلمان
460	العودة
465	ملحق (2) مقدّمات
467	مقدّمة ديوان «أزهار ذابلة»
470	مقدّمة ديوان «أساطير»
474	مقدّمة «فجر السَّلام»
477	الشاعر الحديث
481	ملحق (3) قصائد بخط الشاعر
497	ملحق (4) صور ووثائق

مَنْزِلُ الْأَقْنَانِ
(1963)

إشارة

هذا الديوان نسخة طبق الأصل من الطبعة الأولى لديوان «منزل الأقنان» الصادر عن دار العلم للملايين، بيروت آذار (1963)، مع ضبط النصوص ومطابقة مع المتاح من أصول القصائد وما نشر منه في الصحف والمجلات، فضلاً عن طبعات الدور الأخرى، وقد أُجريتُ تثبيتاً لبعض الملاحظات التحريرية والاختلافات الجديرة بالتوثيق يجدها القارئ في هوامش مرفقة مع كل حالة.

المحقق

رَحَلَ النَّهَارُ

رحلَ النَّهَارُ.

ها إنه انطفأت ذبائله على أفقٍ توهج دون نار
وجلستِ تنتظرين عودة سندباد من السفار
والبحرُ يصرخُ من ورائك بالعواصف والرعود.
هو لن يعود،

أو ما علمتِ بأنه أسرته آلهة البحار
في قلعة سوداء في جزيرٍ من الدّم والمحار.
هو لن يعود،

رحل النَّهَارُ

فلترحلي، هو لن يعود.

الأفقُ غابات من السحب الثقيلة والرعود،
الموتُ من أثمارهنّ وبعض أرمدة النَّهار
الموتُ من أمطارهنّ وبعض أرمدة النَّهار

الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهار

رحل النهار

رحل النهار.

وكأنّ معصمكِ اليسار

وكأنّ ساعدكِ اليسار، وراء ساعته، فنار

في شاطئٍ للموت يحلم بالسفين على انتظار.

رحل النهار

هيهات أن يقف الزّمان، تمر حتّى باللحود

خطى الزّمان وبالحجار.

رحل النهار ولن يعود.

الأفق غابات من السّحب الثّقيلة والرعود

الموتُ من أثمارهنّ وبعض أرمدة النهار

الموتُ من أمطارهنّ وبعض أرمدة النهار

الخوف من ألوانهنّ وبعض أرمدة النهار

رحل النهار

رحل النهار.

خصلات شعرك لم يَصْنُها سندبادُ من الدمار،

شربت أجاج الماء حتّى شاب أشقرها وغار
 ورسائل الحب الكثار
 مبتلّة بالماء منطمسٌ بها ألّق الوعود
 وجلستِ تنتظرين هائمة الخواطر في دوار:
 «سيعود. لا. غرق السفين من المحيط إلى القرار
 سيعود. لا. حجزته صارخة العواصف في إसार
 يا سندباد، أمّا تعود؟
 كاد الشباب يزول، تنطفئ الزنابق في الخدود
 فمتى تعود؟
 أواه، مدّ يدك بين القلب عالمه الجديد
 بهما ويخطم عالم الدم والأظافر والسعار،
 يبني ولو لهنيهة دنياه.
 آه متى تعود؟

أترى ستعرف ما سيعرف، كلّما انطفأ النهار،
 صمتُ الأصابع من بروق الغيب في ظلم الوجود؟
 دعني لأخذ قبضتيك، كماء ثلج في انهمار
 من حيثما وجّهت طرفي... ماء ثلج في انهمار

في راحتيّ يسيل، في قلبي يصبّ إلى القرار.
يا طالما بهما حلمتُ كزهرتين على غدير.
تفتّحان على متاهة عزلتي».
رحلَ النهار

والبحر متّسع وخاوٍ. لا غناء سوى الهدير
وما يبين سوى شراعٍ رنّحته العاصفات، وما يطير
إلاّ فؤادك فوق سطح الماء يخفق في انتظار.
رحل النهار
فلترحلي، رحل النهار.

بيروت 1962/6/27

هَدِيرُ الْبَحْرِ وَالْأَشْوَاقِ

هدير البحر يفتلُ من دمائي، من شراييني
 حبال سفينة بيضاء ينعسُ فوقها القمرُ
 ويُعرش ظلّها السحرُ.
 ومن شبّاكي المفتوح تهمس بي وتأتيني
 سماء الصيف خلف طيفه في صحوها المطرُ.
 ونحن نسير، والدنيا تسير وتقرع الأبواب
 فتوقظ من رؤاه القلب: ذاك عدوك الزمنُ
 تدور رحاه... كم ستظلّ تخفق؟ ها هم الأصحاب
 ترابٌ منه تمتلئ الدروب وتشرب الدمنُ!
 يودُّ القلبُ لو حطّمتِه، لو حطّمتْ خفقاته شفيتك
 والكتفين والصدر،
 ولو ذرّتك من زفراتي الحرّى
 رياحُ الوجدِ والحرمان. والهفي على عينيك
 ليتهما تمرّان

بدمع أو ياشفاقٍ على صحراء حرماني
 لينبت في مداها الزهر. ليتها تمرّان،
 بما نسج التأمل من غيومٍ فيهما حيرى
 بما نسج التفرد من نجومٍ فيهما سكرى،
 على عمري الذي عرّاه من زهراته الداء.
 يود القلب لو حطّمته لو حطّمت خفقاته شفتيك
 والكتفين والصدرا

ولو عرّاك، لو ذراك، لو أكلتك أشواقي
 ولو أصبحت خفقا أو دماء فيه أو سراً
 فإنّ أحبتك الحب الذي أقسى من الموت
 وأعنف من لظى البركان والحب الذي يأتي
 إليّ كأنّ نفخ الصور فيه، فكل ذرّ الميتين دمّ وأحياء
 فذاك لأنك النور الذي عرّى دجى الأعمى
 وأنت صباي عاد إليّ، أختاً عاد أو أمّا.
 وأنت حبيتي، أفديك، أفدي خفق جفنيك
 وما نفضا من السحب
 وأفدي خفق نهديك
 على قلبي!

نداء الموت

يمدّون أعناقهم من ألوف القبور يصيحون بي:

أن تعال

نداء يشقُّ العروق، يهزّ المشاش، يبعثر قلبي رمادا

«أصيل هنا مُشعل في الظلال

تعال اشتعل فيه حتّى الزوال».

جدودي وآبائي الأولون سراب على حدّ جفني تهادى.

وبي جذوة من حريق الحياة تريد المحال.

وغيلان يدعو «أبي سرّ، فإني على الدرب ماشٍ أريدُ

الصباح».

وتدعو من القبر أمّي «بني احتضني فبرّد الردى في عروقي

فدَفَّ عظامي بما قد كسوت ذراعيك والصدر، وأحمِ

الجراح

جراحي بقلبك أو مقلتيك ولا تحرفنّ الخطى عن طريقي»

ولا شيء إلّا إلى الموت يدعو ويصرخ، فيما يزول،

خريف، شتاء، أصيّل، أفول.
وباقٍ هو الليلُ بعد انطفاء البروقِ
وباقٍ هو الموت، أبقى وأخلد من كلّ ما في الحياه.
فيا قبرها افتح ذراعيك...
إني لآتٍ بلا ضجّة، دون آه!

بيروت 1962/5/3

ربيعُ الجزائر

سلاماً ببلاد اللظى والخراب
 ومأوى اليتامى وأرض القبور،
 أتى الغيث وانحلّ عقد السحاب
 فروّى ثرىً جائعاً للبذور.
 وذاب الجناح الحديد
 على حمرة الفجر تغسل في كلّ ركن بقايا شهيد
 وتبحث عن ظامئات الجذور.
 وما عاد صبحك ناراً تُقعقع غضبي وتزرع ليلاً
 وأشلاء قتلى
 وتنثف قابيل في كلّ نارٍ يسفّ الصديد
 وأصبحت في هدأةٍ تسمعين نافورةً من هتاف
 لديك يبشّر أن الدجى قد تولى
 وأصبحت تستقبلين الصباح المطلاً
 بتكبيرٍ من ألوف المآذن كانت تخاف

فتأوي إلى عاريات الجبالِ
تبرقع أصداءها بالرمالِ.

بماذا ستستقبلين الربيع؟
ببقيا من الأعظم البالية
لها شعلة رشت الدالية،
تغير العناقيد لونَ النجيع.
وفي جانبي كلّ درب حزين
عيون تحدّق، تحت الثرى
تحدّق في عورة العاجزين.
لو تستطيع الكلام
لصبّت على الظالمين
حميمًا من اللعنات، من العار، من كلّ غيظ دفين
ربيعك يمضغ قَبْحَ السلام.

بيوتك تبقى طوال المساء
مفتحةً فيك أبوابها
لعل المجاهد بعد انطفاء اللهب وبعد النوى والعناء

يعود إلى الدار يدفن تحت الغطاء
 جراحاً، يفرّ إليه الصغار ترفرف أثوابها
 يصيحون «بابا» فيقتر قلب السماء
 - «وماذا حملت لنا من هديّة؟»
 - «غداً ضاحكاً أطلعتّه الدماء».
 وكم دائرة في أقاصي الدروب القصيّة
 مفتحة الباب، تقرعه الريح في آخر الليل قرعا
 فتخرج أمّ الصغار
 ومصباحها في يد أرعش الوجد منها،
 برود الدجى، ما أنار
 سوى الدرب قفر المدى، وهي تصغي وترهف سمعا
 وما تحمل الريح إلّا نباح الكلاب البعيد،
 فتخفت مصباحها من جديد

«ولمّا استرحنا بكيننا الرفاق»!
 هماس لأنيس⁽¹⁾ عبر القرون
 وها أنتِ تدمع فيك العيون

(1) بطل «إنيادة» فرجيل. (ش)

وتبكين قتلاك.

نامت وغيّ فاستفاق

بكِ الحزنُ: عاد اليتامى يتامى،

ردى عاد ما ظنّ يوماً فراق.

سلاماً بلاد الشكالى، بلاد الأيامى

سلاماً

سلاماً...

بيروت 1962/6/7

خذيّني

خذيّني أطرّ في أعالي السماء،
 صدى غنوة، كركات، سحابة!
 خذيّني، فإنّ صخورَ الكآبة
 تشدُّ بروحي إلى قاع بحرٍ بعيد القرارِ
 خذيّني أكنّ في دجلك الضياء،
 ولا تتركيّني لليل القفار!

إذا شئت ألا تكوني لناري
 وقودًا، فكوني حريقًا!
 إذا شئت أن تخلصي من إساري،
 فلا تتركيّني طليقًا!
 خذيّني إلى صدرك المثلّ
 بهمّ السنين
 خذيّني فإنّي حزين،

ولا تتركيني على الدرب وحدي أسير إلى المجهلِ

وكانت دروبي خيوطاً اشتياق

ووجدٍ وحبٍّ

إلى منزلٍ في العراق

تضيء نوافذه ليلَ قلبي،

إلى زوجةٍ كان فيها هنائي

وكانت سمائي

كواكبها ترسم الدرب، دربي

وهبتَ عليها رياح سموم

تبعر خيطان تلك الدروب البعيدة،

فعادت جَدَى كُلِّ تلك النجوم،

ضُلبتُ عليها وعادت مسامير نعشٍ،

وعادت دروبي درباً، إذا جئت أمشي

رمانِي إليك، كوزنٍ يقود القصيدة

فوالهفَ قلبي عليك!

ودرب رمانِي إليك!

أشـم رداءكُ حتـى كـأنـي
سـجـينٌ يـعـود إلـى داره يـتـشـق جـدرانها؛
هنا صـدرُها، قـلبـها كان يـخـفـق، كان التـمـني
يـدغـدغه، يُشـعـل الشـوق فـيـه إلـى غـيمـةٍ رائـحةٍ
لأرض الحـبـيب، سـتـنـضـح أركانها
بـذوب نداها
تـشـهـيـتُكِ البـارحةِ
فـقـبـلت رـدن الرـداء؛ هنا سـاعـداها،
هنا إـبطـها، يا لكـهـف الخـيال!
ومرفأ تُغري إذا جـرـفـته رـياح ابتـهـال
ودحـرجـه مـدُّ شـوقٍ مُلـحٍّ، وقـد حـار فـيـه السـؤال:
«تـحـبـبـنـي أنـتِ؟ هل تـخـجـلـين؟
أم اسـتـنزـفت شـوقك الكـبـرياء،
فـلم يبقَ إلـا ابتـسـام الرثاء؟
أترثـين لي، أم تُرى تُشـفـقـين
عـلى قـلبـك انـهـدَّ تـحـت الصـليب المـعـلَّق في صـخـرة الكـبـرياء؟»

نباح الكلاب المبعثر في وشوشات النخيل

يَنْبَهُ فِي قَلْبِي الذِّكْرِيَّاتِ الْعَتَاقَ،
وَيَرْبِطُ دَقَاتِ قَلْبِي بِأَرْضِ الْعِرَاقِ،
لَأَسْمَعَ: «بَابَا»؛ فَيُطْفَأُ حَبِّي وَتَبْرَدُ نَارُ الْغَلِيلِ،
وَأَعْدُو عَلَى الدَّرْبِ سَدَّتْ خَطَايَ عَلَيْهِ
نَوَافِذُ بَيْتِي تَجَمَّدَ فِيهَا الضِّيَاءُ،
تَغَرَّبْتُ عَنْهُ وَعَدْتُ إِلَيْهِ.

بيروت 1962/7/3

حاملُ الخرزِ الملوّن (1)

ماذا حملت لها سوى الخرزِ الملوّن والضَّباب؟
 ما خضتَ في ظلمات بحر أو فتحت كوى الصخور
 والريح ما خطفت قلوْعك، والسحاب
 ما بلَّ ثوبَكَ! ما حملتَ لها سوى الدم والعذاب!
 في سجنها هي، خلف سور،
 في سجنها هي، وهو من أَلَمٍ وفقر واغتراب
 عشر من السنوات مرّت وهي تجلس في ارتقاب،
 أطفالها المتوثّبون مع الصباح
 صمتوا وكفُّوا عن مراح،
 زجرتهم لُتَحَسَّ وقع خطاك، برعمت الزهور
 وأتى الربيع وما أتيت، وجاء صيفٌ ثم راح
 ماذا يُعيقك في سوا حلّ نائياتٍ؟ في قصور

(1) الخرز الملوّن: هو عقود الزينة التي كان يحضرها السياب من أسفاره كهدايا لزوجته، كما أخبرني السيد غيلان، نجل الشاعر. (م)

قفر يعيش الغول فيها، كلما رَمَتِ الرياح
 بحطام صارية تحفّز؟ ما يُعيقك عن رجوع؟
 لم تَبَقْ للغد من دموع
 في مقلتيها، لا ولم يَبَقْ ابتسامٌ للقاء
 ستعودُ - حين تعودُ - بالخرز الملون والهباء،
 ستضم منها طيف أمس، فلا يُجيبك في الضلوع
 منها سوى دمك المفجّع والخواء.

بيروت 1962/5/9

سفر أيّوب

(1)

لَكَ الْحَمْدُ مَهْمَا اسْتَطَالَ الْبَلَاءُ
 وَمَهْمَا اسْتَبَدَّ الْأَلَمُ،
 لَكَ الْحَمْدُ، إِنَّ الرِّزَايَا عَطَاءُ
 وَإِنْ الْمَصِيبَاتُ بَعْضُ الْكَرَمِ.
 أَلَمْ تُعْطِنِي أَنْتَ هَذَا الظَّلَامُ
 وَأَعْطَيْتَنِي أَنْتَ هَذَا السَّحَرُ؟
 فَهَلْ تَشْكُرُ الْأَرْضُ قَطَرَ الْمَطَرِ
 وَتَغْضَبُ إِنْ لَمْ يَجِدْهَا الْغَمَامُ؟
 شَهْوَرٌ طَوَالَ وَهَذَا الْجِرَاحُ
 تَمَزَّقُ جَنْبِي مِثْلَ الْمُدَى
 وَلَا يَهْدَأُ الدَّاءُ عِنْدَ الصَّبَاحِ
 وَلَا يَمْسَحُ اللَّيْلُ أَوْجَاعَهُ بِالرَّدَى.

ولكنَّ أَيُّوبَ إنَّ صَاحَ صَاحِ:
«لَكَ الْحَمْدُ، إنَّ الرِّزَايَا نَدَى،
وإنَّ الْجِرَاحَ هَدَايَا الْحَبِيبِ
أَضْمُ إِلَى الصَّدْرِ بِأَقَاتِهَا،
هَدَايَاكَ فِي خَافِقِي لَا تَغِيبُ،
هَدَايَاكَ مَقْبُولَةٌ. هَاتِهَا!»
أَشَدَّ جِرَاحِي وَأَهْتَفُ بِالْعَائِدِينَ:
«أَلَا فَانْظُرُوا وَاحْسَدُونِي، فَهَذِي هَدَايَا حَبِيبِي.
وإنَّ مَسَّتِ النَّارُ حُرَّ الْجَبِينِ
تَوَهَّمْتُهَا قُبْلَةً مِنْكَ مَجْبُولَةٌ مِنْ لَهِيْبِ.
جَمِيلٌ هُوَ الشُّهُدُ أَرعى سَمَاكَ
بِعَيْنِي حَتَّى تَغِيبَ النُّجُومُ
وَيَلْمَسَ شَبَاكَ دَارِي سَنَاكَ.
جَمِيلٌ هُوَ اللَّيْلُ: أَصْدَاءُ بَوْمِ
وَأَبْوَأُ سَيَارَةٍ مِنْ بَعِيدِ
وَأَهَاتُ مَرْضَى، وَأُمُّ تُعِيدُ
أَسَاطِيرَ آبَائِهَا لِلْوَلِيدِ.
وِغَابَاتُ لَيْلِ الشُّهَادِ، الْغَيُومِ

تحجَّبُ وَجْهَ السماء
وتجلوه تحت القمر.
وإن صاح أَيْوبُ كان النداء:
«لك الحمد يا رامياً بالقَدَرُ
ويا كاتباً، بَعْدَ ذاك، الشُّفاء!»

لندن 1962/12/26

(2)

مِنْ خَلَلِ الثَّلَجِ الَّذِي تَشْتُهُ السَّمَاءُ
 أَلْمَحُ عَيْنِيكَ تَشْعَانِ بِلاَ انْتِهَاءِ
 شِعَاعَ كَوْكَبٍ يَغِيبُ سَاعَةَ السَّحَرِ
 وَتَقْطُرَانِ الدَّمَاعَ فِي سَكُونٍ
 كَأَنَّ أَهْدَابَهُمَا عُصُونُ
 تَنْطِفُ بِالْنَدَى مَعَ الصَّبَاحِ فِي شِتَاءِ.

مِنْ خَلَلِ الدُّخَانِ وَالْمَدَاخِنِ الضَّخَامِ
 تَمَجُّ مِنْ مَغَارٍ قَابِلٍ عَلَى الدَّرُوبِ وَالشَّجَرِ
 ذَرًّا مِنَ النَجِيعِ وَالضَّرَامِ
 أَسْمَعُ غِيلَانَ يُنَادِيكَ مِنَ الظَّلَامِ
 مِنْ نَوْمِهِ الْيَتِيمِ فِي خَرَائِبِ الضَّجْرِ.
 سَمِعْتَ كَيْفَ دَقَّ بَابُنَا الْقَدَرُ؟

فارتعشت على ارتجافِ قرعِهِ ضلوعٌ؟

ورقرقت دموعٌ؟

فاختلسَ المسافرُ الوداعَ وانحدر؟

وقبله بين فمي وخافقي تحار

كأنها التائه في القفار

كأنها الطائرُ إذ خربَ عشهُ الرياحُ والمطرُ،

لم يحوها خدٌ لغيلانَ ولا جبينُ

ووجهُ غيلانَ الذي غابَ عن المطار!!

وأنتِ إذ وقفتِ في المدى تُلوحين!!

إقبال... إنَّ في دمي لوجهكِ انتظار،

وفي يدي دمٌ، إليك شدَّةُ الحنين،

ليتكِ تُقبلين

من خَلَلِ الثلجِ الذي تنثُّ السماء،

من خَلَلِ الضبابِ والمَطَرِ!

(3)

بعيداً عنك، في جيکور، عن بيتي وأطفالي
تشدُّ مخالِبُ الصَّوَانِ والأُسْفَلَتِ والضَّجَرِ
على قلبي، تُمزَّق ما تبقى فيه من وترٍ
يَدْنَدُنُ: «يا سكونَ الليل، يا أنشودةَ المطرِ»،
تشدُّ مخالِبُ المالِ

على بطني الَّذي ما مرَّ فيه الزَّادُ من دَهَرٍ.
عيون الجوع والوحدهُ

نجومِي في دجَى صارعتُ بين وحوشه بَرْدَه،
وإن البرد أفضعُ، لا... كأنَّ الجوعَ أفضعُ، لا.. فإنَّ الداءَ
يشلُّ خطاي، يربطُها إلى دوَّامةِ القَدَرِ.

ولولا الداء صارعتُ الطوى والبرد والظلماء.

بعيداً عنك أشعرُ أنني قد ضعتُ في الزحمة
وبين نواجد الفولاذ تمضغ أضلعي لُقمه.

يمرُّ بي الورى متراكضين كأنَّ على سَفَرٍ،

فهل أستوقف الخطواتِ؟ أصرخُ: «أيُّها الإنسان

أخي، يا أنتَ، يا قابيل... خُذْ بيدي على الغمَّة!
 أعني، خَفَّفِ الآلامَ عني واطرد الأحزان؟
 وأين سواكِ من أدعوه بين مقابر الحَجَرِ؟

ولولا الداء ما فارقتُ دار، يا سنا داري
 وأحلى ما لقيتُ على خريف العُمر من ثَمَرٍ.
 هنا لا طيرَ في الأغصانِ تشدو غيرَ أطيَّارِ
 من الفولاذِ تهدرُ أو تُحمِجُ دونما خوفٍ من المطرِ
 ولا أزهارَ إلا خَلَفَ واجهةَ زجاجيَّة
 يُراح إلى المقابر والسجون بهنَّ والمستشفيات.
 ألا... ألا يا بائعَ الزهرِ

أعندك زهرةٌ حيَّة؟
 أعندك زهرةٌ ممَّا يرِيّ القلبُ من حُبٍّ وأهواء؟
 أعندك وردةٌ حمراء سَقَتْها شمسٌ استوائيه؟

أأصرخُ في شوارع لندن الصَّماء: «هاتوا لي أحباي؟»
 ولو أني صرختُ فمن يُجيب صراخَ متجِرٍ
 تمرّ عليه طولَ الليلِ آلافٌ من القطرِ؟

(4)

يا ربُّ أَيُّوبُ قد أَعْيَا به الداءُ
 في غَرَبَةٍ دونما مالٍ ولا سَكَنٍ.
 يدعوك في الدُّجَنِ
 يدعوك في ظِلَمَاتِ الموت: أعباءُ
 ناءِ الفُرَادِ بها، فارحمه إن هتفا.
 يا منجياً فُلُكَ نوحٍ مَزَّقِ السُّدُفَا
 عني. أعدني إلى داري، إلى وطني!

أطفالُ أَيُّوبَ من يرعاهم الآنا؟
 ضاعوا ضياعَ اليتامى في دجَى شاتٍ.
 يا ربُّ أرجعْ على أَيُّوبَ ما كانا:
 جيكَورَ والشمسَ والأطفالَ راکِضَةً بين النُّخَيْلاتِ
 وزوجَه تَمَرِّى وهي تبتسمُ

أو ترقبُ الباب، تعدو كلما قرعاً:

لعله رجعا

مشاءة دون عكاز به القدم!

في لندنَ الليلُ موتٌ نزعهُ السَّهرُ

والبردُ والضَّجْرُ

وغربةٌ في سواد القلب سوداءُ.

يا ربَّ يا ليت آتني لي إلى وطني

عوذٌ لتلثمني بالشمس أجواء

منها تنفستُ روحي: طينها بدني

وماؤها الدمُ في الأعراق ينحدِرُ.

يا ليتني بينَ مَنْ في تُربها قُبروا.

لأنَّه منك، حلّوْ عندِي المرَضُ،

حاشا، فلستُ على ما شئتُ أعرَضُ.

والمال؟ رزقٌ سيأتي منك موفورُ،

هيهات أن يذكر الموتى وقد نهضوا

من رقدة الموت كم مصّ الدماء بها دودٌ ومدّ بساطَ

الثلج دَيْجُورُ!

إني سأشفي، سأنسى كلَّ ما جَرَحَا
قلبي، وعَرَّى عظامي فهي راعِشَةٌ، والليلُ مَقْرُورُ.
وسوف أمشي إلى جَيْكُورَ ذَاتِ ضُحَى!

لندن 1962/12/29

(5)

نازلاً نازلاً من صحارى السماء،
 من عصور جليديّة، من قبور
 نام فيها الهواء.
 أيّها الثلج، يا حشرات الدهور
 وانتحاب المساكين في كلّ كهفٍ يغور
 في جبال السنين،
 كن لهيباً على أوجه العابرين،
 قنّع الخوف فيها بلون الرجاء.

أيّها الثلج رحماك، إني غريب
 في بلادٍ من البرد والجوع سكرى،
 إنّ لي منزلاً في العراق الحبيب
 صيّتي فيه تعلق صخرا.

آه، لولاك يا داءُ ما عفتُ داري،
 ما تركت الزهورَ الَّتِي فَتَحْتُ في جداري
 والعصافيرَ في ركن بيتي لهنَّ اختصاصُ.
 مرَّ يومٌ، فشهرٌ، فشهرٌ، فعامٌ

والزمان ارتماءً بدون انتهاء
 تزفر الأرض عنه وتبكي السماء،
 ربّ، هل لي إلى منزلي من رجوع؟
 كم أمدّ الذراع وأهدم سقْفَ الضلوع
 لا أمسّ المدى أو أصيبُ الزمانا،
 فهو شيء على الروح يسعى: هباءٌ وظلمة.
 ليت عَصَرَ النبوات لم يطو حُلْمه...
 وشَتّ المعجزاتُ الحواشي فكانت وکانا.

ليتني العازرُ انْفَضَّ عنه الحِمامُ،
 يسلك الدربَ عند الغروب،
 يتمهّل لا يقرع الباب: من ذا يؤوب
 من سرايب الموتِ عبر الظلام؟

لن تصدّق أنّي ... ستهوي يداها
 عن رتاج، وتصفرُّ لي وجنتاها
 ثمّ تركض مذعورة، وتشدّ بخيط الدروب
 نحو قبري، وتطويه حتّى تمسّ الضريح الحُطام.

إيه إقبال، لا تيأس من رجوعي
 هاتفاً قبل أن أقرع الباب: عادا
 عازراً من بلاد الدجى والدموع،
 سورها كان ملحاً، نجيعاً، رمادا.
 قبّليني على جبهة صكّها الموتُ صكّاً أليماً،
 حدّقي في عيون شهدن الردى والمعادا.
 عدتُ. لن أبرح الدارَ حتّى لو أنّ النجوم
 دخرجت سلّماً من ضياءٍ وقالت:
 تخطّ السديما.

(6)

خيالُ الجَسَدِ العاري
يُطلّ عليّ محمولاً على موجٍ من النارِ
من المدفأة الحمراء، ذاك الرَّحِمِ الضاري.

لكلّ تقلّب من موجهها خفقٌ من القلب.
تدحرج: عُريّ النهدان، بان الجيدّ والساقُ،
تدحرج لي على الجنبِ،
تدحرج ثمّ صكّ أضالعي، وتثار أعراقُ
ويطفر للجبين دمٌ، ويعروني
دُوارٌ منه تصطكُ النواجذُ: خوفٌ بحارٍ
يُطلّ فيُبصر التيّار يزفر مثل تنينٍ.
ويصرخ آدمُ المدفونُ فيّ: رضيتُ بالعارِ،
بطردي من جنان الخُلْدِ أركض إثر حواءِ.
أريدك، يا سراباً في خيالي ليس يسقيني،
أريدك. ثمّ تطوى موجةً وتطير أشلاء

فقاعاتٌ من النيران، من شوقٍ وتذكّارٍ.

وجاء الجسدُ العاري،
خيالاً جاء محمولاً على موجٍ من النارِ
من المدفأةِ الحمراء، ذاك الرّجَمِ الضاري.

يميل عليّ كيف أشاء، أعصره كما أهوى،
ولا يقوى

على رفضي، على تهديم عَرْشٍ من لظىٍ وارٍ
أتوّج فوقه الآمال راعشة القوى شهوى.

بحارٌ بيننا: ليلان من مُدُنٍ وأمطارٍ،
وإنّك منكٍ أقربُ، أنتِ بعضُ دمي،
خيالي أنتِ، أمّنيّاتٍ عمري... كلّ أمّنيّه
بعاطفتي تُحرّكُ لا عواطفك الأناثيه.

علام مددتِ بحرأً بيننا، دنيا جليديّه
أعانقُ في دجاها جسمك العاري
يطلُّ عليّ محمولاً على موجٍ من النارِ
من المدفأةِ الحمراء، من وهمي وأفكاري.

(7)

البرْدُ وَهَسْهَسَةُ النَّارِ
 ورماد المدفأة الرَّمْلُ
 تطويه قوافلُ أفكاري.
 أنا وحدي يأكلني اللَّيْلُ.

ويخبُّ الركب^(١) إلى داري:
 برقٌ يتلامح في الآفاق، يعرِّبها
 ويُذرِّبها
 كرماد المبخرة الشكلي
 في مقبرة تهبُّ الليلا
 ألوان الموت وآهات الموتى فيها.

(١) جميع طبقات دواوين السياب تورد البيت الشعري على النحو: «ويخبُّ المركب إلى داري»، والأصل أن كلمة «المركب» خطأ طباعي متوارث، والصحيح هي «الركب»، بدلالة أن الشاعر يستمر باستعمالها في المقطع التالي للقصيدة. (م)

يا ليل، لكم طال الدربُ.
تعب الركبُ،
وعراقي شطّ، وسَمّاري
ناموا. وبقيتُ ولا زادُ
عندي، وظمئتُ ولا ماءً. ظمئ القلبُ:
لا سقيا غير شظيّات البرق الواري.
يا أغصانَ الليل انهمري ثمرأ إذ يؤكل يزدا
السلةُ منه سأملاًها حتّى إن عدتُ إلى داري
فرحَ الأطفالُ به، هتفوا: «بابا...»
يا برق، أمّا تخبو
فيغيبَ الدربُ، ولا يبدو
كم منه على الساري بعدُ!

البرد وهسهسة النار
ورماد المدفأةِ الرمْلُ
تطويه قوافلُ أفكارِي.
أنا وحدي يأكلني الليلُ!

(8)

ذَكَرْتُكَ يَا لَمِيعَةً وَالدَّجَى ثُلُجٌ وَأَمْطَارٌ،
 وَلَنْدُنُ نَامَ فِيهَا اللَّيْلُ، مَاتَ تَنْفُسُ النُّورِ.
 رَأَيْتُ شَبِيهَةً لَكَ شَعْرَهَا ظُلُمٌ وَأَنْهَارٌ،
 وَعَيْنَاهَا كَيْنُوعَيْنِ فِي غَابٍ مِنَ الْحُورِ.
 مَرِيضاً كُنْتُ تَتَقَلُّ كَاهِلِي وَالظَّهْرُ أَحْجَارٌ،
 أَحْنُ لَرِيفٍ جِيكُورِ
 وَأَحْلَمُ بِالْعِرَاقِ: وَرَاءَ بَابٍ سَدَّتِ الظُّلُمَاءُ
 بَاباً مِنْهُ وَالْبَحْرُ الْمَزْمَجُ قَامَ كَالسُّورِ
 عَلَى دَرَبِي.
 وَفِي قَلْبِي
 وَسَاوَسُ مَظْلَمَاتٍ غَابَتِ الْأَشْيَاءُ
 وَرَاءَ حِجَابِهِنَّ وَجَفَّ فِيهَا مَنَبِعُ النُّورِ.
 ذَكَرْتُ الطَّلْعَةَ السَّمَرَاءُ،

ذكرتُ يدَيْكَ ترتجفان من فَرَقٍ ومن بردٍ
تنزُّبه صحارى للفراق تسوطُها الأنواء.
ذكرتُ شحوب وجهك حين زَمَرَ بوقُ سيارَةٍ
ليؤذَنَ بالوداع. ذكرتُ لذع الدمع في خدي
ورعشةَ خافقي وأنينَ روحي يملأ الحاره
بأصداء المقابر. والدجى ثلجٌ وأمطارٌ.

لندن 1963/1/2

(9)

بِالْعَصَلِ الْمَفْتُولِ وَالسَّوَادِ الْمَجْدُولِ
هَرَقْلُ صَارِعِ الرَّدَى فِي غَارِهِ الْمَحْجَبِ
بِظَلْمَةٍ مِنْ طُحْلُبٍ.

وَقَامَ تَمُوزُ بِجَرَحٍ فَاغِرٍ مَخْضَبِ
يَصْكُ (مَوْتٍ) صَكَّةً، مُحَجَّباً ذِيوَلَهُ
وَحَطَوَهُ الْجَلِيدَ بِالشَّقِيقِ وَالزَّنَابِقِ.

وَانْخَطَفَ الْمَوْتُ عَلَيَّ كَانْخَطَافِ الْبَاشِقِ
عَلَى الْعَصَافِيرِ، أَحَالَ ظَهْرِي
عَمُودَ مَلْحٍ أَوْ عَمُودَ جَمْرِ،
أَحْرَكَ الْأَطْرَافَ لَا تَطِيعَنِي، مَشْلُولَهُ،
مَاتَ الدَّمُ الْفَوَّارُ فِيهَا، أُطْفِئِ الشَّبَابُ،
وَامْتَدَّ نَحْوَ الْقَبْرِ دَرْبٌ، بَابٌ

من خشب الصليب: فالمسيح
 مات، وفي الطوفان ضلّ نوح.
 وأُغضيت نواظري الذليله...
 لعلّها تعتاد من دجاها
 على دُجى غطاؤها الضريح.

* * *

أيّ سلاح؟ آه، أيّ ساعدٍ؟
 أيّة أزهارٍ تمدّ فاهها
 لتأكل الموت؟ وأيّ ناصرٍ مساعدٍ؟
 سللتُ من قصائدي
 سيفاً كأنّ البرقَ حدّادُ رمى أصوله
 وصبّ مقبضاً له وشفره.
 بالشعر، بالمبرق، بالمُجلجل المدوّي
 رميتُ وجه الموت يهوي نحوي
 كأنه الستار في رواية هزيله،
 رميت وجه الموت ألف مرّه
 إذا أطلّ وجهه البغيضُ

كأنه السيرين⁽¹⁾، يسعى جسمي المريض
 نحو ذراعيه بلا تردُّدٍ
 فأنْتُضي من سيفي المجرَّدِ،
 ويقطر الشَّعْرُ ولا يغيضُ،
 لأنني مريضُ
 أودَّع الحياةَ أو أشدَّ بالحياةِ
 بخيطة الموروثِ عن أمواتِ
 لم يدفع الشَّعْرُ مناياهم وقد
 جاءت إليهم غيلة!

1963/1/2

(1) السيرين، كما في الأوديسة، حورية بحر تغني فتجذب إليها من يسمعها. (ش)

(10)

يا غيمةً في أول الصباح
 تعربد الرياح
 من حولها، تنتفُ من خيوطها، تطير
 بها إلى سماءٍ تجوع للحريـر،
 سينطوي الجناح،
 ستنتفُ الرياح ريشه مع الغروب،
 يا غيمةً ما أمطرت، تذوب.

فأبرقي وأرعدي وأرسلِي المطرَ
 ومزّقي ذوائبَ الشجرِ
 وأغرقِي السهوبَ
 وأحرقِي الثمرَ.
 سترجحنَّ بعدك السنابل الثقالُ بالحبوب،

وتقطف الورودَ والأقاح
صبيَّةٌ يؤجّ في وجتها الجنوب،
وأنتِ ذرّةٌ من الدماء والجراح.

وأنتَ يا شاعرَ واديك، أما تؤوب
من سَفَرٍ يطول في البطاح،
تُراقص النّهرُ
وتلثم المَطَرُ؟
أما سمعتَ هاتفَ الرواح؟:
«خامٌ وزنبيلٌ من التراب
وآخرُ العُمُرِ ردى». ويطلع القمرُ.
فأبرق، ارعِدْ، أرسلِ المطرُ
قصائدَ احتوى مداها دائرةَ العُمُرِ،
يا غيمةً في أولِ الصباح،
يا شاعرًا يهَمُّ بالرواح،
وودّع القمرُ!

منزلُ الأَقْنانِ⁽¹⁾ (في جيکور)

خرائبُ فانزعِ الأبوابِ عنها تغدُ أطلالا،
 خوالٍ قد تصكُّ الريحُ نافذةً فتشرعُها إلى الصُّبحِ
 تُطلُّ عليك منها عينُ يومٍ دائبِ النوحِ.
 وسلَّمُها المحطَّمُ، مثلُ برجٍ دائرٍ، مالا
 يثنّ إذا أتنَّه الريحُ تصعدهُ إلى السَّطحِ،
 سفينٌ تعركُ الأمواجُ ألواحهُ

وتملأُ رُحبةَ الباحةِ
 ذوائبُ سدرَةٍ غبراء تزحمها العصافيرُ
 تعدّ خطى الزَّمانِ بسقسقاتٍ، والمناقيرُ
 كأفواهٍ من الديدان تاكلُ جثةَ الصمتِ
 وتملأُ عالمَ الموتِ

(1) منزل الأَقْنان: هو منزل بناه جدُّ الشاعر لفلاحي أرضه ليسكنوه، ويقع في بستان قريب جداً من منزل الجدِّ والذي ذكره السيَّاب في قصيدة «دار جدِّي». (م).

بَهْشَهْسَةِ الرِّثَاءِ، فَتَفْزَعُ الْأَشْبَاحَ تَحْسِبُ أَنَّ النُّورَ
 سَيُشْرِقُ، فَهِيَ تُمَسِّكُ بِالظَّلَالِ وَتَهْجُرُ السَّاحَةَ
 إِلَى الْغُرْفِ الدَّجِيَّةِ وَهِيَ تَوْقُظُ رَبَّةَ الْبَيْتِ:
 «لَقَدْ طَلَعَ الصَّبَاحُ». وَحِينَ يَبْكِي طِفْلُهَا الشَّبَحُ
 تَهْدُهُ وَتَنْشُدُ: «يَا خِيُولَ الْمَوْتِ فِي الْوَاحَةِ
 تَعَالِي وَاحْمِلِينِي، هَذِهِ الصَّحْرَاءُ لَا فَرْحُ
 يَرِفُ بِهَا وَلَا أَمْنٌ وَلَا حُبٌّ وَلَا رَاحَةٌ».

أَلَا يَا مَنْزَلَ الْأَقْنَانِ، كَمْ مِنْ سَاعِدٍ مَفْتُولٍ
 رَأَيْتَ وَمِنْ خَطِيٍّ يَهْتَزُّ مِنْهَا صَخْرَكَ الْهَارِي!
 وَكَمْ أَغْنِيَّةَ خُضْرَاءَ طَارَتْ فِي الضَّحَى الْمَغْسُولِ
 بِالشَّمْسِ الْخَرِيفِيِّهِ،
 تَحَدَّثُ عَنْ هَوَى عَارِي
 كَمَاءِ الْجَدُولِ الرَّقْرَاقِ! كَمْ شَوْقٍ وَأُمْنِيَّةً!!
 وَكَمْ أَلَمٍ طَوِيَّتَ وَكَمْ سُقِيَّتَ بِمَدْمَعٍ جَارِي؟
 وَكَمْ مَهْدٍ تَهْزَهُزُّ فِيكَ: كَمْ مَوْتٍ وَمِيلَادٍ
 وَنَارٍ أَوْقَدَتْ فِي لَيْلَةِ الْقَرِّ الشَّتَائِيهِ!!
 يَدْنُدُنْ حَوْلَهَا الْقَصَّاصُ: «يُحْكِي أَنَّ جَنِّيهِ...»

فیرتجفُ الشيوخ ویصمُتُ الأطفالُ فی دَهَشٍ وإِخلادٍ
 كأنَّ زئیرَ آلافِ الأسودِ یرنّ فی وادٍ
 وقد ضلّوا حیارى فیهِ، ثمّ ترنّ أغنیّه:
 «أتی قمرُ الزّمان...» ودندن القصّاص! «جنیّه»
 وبؤسهمُ المریر: الجوع والأحزان والسّقمُ
 وطفلٌ ماتَ لما جفّ دُرٌّ - ماتت المعزی
 وجاعت أُمّه فالثدیّ لالبنُ ولا لَحْمُ.
 سمعتُ صراخها واللیلُ ینظرُ نجمه غمزا،
 ووَلَوْلَه الأب المفعجوع یخنق صوته الألمُ

ولو خُیرْتُ أبَدْتُ الَّذی ألقى بما ذاقوا،
 مُمِضٌ ما أعانی: شلّ ظهرٌ وانحنّت ساقُ.
 على العکاز أسعی حین أسعی، عائر الخطوات مرتجفا
 غریبٌ غیر نار اللیل ما واساه من أحدٍ
 بلا مالٍ، بلا أملٍ، یقطّع قلبه أسفا.
 ألسْتُ الراكضُ العداء فی الأمس الَّذی سلفا؟
 أمکث فی ديار الثلج ثم أموت من کَمَدٍ
 ومن جوع ومن داء وأرزاء؟

أَمْكُثْ أَمْ أَعُودُ إِلَى بِلَادِي؟ آه يَا بِلْدِي
 وَمَا أُمِّلُ الْعَلِيلَ لَدَيْكَ شَحَّ الْمَالِ ثُمَّ رَمَتْهُ بِالْدَاءِ
 سَهَامٌ فِي يَدِ الْأَقْدَارِ تَرْمِي كُلَّ مَنْ عَطَفَا
 عَلَى الْمَرْضَى وَشَدَّ ضُلُوعَ كُلِّ الْجَائِعِينَ بِصَدْرِهِ الْوَاهِي^(١)
 وَكَفَّفَ أَدْمَعَ الْبَاكِينَ يَغْسِلُهَا بِمَا وَكَفَا
 مِنَ الْعِبْرَاتِ فِي عَيْنَيْهِ - إِلَّا رَحْمَةُ اللَّهِ؟؟

أَلَا يَا مَنْزِلَ الْأَقْنَانِ، سَقَتَكَ الْحَيَا سُحْبُ
 تُرَوِّي قَبْرِي الظَّمَانَ،
 تَلْثِمُهُ وَتَتَحَبُّ!

لندن 1963/1/3

(١) طبعاات عديدة، بعضها مشهورة ومتداولة، تورء هذا الشطر على النحو التالي: «على المرضي، وشدَّ ضلوع الجائعين بصءره الواهي»، غير أنني وءء الشطر في النسخة الأصلية للقصيدة على النحو المبث في المتن، وزيادة في التأكيد، فأن هناك تسجيلاً نادراً للقصيدة بصوت السياب على الشبكة العالمية (انترنت) يقرأ فيه هذا البيت على النحو الذي ثبناه. (م)

وصية من محتضر

يا صمْتُ، يا صمْتَ المقابر في شوارعها الحزينه،
 أعوي، أصبح، أصبح في لَهْفٍ فأسمع في السكينة
 ما تنثر الظلماء من ثلجٍ وقارٍ
 تُصدي عليه خطى وحيدات، وتبتلع المدينة
 أصداً هنّ، كأنّ وحشاً من حديد، من حجارٍ،
 سفّ الحياة فلا حياة من المساء إلى النهار.
 أين العراق؟ وأين شمس ضحاه تحملها سفينه
 في ماء دجلة أو بُؤَيْب؟ وأين أصداً الغناء
 خفقت كأجنحة الحمام على السنايل والنخيل
 من كلّ بيت في العراق؟
 من كلّ رابية تدثرها أزاهير السهول؟
 إنّ متّ يا وطني: فقبرٌ في مقابر الكئيبة
 أقصى مناي. وإنّ سلمتُ فإنّ كوخاً في الحقول
 هو ما أريد من الحياة. فدى صحارك الرحيه

أرباض لندن والدروب، ولا أصابتك المصيبة!

أنا قد أموت غداً، فإنّ الداء يقرض، غَيْرَ وَا،

حبلاً يشدّ إلى الحياة حطام جسمٍ مثلِ دارٍ

نخرت جوانبها الرياحُ وسقّفها سيلُ القطارِ،

يا إخوتي المتناثرين من الجنوب إلى الشمالِ

بين المعابر والسهول، وبين عالية الجبالِ

أبناء شعبي في قراه وفي مدائنه الحبيبه...

لا تكفروا نِعَمَ العراقِ...

خير البلاد سكتتموها بين خضراءٍ وماءٍ،

الشمس، نور الله، تغمرها بصيفٍ أو شتاء،

لا تبتغوا عنها سواها.

هي جنّةٌ فحذارٍ من أفعى تدبّ على ثراها.

أنا ميّتٌ، لا يكذب الموتى. وأكفر بالمعاني

إن كان غير القلب منبعها.

فيا ألقِ النهارِ

اغمر بعسجدك العراق، فإنّ من طينِ العراقِ

جسدي ومن ماءِ العراقِ...

الشاهدة⁽¹⁾

«يا قارئاً كتابي
 أبك على شبابي».
 شاهدة بين القبور تبكي
 تستوقف العابر. يا صحابي
 غُضُّوا الخطى ولتصمتوا: إن القرون تحكي
 في جملةٍ حُطت على التراب.
 من نام في القبر ودود القبر؟
 يُسأل لا ينطق بالجواب؟!
 سيّان عنده ائتلاق الفجر
 وظلمة الليل، بلا ثياب
 بلا طعام، لا هوى، لا حقد.
 أفقر أهل الفقر
 فيه وأغنى الأغنياء. تعدو

(1) لوحة توضع عند القبر يكتب عليها اسم الميت أو حكمة أو أبيات من الشعر. (ش)

في قبره الجرذان، وهو غافٍ
نام من الديدان في لحافٍ؟!

لي نومةٌ مع التراب في غدٍ
صباحُها أوّلُ ليل الأبد،
يمرّ بي الشيوخ والشبانُ
يثرثرون: يدها فوق يدي
وعينها... «ويُنْفِث الدخانُ»!
رُبَّ فتى مُورَدٍ
يقرأ من شعري على الصحابِ،
يقرأ في كتابي
قصيدةً خضراء عن جيکور
غافيةً تحت غصونِ النورِ
تحلم بالسحابِ.
مرّ على قبري فقال: قَبْرُ!
وأين من هذا الرميم الشّعْرُ
يدفق بالعواطفِ.
كهبة العواصف القواصفِ؟»

مرّ على قبري فكاد الصّخرُ
يصرخ: «تحتي نام هذا الشاعرُ
صاحبُ هذه القوافي، يسمعُ
ما قلتموه فالعيونُ تدمعُ
في عالمٍ لا يرجعُ المسافرُ
منه ولا للنوم فيه آخرُ.
رفقاً به، دعوه في رقدته
تؤنسهُ الديدانُ في وحدته
كان له قلبٌ وكان أمسُ،
حتّى إذا استنزف من مُدَّتِه
توسّد الترابا.
لا تقرأوا الكتابا»

ثمّ تغيبُ الشمسُ!

أَسْمَعُهُ يَبْكِي

أَسْمَعُهُ يَبْكِي، يناديني
 فِي لَيْلِي الْمَسْتُوحِ الْقَارِسِ،
 يَدْعُو: «أَبِي كَيْفَ تَخْلِّينِي
 وَحْدِي بِلا حَارِسٍ؟»
 غِيلَان، لَمْ أَهْجُرْكَ عَنْ قَصْدٍ...
 الدَّاءُ، يَا غِيلَان، أَقْصَانِي.
 إِنِّي لِأَبْكِي، مِثْلَمَا أَنْتَ تَبْكِي، فِي الدَّجَى وَحْدِي
 وَيَسْتِيرُ اللَّيْلُ أَحْزَانِي.
 فَكَلَّمَا مَرَّ نَهَارٌ وَجَاءَ
 لَيْلٌ مِنَ الْبَرْدِ،
 أَلْفَيْتُنِي أَحْسَبَ مَا ظَلَّ فِي جَيْبِي مِنَ النِّقْدِ:
 أَيْشْتَرِي هَذَا الْقَلِيلُ الشِّفَاءَ؟
 سَأَطْرُقُ الْبَابَ عَلَى الْمَوْتِ فِي دَهْلِيزِ مَسْتَشْفَى
 فِي الْبَرْدِ وَالظُّلْمَاءِ وَالصَّمْتِ،
 سَأَطْرُقُ الْبَابَ عَلَى الْمَوْتِ

في بُرْهَةٍ طال انتظاري بها في معبر من دماء،
 وأرسلُ الطرفا
 فلا أرى إلا الدجى والخُواء.
 يا ويلتي إن يُفتح البابُ
 فأبصرُ الأمواتَ من فُرْجَتِهِ
 يدعونني: «ما لك ترتابُ
 بالموت؟ في هجعته
 ما يعدل الدُّنيا وما فيها:
 دفءٌ، نُعاسٌ، خَدَرٌ، وارتخاء!»
 أوشكُ أن أعبر في بَرْزَخٍ من جامدات الدماء
 تمتدُّ نحوي كَفُّها، كَفَّ أُمِّي بين أهليها:
 «لا مَالَ في الموت، ولا فيه داء!»
 ثمَّ تسدُّ البابَ كَفُّ الطيب
 تجرح في جسمي،
 وهاتفاً باسمي
 أسمع صَوْتاً ناعساً، قد أجيبُ
 فيهِزُمُ الموتُ على صوتي،
 وربَّما استسلمتُ للموت!

دَرَمٌ⁽¹⁾

دَرَمٌ...

بنفسي ممّا عراني بَرَمٌ
 فمَدّي ذراعيكِ ولتُحَضِنيني
 إلى هوةٍ من ظلامِ العدم،
 فما قيمة العمر أقضيه أمشي
 بعكّازةٍ في دروب الهَرَم؟
 أهذا شبابي؟ وأين الشباب؟
 ألا حُبّ، لا زهو، لا عنفوان
 أهذا مشيبي؟ حصدتُ السراب
 إذا كان معنى المشيب الهوان؟
 أعقّبي المشيب الأسي والندم؟
 أما من شبابي الَّذي مرّ ذكرى؟
 أما منه مألٌ وبُقيّا شمم؟

(1) درم: هي مدينة «Durham» البريطانية التي زارها ومكث فيها الشاعر لبعض الوقت. (م)

أَكَانَ الَّذِي مِنْهُ خَلَفْتُ شِعْرَا

وَيَتَاءُ وَرَاءَ الرِّيحِ انْهَدَمَ؟

دَرَمَ...

تَمَنَيْتُ لَوْ مِتُّ بَيْنَ الثَّلُوجِ

عَلَى جَدُولٍ جَمَدَتْهُ النَّسَمُ،

فَرُوحِي تَجُوبُ الْمَرُوجِ

وَتَأْوِي إِلَى رُمَّةٍ فِي الظُّلَمِ.

وَمَنْ أَيْنَ لِلرُّوحِ هَذَا الْبَقَاءُ؟

فَنَاءً، فَنَاءً

سَوَى قِصَّةٍ قَدْ تَشِيرُ السَّامُ

يُرَدِّدُهَا سَامِرٌ فِي الشِّتَاءِ:

«لَقَدْ خَطَّ شِعْرًا لَهُ مِنْ هَبَاءِ،

وَكَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ وَابْنٌ عَمٌ

وَطِفْلَانِ... لا، لا، نَسِيتُ... ابْتَنَانُ

وَطِفْلٌ». وَيَخْبُو لَدَيْهِ الضَّرَمُ،

فِيغْفُو عَلَى الْمَسْنَدِ السَّامِرُ

وَتُفْتَحُ بَوَابُهُ مِنْ دِخَانٍ

عَلَيْهَا الدَّجَى حَائِثُ

يُبْعَثُ أَنْجَمُهُ مِنْ خِلَالِ الضَّبَابِ.

أَهَذَا هُوَ الشَّاعِرُ؟

حَدِيثٌ يُنِيمُ الصَّحَابَ

إِذَا مَاتَ، أَوْ عَاشَ فَهُوَ الْأَلَمُ.

دَرَمَ

بِنَفْسِي مِمَّا عَرَانِي بَرَمَ!

بيروت 1963/1/5

قصيدة من درم

مِنْ دَرَمٍ أَكْتُبُهَا قَصِيدَهُ
 كَالنَّجْمِ فِي آفَاقِهِ الْبَعِيدِهِ
 لَا يَبِيعُ الدَّفْعَ وَلَا يُنِيرُ،
 يَلْمَحُهُ الصَّغِيرُ
 فَيَسْطِ الْكَفَّ لَهُ، يُشِيرُ
 يَقْطُرُ فِي أَحْلَامِهِ السَّعِيدِهِ
 يَعلُقُ بِالضُّبَابِ
 كُنُفَةَ السَّرَابِ
 تَضَلُّ الْقَوَافِلَ الشَّرِيدَةَ.

الْيَأْسُ يُوْحِيهَا أَوْ الْمَلَأُ
 كَأَنَّهَا فِي الظُّلْمَةِ الظَّلَالُ
 تَعْمَقُ الظُّلْمَةُ حِينَ تُنَشَّرُ.
 أَظِلُّ مَا يُقَالُ

في نفس شاعرٍ يموتُ عُمرُهُ، يُبْعَثَرُ

وَيُقْبَرُ؟

يمشي على عكازة ويعثر،

أيامه إلى رده سَفَرُ،

وعيشُهُ انسلالُ

عَبْرَ جدار الموتِ ما يزالُ؟

شاء الرّدى، حاول أن يُريدهُ،

لكنّ وحشاً ضارياً يُزجرُ

في كهفه، وحيّة من بابل التليده -

يطير نحو الموت منه شرُّ،

تفحُّ في وجه الردى وتصفُرُ،

فيكتب القصيده

يريد أن يجدّد البقاء، أن يُعيده،

أن يهدي القوافل الشريده

فلا تنبّه في صحارى العدم.

بقبره في دَرَم.

من درمٍ أكتبها قصيده

كالنجم ضلّ في سديم العدم.

قالوا لأَيُّوب

قالوا لأَيُّوبَ: «جفاك الآله»!

فقال: «لا يجفّو...»

من شدّ بالإيمان، لا قبضتاه

تُرّخى ولا أجفائه تغفو»،

قالوا له: «والداء من ذا رماه

في جسمك الواهي ومن ثبّته؟».

قال: «هو التكفيرُ عمّا جنّاه

قايِلُ والشاري سُدىّ جتّته».

سيُهزَم الداء: غداً أغفو

ثمّ تفيقُ العينُ من غَفْوَةٍ...

فأسحبُ الساقَ إلى خَلْوَةٍ

أسألُ فيها الله أن يعفو.

عكّازتي في الماء أرميها

وأطرقُ البابَ على أهلي

إِنْ فَتَحُوا الْبَابَ فَيَا وَيْلِي
 مِنْ صَرْخَةٍ، مِنْ فَرْحَةٍ مَسَّتْ حَوَافِيهَا
 دَوَامَةَ الْحُزْنِ... وَالْأَيُّوبُ ذَاكَ؟
 أَمْ أَنْ أَمْنِيهِ
 يَقْذِفُهَا قَلْبِي، فَأَلْفِيهَا
 مَائِلَةً فِي نَظَرِي حَيَّهْ؟
 «غِيلَان، يَا غِيلَان، عَانَقْ أَبَاكَ!»

يَا رَبِّ لَا شَكْوَى وَلَا مِنْ عِتَابٍ،
 أَلَسْتَ أَنْتَ الصَّانِعَ الْجِسْمَا؟
 فَمَنْ يَلُومُ الزَّارِعَ التَّمَا
 مِنْ حَوْلِهِ الزَّرْعُ، فَشَاءَ الْخَرَابُ
 لَزَهْرَةٍ وَالْمَاءَ لِلثَّانِيَةِ؟
 هِيَهَاتَ تَشْكُو نَفْسِي الرَاضِيهِ.
 إِنِّي لِأَدْرِي أَنَّ يَوْمَ الشِّفَاءِ
 يَلْمَحُ فِي الْغَيْبِ،
 سَيَنْزِعُ الْأَحْزَانَ مِنْ قَلْبِي
 وَيَنْزِعُ الدَّاءَ، فَأَرْمِي الدَّوَاءَ،

أرمي العصا، أعدو إلى دارنا وأقطف الأزهار في دَرْبي
ألمَ منها باقّة ناضره
أرفعُها للزوجة الصابره
وبينها. ما ظلّ من قلبي!

درم 1963/1/6

الليلة الأخيرة

وفي الصباح يا مدينة الضباب
والشمس أمنيَّةُ مصدورٍ تُدير رأسها الثقيلُ
من خَلَلِ السحاب،
سيحملُ المسافرُ العليلُ
ما تركَ الداءُ له من جسمه المذاب
ويهجرُ الدخانَ والحديدُ
ويهجرُ الأسفلتَ والحَجَرُ.
لعله يلمح في درامٍ من نَهَرٍ،
يلمح وجه الله فيها، وجهه الجديد
في عالم النقود والخمور والسَّهَرِ.

رُبَّ صباحٍ، بعد شهرٍ... بعد ما الطيبُ
يراه - من يعلم ماذا خبأ القَدَرُ؟ -
سيحملُ الحقيقةَ المليئة
بألف ألفٍ رائعٍ عجيبٍ،

بالحلي والحجر،

باللعب الخبيثه

يفجأ غيلان بها - يا طول ما انتظر!

يا طول ما بكى ونام تملأ الدموع

برنة الأجراس أو بصيحة الذئاب

عوالم الحلم له، وتنشر القلوع

يجوب فيها سندبادُ عالم الخطر:

هناك فارس النحاس يرقبُ العباب

ويُشرع السهمَ ليرمي كلَّ من عبّر!

إن يكتب الله لي العودَ إلى العراق

فسوف أثمر الثرى، أعانق الشجر،

أصيحُ بالبسر:

«يا أرحَ الجنة، يا إخوة، يا رفاق،

الحسنُ البصريّ جابَ أرضَ واقٍ واقٍ

ولندنَ الحديدِ والصخر،

فما رأى أحسنَ عيشاً منه في العراق..»

ما أطولَ الليلَ وأقصى مديّة السّهر

صديئةٌ تحزّ عينيَّ إلى السّحر!

وزوجتي لا تطفئ السراج: «قد يعودُ في ظُلْمة الليل من السَّفَر».
 وتُشعل النيرانَ في مَوْقِدنا: «برودُ
 هو المساء، وهو يهوى الدفء والسَّمَر».

وتنطفئ مدفأتي، فأضرُمُ اللهبُ
 وأذكر العراق: لَيْتَ القمر الحبيب
 من أفق العراق يرتمي عليّ: آه يا قمر
 أما لثمتَ وَجْه غيلان؟ أنا الغريب
 يكفيه، لو لثمتَ غيلان؟ أن أنتثر
 منك ضياءَ عَبْرِ شَبَّاكِ الأبِ الكئيب
 ومَسَّ منه الثَّغَرُ والشَّعْرُ:
 أحسُّ منه أنَّ غيلان (شذى وطيب من كَفِّه اللَّيْنَةُ انتشر)
 عابثٌ شَعْرِي، صاح: «آه جاء
 أبي، وعاد من مدينة الحَجَر»
 وشدَّ بالرداء.
 ما أطول الليلَ وأقسى مديَّة السَّهَرِ
 ومديَّة النوم بلا قمر!

القصيدة والعناء

جنازتي في الغرفة الجديدة
تهتفُ بي أن أكتب القصيدة،
فأكتبُ

ما في دمي وأشطبُ
حتَّى تلينَ الفكرة العنيدة.

وغرفتي الجديده
واسعة، أوسع لي من قَبْري.
إذا اعتراني نَعَبُ

من يقظة فالنوم منها أعذبُ،
ينبع حتَّى من عيون الصَّخْرِ،
حتَّى من المدفأة الوحيدة
تقوم في الزاوية البعيدة.

وترفع الجنازة اليابسة المهْدَمَة

من رأسها، ترنو إلى الجدرانِ
والسَّقْفِ والمرآةِ والقناني.

ما للزوايا مظلمه

كأنهن الأرضُ للإنسانِ

تريد أن تحطّمه

بالمال والخمور والغواني.

والكذب في القلب وفي اللسانِ،

تُريدُ أن تُعيده

للغابة البليده؟

وصفحةُ المرآةِ ما لها تُطلّ خاويه

ما أثمرتُ بغانيه،

بالشَّفَةِ المرجانِ

تُنيرها، كالشَّفَقِ، العينانِ

وبالنهود العاريه،

كهذه المرآةِ

ستُصبح الأرضُ بلا حياة.

وفي الليالي الداجيه،

في ذلك السكون ليس فيه

إلا الرياحُ العاويه،
 سيفزع الله من الأمواتِ
 ويسحبُ الموتَ ويغفو فيه
 مثلَ دثارٍ في الليالي الشاتيه

وهكذا الشاعرُ حينَ يكتب القصيده
 فلا يراها بالخلود تنبُضُ،
 سيهدم الذي بنى، يقوِّضُ
 أحجارها ثم يملُ الصمتَ والسكونا.
 وحين تأتي فكرةٌ جديده،
 يسحبُها مثل دثارٍ يحجب العيونا
 فلا ترى. إن شاء أن يكونا
 فليهدم الماضي، فالأشياء ليس تنهضُ
 إلا على رمادها المحترقِ
 منتشرًا في الأفقِ...
 وتولد القصيده...

هرم المغني

بالأَمْسِ كُنْتُ إِذَا كَتَبْتُ قَصِيدَةً فَرَحَ الدَّمُ
فَأَغْمَغُمُ

وأهيم ما بين الجداولِ والأزاهر والنخيلِ
أشدو بها، أترنُّمُ:

زادُ لروحي منذ سَقَسَقَةِ الصِّبَاحِ إِلَى الْأَصِيلِ.
زادُ... ولكنَّ عنه قد صَدَفْتُ، تَجْوَعُ وَلَا تَرِيدُ
مَا يُنْعَشُ الْأَمَالَ فِيهَا،

هي حَشْرَجَاتُ الرُّوحِ أَكْتَبَهَا قِصَائِدُ لَا أَفِيدُ
مِنْهَا سِوَى الْهُزْءِ الْمَرِيرِ عَلَى مَلَامِحِ قَارِئِهَا.

هَرَمَ الْمَغْنِي، هَدَّ مِنْهُ الدَّاءُ فَارْتَبَكَ الْغِنَاءُ.
بِالْأَمْسِ كَانَ إِذَا تَرَنَّمَ يُمَسِّكُ اللَّيْلُ الطُّرُوبَ
بِنَجْوَمِهِ الْمَتَرَنِّحَاتِ فَلَا تَخَرُّ عَلَى الدَّرُوبِ،
وَالْيَوْمَ يَهْتَفُ أَلْفَ آهٍ لَا يَهْزُ مَعَ الْمَسَاءِ

سَعَفَ النخيل ولا يُرَجِّحُ زورقَ العرس المحلَّى
 بعيون أرامٍ ودفلى
 ودراكٍ ارتعدت حناجرُها فأرعدتِ الهواء.

هرمَ المغني فاسمعه، برغم ذلك، تسعدوه،
 ولتؤهموه بأنَّ من أيدٍ شباباً من لحونٍ
 وهوى ترقرقُ مقلته له وينفخ منه فوه.
 هو مائتٌ، أفتبخلونُ
 عليه حتَّى بالحُطام من الأزاهر والغصون؟
 أصغوا إليه لتسمعه
 يرثي الشبابَ ولا كلامَ سوى نشيجٍ: «بالعيون
 سلَّم عليَّ إذا مررتَ».
 أتى وسلَّم... صدَّقوه!
 هرم المغني فارحموه.

قصيدةٌ إلى العراقِ الثائر

عملاءُ «قاسم» يطلقون النارَ، آه، على الريحِ
 سيذوب ما جمعه من مالٍ حرامٍ كالجليدِ
 ليعود ماءً منه تطفحُ كلُّ ساقيةٍ، يُعيد
 ألقَ الحياةِ إلى الغُصونِ اليابساتِ فتستعيد
 ما لُصَّ منها في الشتاءِ القاسميِّ... فلا يضيع
 يا للعراقِ!

يا للعراقِ! أكاد أُلْمَحُ، عَبْرَ زاخرةِ البحارِ،
 في كلِّ مُنْعَطَفٍ، ودربٍ، أو طريقٍ، أو زقاقٍ
 عَبْرَ الموانئِ والدروبِ،
 فيه الوجوه الضاحكات تقولُ: «قد هربَ التتارُ
 والله عاد إلى الجوامع بعد أن طلع النهارُ،
 طلع النهارُ فلا غروب!»

يا حفصة⁽¹⁾ ابتسمي فثغرُكِ زهرة بين السهوب،
أخذت من العملاء ثأركِ كفُّ شعبي حين ثار
فهوى إلى سقرٍ عدوّ الشعب، فانطلقت قلوب
كانت تخاف فلا تحنّ إلى أخٍ عبّر الحدود،
كانت على مهلٍ تذوب،
كانت إذا مال الغروب

رفعت إلى الله الدعاء: «ألا أغثنا من ثمود،
من ذلك المجنون يعشق كلّ أحمر، فالدماء
تجري وألسنة اللهب تُمدُّ، يُعجبه الدمار.
أحرقه بالنيران تهبط، كالجحيم، من السماء،
واصرعه صرعاً بالرصاص! فإنه شبحُ الوباء».

هُرْع الطيّبُ إلَيَّ - آه، لعله عرف الدواء
للدّاء في جسدي فجاء؟ -

هرع الطيّب إلَيَّ وهو يقول: «ماذا في العراق؟
الجيشُ ثارَ ومات «قاسم»...» - أيُّ بُشرى بالشفاء!

(1) عذراء عربيّة من الموصل، صلبها عملاء قاسم ومثلوا بها. (ش)

ولكِدْتُ من فَرَحِي أقوم، أَسِيرُ، أعدو دون داء.

مرحى له... أي انطلاق؟!!

مرحى لجيش الأُمَّة العربية انتزع الوثاق!

يا إخوتي بالله، بالدم، بالعروبة، بالرجاء،

هُبُّوا فقد صُرِعَ الطغاةُ وبدد اللَّيْلُ الضياء!

فلتحرسوها ثورةً عربيةً صُعِقَ «الرِّفاق»

منها وخرّ الظالمون،

لأنَّ «تُمُوز» استفاق

من بعد ما سرق العميل سناه، فانبعث العراق.

لندن - مستشفى سان ماري 1963/2/8

شناشيل ابنة الجلبي وإقبال
(1965)

إشارة

صدر هذا الديوان لأول مرة، في كانون الثاني 1965، عن دار «الطليعة» وقد كان عنوانه «شناسيل ابنة الجلبي» ولم يتح للسيّاب الاطلاع عليه مطبوعاً بسبب وفاته قبل هذا التاريخ. أصدرت بعد ذلك، الدار ذاتها ديوان «إقبال» وضم آخر ما كتبه الشاعر في المستشفى مع اضمامة من بداياته، قبل أن تدمج الديوانين في كتاب واحد وتُسَبَّع قصائد البدايات منه، ليكون عنوانه النهائي «شناسيل ابنة الجلبي وإقبال»، وقد اعتمدتُ الطبعة الأولى من هذا الأخير مع مطابقة متمهلة لما متاح من مخطوطات أصلية بخط الشاعر لقصائده، وما نشر منه في الصحف والمجلات العراقية والعربية، فضلاً عن طبعات الدور الأخرى، لأستحصل على ملاحظات تحريرية وتصويبات ثبَّتْها في هوامش مصاحبة للحالات، أظنها نافعة في تكوين صورة شاملة عن الديوان الأخير في حياة السيّاب.

المحقق

شناسيلُ ابنة الجلبى⁽¹⁾

وأذكرُ من شتاء القرية النَّضاحِ فيه النور
 من خَلَلِ السَّحابِ كأنه النِّعَمُ
 تسرَّبَ من ثقبِ المعزف - ارتعشت له الظلمُ
 وقد غنى - صباحاً قبلَ ... فيم أعدُّ؟ طفلاً كنت
 أبتسمُ
 لليلي أو نهاري أنقلتُ أغصانه النشوى عيونَ الحوز.
 وكنا - جدنا الهدار يضحك أو يغني في ظلال الجوسقِ
 القَصَبِ
 وفلاحيه ينتظرون: «غيثك يا إله» وأخوتي في
 غابة اللَّعبِ
 يصيدون الأرنابَ والفراش، و (أحمد) الناطور -

(1) الشناسيل: شرفة مغلقة، مزينة بكثير من الخشب المزخرف والزجاج الملون، كان شائعاً في البصرة وبغداد قبل مائة سنة، والجلبي لقب هو عند المصريين «شلي» وعند الأوروبيين «ماركيز». (ش)

نحدِّقُ من ظلالِ الجُوسقِ السمرَاءِ في النَّهْرِ
ونرفعُ للسحابِ عيوننا: سيسيلُ بالقَطْرِ.
وأرعدتِ السماءُ قرنًا قاعُ النهرِ وارتعشتُ ذرى السَّعَفِ
وأشعلهنَّ ومُضُّ البرقِ أزرقٌ ثمَّ أخضرٌ ثمَّ تنطفئُ
وفتحت السماءُ لغيثها المدرارَ باباً بعد بابٍ
عاد منه النهرُ يضحكُ وهو ممتلئُ
تكَلَّلُهُ الفقائِعُ، عاد أخضرَ، عاد أسمرَ، غصَّ
بالأنغامِ واللَّهْفِ
وتحت النخلِ حيثُ تظلُّ تمطرُ كلُّ ما سغفَه
تراقصتِ الفقائِعُ وهي تُفَجِّرُ - إنَّه الرُّطْبُ
تساقطَ في يدِ العذراءِ⁽¹⁾ وهي تهزُّ في لهفه
بجذع النخلةِ الفرعاء (تاجُ وليدِكَ الأنوارُ لا الذَّهَبُ،
سيصلبُ منه حُبُّ الآخرين، سيُرى الأعمى
ويبعثُ من قرارِ القبرِ ميتاً هذَّه التَّعَبُ
من السَّفَرِ الطويلِ إلى ظلامِ الموتِ، يكسو عظمَه اللحمُ
ويوقد قلبَه الثلجي فهو بحبِّه يثبُّ!).

* * *

(1) «وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً» (سورة مريم - القرآن الكريم) (ش)

وأبرقت السماء... فلاح، حيث تعرّج النهر،
 وطاف معلقاً من دون أسّ يلثم الماء
 شناسيلُ ابنة الجلبي نور حوله الزهر
 (عقود ندى من اللباب تسطع منه بيضاء)
 وآسية الجميلة كحلّ الأحداق منها الوجد والسهر.

يا مطراً يا حلبي
 عبّ بنات الجلبي
 يا مطراً يا شاشا
 عبّ بنات الباشا⁽¹⁾
 يا مطراً من ذهب.

تقطّعت الدروب؛ مقص هذا الهاطل المدرار
 قطّعها وواراها،
 وطوّفت المعابر من جذوع النخل في الأمطار
 كغرقى من سفينة سندباد، كقصّة خضراء أرجأها وخلاها
 إلى الغد (أحمد) الناطور وهو يدير في الغرفة
 كؤوس الشاي، يلمس بندقيته ويسعل ثمّ يعبر طرفه

(1) هكذا يغني الأطفال في قرى البصرة حين تمطر السماء: «مطر، مطر، حلبي. عبر بنات الجلبي»
 إلخ... (ش)

الشُّرفه

ويخترق الظلام.

وصاح «يا جدِّي» أخي الثرثار:

«أنمكث في ظلام الجوسق المبتل ننتظر؟

متى يتوقف المطر؟»

وأرعدت السماء، فطار منها ثمة انفجرا

شناسيل ابنة الجلي...

ثم تلوح في الأفق

دري قوس السحاب. وحيث كان يسارق النظرا

شناسيل الجميلة لا تصيب العين إلا حمرة الشفق.

ثلاثون انقضت، وكبرت: كم حبّ وكم وجد توهج في فؤادي!

غير أنني كلما صفقت يدا الرعد

مددت الطرف أرقب: ربّما اتلق الشناسيل

فأبصرت ابنة الجلي مقبلة إلى وعدي!

ولم أرها. هباء كل أشواقي، أباطيل

ونبت دونما ثمر ولا وزد!

إرم ذات العماد

(عند المسلمين أنَّ «شداد بن عاد» بنى جنة
لينافس بها جنة الله، هي «إرم». وحين أهلك
الله قوم عاد، اختفت «إرم» وظلت تطوف، وهي
مستورة، في الأرض لا يراها إنسان إلا مرة في
كل أربعين عاماً. وسعيد من انفتح له بابها).

من خَلَلِ الدُّخان من سياره،

من خلل الدخان

من قَدَحِ الشَّاي وقد نَشَّر، وهو يلتوي، إزاره

ليحجب الزَّمان والمكان،

حدثنا جدُّ أبي فقال: «يا صغار،

مقامراً كنتُ مع الزمان؛

نقودي الأسماكُ، لا الفضَّةُ والنضار،

والورَقُ الشَّبَّاكُ والوِهار⁽¹⁾.

وكنْتُ ذات ليلَه

كأنَّما السماء فيها صَدَأٌ وقار،

(1) الوهار: أداة لصيد السمك تصنع من أغصان الشجر. (ش)

أَصِيدُ فِي الرُّمَيْلِ⁽¹⁾

فِي خَوْرِهَا الْعَمِيقِ، أَسْمَعُ الْمَحَارَ
مَوْشُوساً كَأَنَّمَا يَبُوحُ لِلْحَصَى وَلِلْقَفَارِ
بِمَوْطِنِ اللُّؤْلُؤَةِ الْفَرِيدَةِ،
فَأَرْهَفُ السَّمْعَ لَعَلِّي أَسْمَعَ الْحَوَارِ.
وَكَانَ مِنْ نَدَى الْخَرِيفِ وَالْدَجَى بُرُودِهِ
تَدَبُّ مِنْهَا رَعَشَةٌ فِي جَسَدِي فَأَسْحَبُ الدَّثَارَ.
وَأَنْفَرَجَ الْغَيْمُ فَلَاحَتْ نَجْمَةٌ وَحِيدَهُ
ذَكَرْتُ مِنْهَا نَجْمَتِي الْبَعِيدَهُ
تَنَامُ فَوْقَ سَطْحِهَا وَتَسْمَعُ الْجِرَارَ
تَنْضَحُ (يَا وَقَعَ حَوَافِرُ عَلَى الدَّرُوبِ
فِي عَالَمِ النُّعَاسِ؛ ذَاكَ عَتَرْتُ يَجُوبُ
دَجَى الصَّحَارَى. إِنْ حَيَّ عِبْلَةَ الْمَزَارِ).

فَسَرْتُ وَالسَّمَاءُ وَجْهَتِي، وَلَا دَلِيلَ،
أَرْقُبُ نَجْمَهَا الْوَحِيدَ، وَالشُّعَاعَ
يَخْفَتُ أَوْ يُؤَجُّ مَانِعاً وَمَانِحاً، وَكَالشَّرَاعِ

(1) الرميلة: منطقة صحراوية جنوبي البصرة، تشتهر بآبار النفط. (م)

ترفع أو تحطُّه الرِّياحُ في الصِّراع.
 أسرتُ ألف خطوة؟ أسرت ألفَ ميل؟
 لم أدرِ إلَّا أَنِّي أُمالني السحرُ
 إلى جدار قلعةٍ بيضاء من حَجَرٍ،
 كأنما الأقمارُ منذ ألفِ ألفِ عامٍ
 كانت له الطلاء،
 كأنما النجومُ في المساء
 سلنَ عليه ثمَّ فاض حوله الظلام.
 وسرتُ حول سورها الطويل
 أعدُّ بالخطى مداه (مثلَ سندبادٍ
 يسيرُ حول بيضة الرُّخِّ ولا يكاد
 يعود حيث ابتدأ
 حتَّى تغيب الشمس، غشى نورها سواد،
 حتَّى إذا ما رفع الطرفَ رأى... وما رأى؟)
 حتَّى بلغتُ في الجدار موضعَ العماذ
 تقوم فيه، كالُدجى، بوابةً رهيبة
 غلَّفها الحديدُ، مدَّ حَوْلَها نحيبه
 أراه بالعيون لا تحسُّه المسامعُ.

وقفْتُ عندها أدقُّ...

يا صدىّ أراجعُ

أنت من المقابر الغريبه؟

أحسُّ في الصدى

برودة الرّدى،

أشمُّ فيه عَفَنَ الزّمان والعوالم العجيبه

من إِرَمٍ وعاذ.

وحين كلّ ساعدي

وملّني الوقوفُ في الظلام

(كناسك، كعابد

يرفضه الإله في معبده، يظلُّ لا ينام

ولا يريد الماء والطعام،

يصيحُ: «كن على الهوى مساعدي

يا رافع السّماء، يا موزّع الغمام»

جلستُ عند بابها كسائلٍ ذليل

جلستُ أسمعُ الصدى، كأنه العويل،

يلهثُ خلفَ حائطٍ من حَجَرٍ ثَقِيل.

كأنَّ بين دَقَّةٍ ودَقَّةٍ يمرُّ ألف عام

وما أجاب العَدُمُ الخواء.
 وحين أوشك الصبَاحُ يهمس الضياءُ
 نعستُ، نمتُ... واستفقتُ: مر ألفُ جيلٍ!!
 الشمسُ والفلاة
 والغيمُ والسماءُ
 وكل ما أراه
 هناك حيث كان سورُها، المياه
 تشعُّ في الخليجِ».
 وقال جدُّنا ولجَّ في النشيج:
 «ولن أراها بعدُ، إنَّ عمريَ انقضى
 وليس يُرجع الزَّمان ما مضى.
 سوف أراها فيكُم، فأنتم الأريج
 بعد ذبول زهرتي. فإن رأى إرم
 واحدكم فليطرق البابَ ولا ينم.
 إرمٌ...
 في خاطري من ذكرها أَلَم،
 حُلُم صباي ضاع... آه حين تمَّ
 وعمري انقضى».

في الليل

الغُرْفَةُ، موصدة البابِ
والصَّمْتُ عميقُ
وستائرُ شبّاكي مرخاةً..

رُبَّ طريق
يتنصّتُ لي، يترصدُّ بي خلفَ الشّبّاك، وأثوابي
كمفرّجِ بُستان، سودُ
أعطاها البابُ المرصودُ
نَفْسًا، ذرَّ بها حسًّا، فتكاذُ نفيقُ
من ذاك الموت، وتهمس بي، والصَّمْتُ عميق:
«لم يبقَ صديق

ليزورك في الليل الكابي
والغُرْفَةُ موصدة البابِ». ولبستُ ثيابي في الوهم
وسريتُ: ستلقاني أمِّي
في تلك المقبرة الثكلى،
ستقول: «أفتحمُ اللَّيلا

من دون رفيق؟
 جوعان؟ أأأكلُ من زادي:
 خرّوبِ المقبرة الصادي؟
 والماءُ ستنهلهُ نهلاً
 من صدر الأرض:
 ألا ترمي
 أثوابك؟ والبسُ من كَفَنِي،
 لم يَبْلَ على مرِّ الزَّمنِ؛
 عزريلُ الحائكُ، إذ يبلُ،
 يرفوه. تعال ونَمْ عندي:
 أعددتُ فراشاً في لَحْدِي
 لك يا أغلى من أشواقِي
 للشمس، لأمواءِ النَّهْرِ
 كسلى تجري،
 لهْتَافِ الدَّيْكَ إذا دَوَّى في الآفاقِ
 في يومِ الحَشْرِ».

سأخذُ دربي في الوَهْمِ
 وأسيرُ فتلقاني أُمِّي.

في انتظار رسالة

وذكرتها، فبكيتُ من ألمي:
 كالماء يصعدُ من قرار الأرض، نَزَّ إلى العيون دمي
 وتحرّقت قطراته المتلاحقات لتستحيلَ إلى دموعٍ
 يخنقنني فأصكُ أسناني، لتتقذفَ الضلوع
 موجاً تحطّم فوقهنَّ وذابَ في العدم.

دخانٌ من القلب يصعدُ
 ضبابٌ من الروح يصعد
 دخانٌ... ضبابٌ
 وأنتِ انخطافٌ وراء البحار، وأنتِ انتحابٌ
 ونوحٌ من القلب كالمدّ يصعد
 ودمعٌ تجمّدُ
 وغصّت به الآه في الحنجرة.
 ذكرتك يا كلّ روحي ويا دفء قلبي إذ الليل يبرد
 ويا روضةً تحت ضوء النجوم بقداحها⁽¹⁾ مُزهره.

(1) القدّاح: زهر شجر البرتقال والليمون. (م)

وذكرتُ كَلْتَنَا⁽¹⁾ يهف بها ويسبحُ في مداها
 قَمَرٌ تحيرَ كالفراسة، والنجومُ على النجوم
 دندنَ كالأجراس فيها، كالزنابق إذ تعومُ
 على المياه... وفضضَ القَمَرُ المياهَا.
 وكأنَّ جسمك زورقُ الحبِّ المحمَّلُ بالطيوب
 والدَّفءِ، والمجدافُ هَمَسُ في المياه يرن آها
 فأها والنَّعاس يسيل منك على الجنوب
 فينامُ فيه النَّخْلُ تلتمعُ السطوحُ بنومهنَّ إلى الصباح.
 أواه، ما أحلاك! نام النورُ فيك ونمتَ فيه،
 والليلُ ماءً، والنباح
 مثل الحصى ينداح فيه، وأنتِ أوَّلُ وارديه،

هو الصَّيْفُ يلثمُ شطَّ العراقِ
 بغيما تَه ذاب فيها القَمَرُ،
 وتوشكُ تسبح بيضُ النجوم لولا برودة ماء النَّهَرِ
 وهفَّ شراعٌ لأضلاعه في الهواء اصطفاقُ،
 وغنى مغنٍّ وراء النَّخيلِ

(1) الكَلَّة: أو «الناموسية» كما يعرفها المصريون، قماش رقيق غيظ على شكل خيمة مربعة ليمنع الحشرات عن النائمين فوق سطوح البيوت. (م)

يغمغمُ: «يا ليلُ، طال السَّهرُ

وطال الفراق!»

كأنَّ جميعَ قلوبِ العراقِ

تُنادي، تريد انهمارَ المطرِ.

وصعدتُ نحوكَ والنعاسُ رياحُ فتراتٍ تحملُ الورقا

لتمسَّ شعركِ والنهودَ به، تموتُ

حيناً وتلهثُ في النوافذِ من بيوت

ألقاكِ في عُرفاتها، وأشدُّ جسمكِ فارَ واحترقا.

إنِّي أريدكِ، أستهيكِ أمْسَ ثغركِ في رساله

طال انتظاري وهي لا تأتي، وتحترقُ الزوارقُ والتخوت

في ضفّة «العُشَّار»⁽¹⁾ تنفضُ، وهي لاهثةٌ، ظلاله

علَّ الرِّياحِ حملنَ منكِ لها رساله.

لم تبخلين عليَّ بالورقات، بالحبر القليل وسحبة القلم الصَّموت؟

إنني أذوبُ هوىً، أموتُ

وأحنُّ منكِ إلى رساله.

لندن 1963/3/9

(1) نهر مدينة البصرة الرئيسي. (ش)

البابُ تقرعهُ الرياح

البابُ ما قرعته غيرُ الرِّيحِ في اللَّيْلِ العميقِ،
البابُ ما قرعته كفُّك.

أين كفُّك والطَّرِيقُ
نَاءٍ؟ بحارٌ بيننا، مُدُنٌ، صحارى من ظلامٍ
الرَّيحُ تحمل لي صدى القُبَلات منها كالحرِّيقِ
من نخلةٍ يعدو إلى أخرى ويزهو في الغمامِ

البابُ ما قرعته غيرُ الرِّيحِ...
آه لعلَّ روحاً في الرِّيحِ
هامت تمرّ على المرافى أو محطاتِ القطارِ
لتسائل الغرباء عني، عن غريبٍ أمسٍ راح
يمشي على قدمين، وهو اليوم يزحفُ في انكسارِ.
هي روحُ أُمِّي هزها الحب العميقُ،
حب الأمومة فهي تبكي:

«آه يا ولدي البعيدَ عن الديار!

ويلاه! كيف تعودُ وحدك، لا دليل، ولا رفيق؟
 أمّاه... ليتك لم تغيّبي خلف سورٍ من حجار
 لا بابَ فيه لكي أدق ولا نوافذَ في الجدار!
 كيف انطلقتِ على طريقٍ لا يعود السّائرون
 من ظلمةٍ صفراءٍ فيه كأنها غَسَقُ البحار؟
 كيف انطلقتِ بلا وداع فالصّغار يولولون،
 يترامضون على الطريق ويفزعون فيرجعون
 ويُسائلون الليل عنك وهم لِعودك في انتظار؟
 الباب تقرعه الرياح لعلّ روحاً منك زار
 هذا الغريب!! هو ابنك السهران يُحرّقه الحنين.
 أمّاه ليتك ترجعين
 شبحاً. وكيف أخافُ منه وما امحُت رِغم السنين
 قسماً وجِهك من خيالي؟
 أين أنتِ؟ أسمعُ
 صرّخاتٍ قلبي وهو يذبحه الحنينُ إلى العراق؟

الباب تقرعه الرياحُ تهبّ من أبدِ الفراق؟

من ليالي السهاد

1 - ليلة في لندن

كما ينسلُّ نورٌ خائفٌ من فُرْجَةِ البابِ
 إلى الظلماءِ في غُرفه
 سمعتُ هُتافَه المجرَّوحَ يعبرُ نحوِي الشُّرفه
 ليرفعَ من سماوةِ لندنَ اللَّيْلَ المُطْلَ بلونه الكابي
 على الطُّرُقَاتِ ترقُدُ في دثارِ الثلجِ ملتقمة.
 وأمسٍ سمعتُ في إيرانَ صوتَ الدِّيكِ في الفجرِ،
 ومن أَفْقِ المنائرِ في الكويتِ وزُرْقَةِ البحرِ
 أهابَ، فرشَ جفني بالنُّعاسِ (رنينُ أكوابِ
 بماءِ البصرةِ الرَّقراقِ تُملاً ثمَّ تسقيني)،
 نداءً راح ينثره المؤذِّنُ...: أطفئِ الفانوسَ، رفّ ضياؤه رفّه
 وبعثره الظلام.

وليلي الأواهُ في بيروت يُحييني

لأبصرَ فيه وجَهَ الموت، راح يُذِيْبُهُ نَبْعٌ مِنَ اللَّهْفِهِ
 تَدَقَّقَ مِنْ فَوَادِ الْبُلْبُلِ الْمَسْكُوبِ بَيْنَ غُصُونِ كَبْلَابِ
 لِيَالٍ مِنْ عَذَابٍ، مِنْ سَقَامٍ، لَسْتُ أَنْسَاهَا:
 غَرِيباً كُنْتُ حَتَّى حِينَ أَحْلَمُ، لَسْتُ فِي جِيكُورِ
 وَلَا بَغْدَادٍ، أَمْشِي فِي صَحَارِي قَلْبِي الْمَسْعُورِ
 يُرِيدُ الْمَاءَ فِيهَا: «مَاءٌ... أَيْنَ الْمَاءُ؟» وَهِيَ تُرِيهِ أَفْوَاهَا
 عَلَى آفَاقِهَا الرِّبْدَاءِ ظُمَأَى تَشْرَبُ الدَّيْجُورِ
 فَلَا تَرَوِي. أَأَقْضِي الْعَمْرَ فِي صَحْرَاءَ، فِي لَيْلٍ مِنَ الْعَطَشِ؟
 أُفْتَشُّ عَنْ عَيُونِ الْمَاءِ، عَنْ إِسْرَاقَةِ الْغَبَشِ؟
 كَأَعْمَى نَالَ مِنْهُ الشُّكْرُ صَاحٍ، وَرَفَرَفَتْ كَفَاهُ بَيْنَ مَسَانِدِ الْمَاخُورِ
 لِيَبْحَثَ عَنْ رَفِيقٍ: «أَيْنَ جَارِي؟ أَيْنَ دَارِي؟ أَيْنَ - أَوَاهَا -
 أَمِيرَتِي الَّتِي كَانَتْ تَنَاولُنِي كُؤُوسَ النَّوْرِ؟
 فَيُبْصِرُ قَلْبِي الدُّنْيَا وَيَلْقَاهَا؟»

كَأَنَّ الصُّبْحَ أَشْرَقَ فِي الْعِرَاقِ، وَتَعَبَرُ الرُّؤْيَا
 بِحَاراً بِي وَتَطْوِي أَلْفَ دَرَجٍ فِي الدَّجَى تَاهَا:
 تَرَاجَعَ عَالَمٌ وَأَطْلَ ثَانٍ: عَالَمٌ يَحْيَا
 عَلَى الْأَقْمَارِ تُوَلَّدُ ثُمَّ تَكْمَلُ ثُمَّ تَنْدَثِرُ،

وما لبس الجديدَ بغير يوم العيد، يدّخرُ
ويجمع ثمَّ ينفق ثمَّ يضحك وهو يفتخر
بأن الله يرزق حين يرزق... هكذا الدنيا
شتاءً ثمَّ صيفٌ. ليس في جيّكُورَ محتكرُ
ولا فيها مصارفُ أو جرائدُ: «لَيْلُ كورِيا
يُرى شَفَقاً من النيران».

فالنيران فيها حين تستعر
تضيء لحي الشيوخ يحدثون، وأعينُ النسوة
تحقق في الطعام وترقب الأطفال في نشوه.
أعدني يا إله الشرق والصحراء والنخلِ
إلى أيامي الحلوه،
إلى داري، إلى غيلانَ أَلثْمُه، إلى اهلي!

2 - ليلة في باريس

وذهبت فأنسحب الضياء،
 أحسستُ بالليل الشتائي الحزين، وبالبكاء
 ينثال كالشلال من أفق تحطّمه الغيوم.
 أحسستُ وخز الليل في باريس، واختنق الهواء
 بالفهقهات من البغايا... آه! ترتعش النجوم
 منها كبثور الثريّات الملطّخ بالدماء
 في حانةٍ لمُدَى السكارى في جوانبها انتضاء.
 لم يبقَ منك سوى عيّر
 يبكي وغيرُ صدى الوداع: «إلى اللقاء!».

وتركت لي شفقاً من الزّهرات جمّعها إناء
 كالأنجم الزرقاء والحمراء في أفق به حلم الصغير،
 أرجعن لي عمّر الطفولة: يا محاراً في غدير
 تتقارعُ الأقداح فيه، ترن أجراسُ كثاز:
 خوْخْ وأعناّب ورمان... وتمتلئُ الجرار
 عند الغروب؛ هو الخريف ونحن نسمر حول نار.

وكمستفيقٍ في العراء
 من حلمه: هو شَهْرِيَّار وتلمس الكفُّ الخُواء
 ذهبَ التُّرابُ... ورنَّ في الليل النُّباحُ أو العواء،
 عانقتُ كفَّكَ باليدين: «إلى اللقاء»!
 - «إلى اللقاء»!

وذهبتِ فانسحبَ الضياء.

لو صحَّ وعدك يا صديقه،
 لو صحَّ وعدك. آه لانبعثُ وفيقه
 من قبرها، ولعاد عمري في السنين إلى الوراء.
 تأتين أنتِ إلى العراقِ؟

أمدُّ من قلبي طريقه
 فامشي عليه. كأنما هبطتُ عليه من السماء
 عشتار فانفجر الربيعُ لها وبرعتِ الغُصون:
 توتُ ودفلى والنخيل بطلعه عبَقَ الهواء،
 وهو الأصيل وتلك دجلةُ

والنواثي الخفاف يردّدون:

«يا ليتني نجمُ الصباح

آه لأسقطَ يا حبيبي، إذ تنام، على الغطاء،
 أعتل بالبرد: ارتجفتُ فلفَنِي، بَرَدَ الهواء!«
 وهو الأصيل وأنتِ في جيكَورَ تجتذب الرياح
 منك العباءة، فاخليها...
 ليس يدثر الضياء!

يتماوج البَلَمُ⁽¹⁾ النحيلُ بنا، فتتشرُّ النجومُ
 من رَفّةِ المجداف كالأسماك تغطس أو تعوم،
 ويحار بين الضفّتين بنا كأنا منه في أبَد الزمان:
 زمن ولا ماضٍ يعود له، ولا غَدَ كي يسيرَ
 إليه. تنطفئُ النجومُ ونحن نحن العاشقان.

وذهبتِ فانسحب الضياء،
 لم يبق منك سوى عبير
 يبكي وغير صدى الوداع: «إلى اللقاء!»
 وتركت لي شفقاً من الزهرات جمّعها إناء...

باريس 1963/3/18

(1) البلم: زورق البصرة ذو الشكل الشبيه، إلى حد ما. بجندول (البندقية). (ش)

3 - ليلة في العراق

وألهبَ كلَّ ألواح الزجاج الزُّرق في الظلماء
 فنورَ غرفتي، إيماضُ بريقٍ ثمَّ رشٌّ مدارجَ الأفقِ
 نثارٌ من حُطام الرعد فارتعشتْ له الأصدا
 وحفَّ، على الدجى، غابٌ من الأمطار والأزهار والورق،
 وكنتُ أصبح من أرقى
 ومن مرضي: «أريد الماء!»
 وتخنق صوتي الظمآن وهوَه الدجى والماء.
 ويعول من بعيدٍ بوقُ سيَّاره
 يجيئُ إليَّ عبر الماء في الحاره،
 يجيئُ إليَّ من أعماق بحرٍ شمسهِ الخضراء
 تنثُّ على شراع السندباد أزاهر الشَّفَقِ.
 وكنتُ أصبح من أرقى
 ومن مرضي: «أريد الماء!».
 كأني وسط هذا الكون حيث يسوطني العطش

نواةً حولها ارتجفَ العصيرُ الحلوُ في ثمره
ويُحرقها صداها.

وانتظرتُ: سيغسل الغبشُ

صداي، يُحيلني شجره

تمصُّ الماء، يقرع في مداها النُسخُ آلاف الدرابك حين يرتعشُ⁽¹⁾

وألقى البرقُ، أرقصَ، ظلَّ نافذتي على الغرفة

فذكرني بماضي من حياتي كله أُلْمُ:

طفولتي الشقية، والصبي، وشبابي المفجوع تضطرمُ

مشاعري البريئة فيه: كيف يجوع آلاف من الأطفال ملتفه

بآلاف الخُروق تعربد الريح الشتائيّة

بها وأظلم أحلم بالهوى، والشطّ والقمر؟

وتزحم كلّ دربٍ من دروبي هذه الخُوذُ الحديديه

وتتبعني عيون الموت من زُمر البنادق نَزَّ بالشررِ

كواها... في دروب الجوع ألْهت زائغَ النظر.

(1) ورد هذا البيت في طبعة دار «الطلیعة» ودار «العودة» والطبعات اللاحقة التي اعتمدت الطبعتين على هذا النحو: «تمصُّ الماء، يقرع في مداها النُسخُ!» وهذا شطر ناقص، فقد سقطت من معد الطبعتين تكملة البيت الشعري التي اضفتها استناداً لنص القصيدة ذاتها المنشور في مجلة «حوار»، عدد تموز - آب 1963، راجع ص 29. كما أن مخطوطة القصيدة بخط السياب تورد البيت كاملاً كما ثبتناه في المتن. (م)

وإذ يتمرد الإنسان فيَّ على العبودية
أثور على الشيوعية.

ولكنَّ البنادق ما تزال عيونها الغضبي
تطاردني لأنني غَيْرَ رَبِّي وحده، لم أَتخذ ربا.

وحين تنفست عند انحسار اللَّيل عُستارُ
تنفُّضٍ جُرحِ تَمْوَزِ المدمى، تغسل التُّربا
عن الجنبات منه، وحين هَدَّ البغي ثَوَارُ،
أرحتُ جبينِي المحمومُ

على شَبَّاك داري أرقب الدُّربا
تدْفُقُ بالحبال وبالعصِيَّ يشدُّها العارُ⁽¹⁾
لتسحبَ أو تمزَّقَ جِسْمُ طفلٍ ثغره المحروم
من القبلات والغنوات والزادِ
ينادي دون صوتٍ:

«آه يا أُمِّي! عرفتُ الجوع والآلام والرُّعبا

ولم أعرف من الدُّنيا سوى أَيَّامِ أعيادِ

(1) حين اطلعتُ على مخطوطة القصيدة وجدتُ هذا الشطر على النحو التالي: «تدْفُقُ بالعصي
وبالحبال يشدُّها العار»، ويبدو أن الشاعر غير ترتيب الكلمات لاحقاً. (م)

فتحت العين فيها من رقادي لم أجد ثوباً
جديداً أو نقوداً لامعاتٍ تملأ الجيباً
لأن أبي فقيراً كان.

يا لكِ ثورةً تتأكلُ القلباً
فأصرخ: «أيها الجبناء كفوا!!»

ثمّ تزحم دربي الخوذ الحديدية
وتخنق من فم التنور في داري
فألهث في دروب الجوع أطحن من حصاها ثمّ أعجنه
وأقذفه إلى النارِ
لأطعم منه زُغباً يطلبون الزاد في قر العشيات الشتائية.

ويمضي بالأسى عامان، ثمّ يهدّني الداء...
تلاقفني الأسرّة بين مستشفى ومستشفى
ويعلكني الحديد.

ومن دمي ملأ الأطباء
قنانيّ وزعوني في القناني: تصبغ الصيفا
دمائي والشتاء.

وذاث صُبْح قيل إن الشرّ قد دُحرا
ودكّ معاقل الطاغوت في بغداد أبطال
فقلتُ: سأوقدُ القمر

سراجاً عند بابي: إنه ظفري، أما قالوا
بأن الشرَّ قد دُحرا؟

وعدتُ إلى بلادي. يا لنقالات إسعافٍ
حملن جنازتي!! متمدداً فيها أئنُّ رأيتُ (غيلانا)
يحدِّق، بانتظاري، في السَّماء وغيمة السَّافي.
وما هو غير أسبوعين ممتلئين أحزانا
ويفجأني النَّذير بأنَّ أعواماً من الحرمان والفاقة
ترصدُّ بي هنا، في غابة الخُوذِ الحديدي

غريقٌ في عباب الموج تنحبُّ عنده الغاقة⁽¹⁾
تننُّ الريح في سَعَف النخيل، عليه... ترثيه.
قصائده الحزينة بين أوراق من الدفلى أو الصفصاف تبكيه!

البصرة 1963/4/8

(1) الغاقة: النورس، طائر بحري.

خلا البيت

خلا البيتُ، لا خفقةٌ من نعالٍ
 ولا كركاتٍ على السُّلَمِ،
 وأنتَ على البابِ ريحُ الشمالِ
 وماتت على كرمه المظلم:
 تلاشتُ خُطى موكبِ الدّافنينِ
 ومن مسجدِ القريةِ المعتمِ
 تلوّى، كما رفّ فوق السفينِ
 شراعٌ حزين،
 أذانٌ (هو الله باقٍ، وزال
 عن الأرضِ إلّاه): الله أكبرُ؛
 وفي قبره اهتزّ، كالبرعمِ
 إذا الصُّبحُ نور،
 دفينٌ... وأصغى: أنين الرمالِ
 وتهويدهُ النَّخلِ ينعس والليلُ أقمر.

وفي بيته الآن - خلّ العويل
 ونوح اليتامى ونذب النساء.
 لقد فتّح الآن زهر الشتاء
 ليملاً تنوره بالشذى والضياء،
 أنار وجوهاً وأخفى وجوهاً، فسال الأصيل
 ينثُّ سنابله الدافئه،
 وسمراء تُصغي إلى الشاي فوق الصّلاء
 يوسوسُ عن خيمة في العراء
 وعن عيشة هائلة.

خلا البيت وانسلّ لون المغيب
 إلى المخدع المقفر،
 هنا كان يطوي خيوط الدروب
 صغيران تطفئُ شمس الغروب
 بشعريهما نار فانوسها الأحمر؛
 إذا ما ارتخت تحت ظلّ الهجير
 جفونٌ يرتقّ فيها النعاس
 أفاء إلى قصّة عن أمير

تخطّفه الجنُّ حتّى أتى منزلاً من نُحاس

تلامح شبّاكه عن أميره

تُدلّي إليه الضفيره

ليرقى إليها.

خلا البيت إلّا بقايا أنين⁽¹⁾

يصعّدها شاطئ من حنين.

البصرة 1963/7/26⁽²⁾

(1) ورد هذا البيت في طبعة دار «العودة» وسواها، على هذا النحو: «خلا البيت إلّا أنين يابقا»، وهو تركيب لا يستقيم معه الوزن التفعيلي ولا المعنى، وقد عدّلتها إلى «بقايا أنين» ليستقيم الوزن والمعنى، وأغلب الظن أنه خطأ طباعي وقع فيه معد الديوان أثناء العمل، هذا كان ظني الشخصي، حتى عثرتُ على المخطوطة الأصلية للقصيد فوجدت الشطر مكتوباً بخط السيّاب كما تخيلته تماماً وكما هو مدوّن الآن. (م)

(2) حين نُشرت القصيدة في ديوان «شناسيل ابنة الجلبلي» ورد تاريخ كتابتها 1964 / 7 / 26 وهو غير صحيح، إذ أنني وجدت تاريخها في المخطوطة الأصلية: 1963 / 7 / 26. (م)

جيكور وأشجار المدينة⁽¹⁾

أشجارها دائمة الخُضرة
 كأنها أعمدةٌ من رخام
 لا عُري يعرفوها ولا صفرة،
 وليلُها لا ينام
 يُطلع من أقداحه فجره.

لكنَّ في جيكور
 للصفِّ ألوانٌ كما للشتاء،
 وتغرب الشمسُ كأنَّ السماء
 حقلٌ يَمْصُ الماء،
 أزهاره السكرى غناء الطيور،
 ناحلةٌ كالصدي

(1) أثناء البحث والإعداد لهذه الطبعة، ومن بين المخطوطات الأصلية التي تكرم فيها علي السيد غيلان بدر شاكر السياب، عثرنا على مخطوطة نادرة تضم قصيدة «جيكور وأشجار المدينة» الشهيرة، وفيها مقطع كامل لم يسبق نشره أو الاطلاع عليه، نورده في هامش لاحق. (م)

أنغامه البلّور،
 كأن فيها مدى
 يجرحن قلبي فيستنزفن منه النور.

وتغرب الشمس وهذا المساء
 أمطر في جيکور...
 أمطر ظلاً، نث صمتاً: مساءً
 غافٍ على جيکور.⁽¹⁾

(1) بعد هذا البيت، يورد السيّاب في المخطوطة المكتشفة مقطعاً كاملاً لم يُنشر وقتها في ديوان «شناسيل ابنة الجلبي»، والمقطع هو:
 «وهذه الأشجار
 دائمة الخضرة
 أوراقها ترجف مشبوحة الأعراق مغبرة
 إذا ارتعى فيها صفيّر القطار
 يقذف بعد السفار
 وجهاً على لوحة، كفّاً على صخره
 رجلاً على كلّ دار.
 أغنية واحدة للألوف
 تخرج كالبركان من حنجرة
 حنجرة واحدة كهفها جمع كلّ الكهوف
 يا معبراً للروح يا قنطره
 في لحنها، في لفظها والحروف
 تجمع بين الألوف». (م)

واللَّيْلُ في جيكور
تهمس فيه النجوم
أنغامها، تولد فيه الزهور
وتخفقُ الأجنحه
في أعين الأطفال، في عالمٍ للنَّوم - مرَّت غيوم
بالدرب مبيضاً بنور القمر،
تكادُ أن تمسحه،
تسرقُ منه الزَّهْرَ...

البصرة 1963/4/22

ها.. ها.. هُوهُ⁽¹⁾

تنامين أنت الآن واللَّيْلُ مُقَمَّرُ
أغانيه أنسامٌ وراعيه مِزَهْرُ،
وفي عالم الأحلام، من كُلِّ دَوْحَةٍ
تَلْقَاكِ مَعْبَرُ
وبابٌ غفا بين الشجيراتِ أخضرُ.
لقد أثمر الصمْتُ (الَّذِي كَانَ يُثْمِرُ
مع الصُّبْحِ بالبوقاتِ أو نوحِ بائِعِ)،
بتينٍ من الذكرى وكَرَمٍ يُقَطِّرُ
على كُلِّ شارعٍ فيحسو ويسكُرُ
برفقٍ، فلا يهذي ولا يتنَمَّرُ.

رَأَيْتُ الَّذِي لَوْ صَدَّقَ الْحُلْمُ نَفْسَهُ

(1) ها ها هو: هي أهزوجة في الغناء الريفي البصري كانت سائدة في الأربعينات والخمسينات، خصوصاً في «أبي الخصب». (م)

لمدّ لك الفما
وطوق خصرأ منك واحتازَ معصما؟
لقد كنتِ شمسهُ
وشاء احتراقاً فيكِ، فالقلب يُصهرُ
فيبدو، على خَدَّيكِ والشَّعرِ، أحمرُ
وفي لَهْفٍ يحسو ويحسو فيسكرُ.

* * *

لقد سئم الشَّعرَ الَّذي كان يكتبُ
كما ملَّ أعماقَ السماء المذنبُ
فأدمى وأدمعا:
حروبٌ وطوفانٌ، بيوتٌ تُدمرُ
وما كان فيها من حياةٍ تصدعا.
لقد سئم الشَّعرَ الَّذي ليس يذكرُ
فأغلق للأوزانِ باباً وراءه
ولاح له بابٌ من الآسِ أخضرُ
أراد دخولاً منه في عالم الكرى
ليصطاد حلماً بين عينيكِ يخطرُ
وهيهات يقدرُ!

* * *

من النَّفس، من ظلماتها، راح ينبع
 ويتثال نَهْرٌ سال فانحلَّ مثرُ
 من الثُّور عن وضاء تخبو وتظهرُ.
 وفي الضفَّة الأخرى تحسِّن صوته
 (فما كان يُسمَعُ)
 كما يشعر الأعمى إذ النور يظهرُ،
 يناديك:

«ها.. ها... هو»

ماءٌ ويقطُرُ

من السَّعفة الشَّوى
 بما شربتُ من غيمةٍ نثها نجوى
 وأصداء أقدامٍ إلى الله تعبرُ.

وناديت: «ها.. ها... هو» لم ينشرِ الصدى
 جناحيه أو يبكِ الهواءُ المثرثُ.
 ونادى ورددا: «ها.. ها... هو!».
 وفتحت جَفَنًا وهو ما زال ينظرُ،
 ينادي ويجأرُ.

أحبيني..!

وما من عادتي نكرانُ ماضيٍّ الذي كانا،
ولكن.. كلُّ من أحببتَ قبلك ما أحبوني
ولا عطفوا عليّ؛ عشقتُ سبعاَ كنَ أحيانا
ترفُّ شعورهن عليّ، تحملني إلى الصَّينِ
سفائنٌ من عطور نهودهن، أغوص في بحرٍ من الأوهام والوجدِ
فالتقط المحار أظنُّ فيه الدَّر، ثمَّ تظلُّني وحدي
جدائلُ نخلةٍ فرعاء
فابحث بين أكوام المحار، لعلَّ لؤلؤةَ ستبزغ منه كالنَّجمه،
وإذ تدمي يداي وتُنزع الأظفار عنها، لا ينزُّ هناك غيرُ الماء
وغير الطين من صَدَفِ المحار، فتقطر البسمه
على ثغري دموعاَ من قرار القلب تنبثقُ،
لأن جميع من أحببتُ قبلك ما أحبوني.
وأجلسهنَّ في شُرَف الخيال... وتكشف الحرق
ظلالاً عن ملامهنَّ: آه فتلك باعطني بمأفونٍ

لأجل المال، ثمَّ صحا فطلقها وخلّاها.
وتلك... لأنها في العمر أكبرُ أم لأنَّ الحُسْنَ أغراها
بأني غير كفءٍ، خلّفتني كلما شرب الندى ورقُ
وفتح بُرْعُمُ مثلّتها وشممتُ رِيّاها؟
وأمسٍ رأيُها في موقفٍ للباصٍ تنتظرُ
فباعدتُ الخطى ونأيتُ عنها؛ لا أريد القربَ منها،
هذه الشمطاء

لها الولايات؟ ثمَّ عرفتها: أحسبتُ أنَّ الحُسْنَ ينتصرُ
على زمنٍ تحطّم سور بابلَ منه، والعنقاء
رماذٌ منه لا يُذكيه بعثٌ فهو يستعر؟
وتلك كأنّ في غمازتيها يفتح السّحرُ
عيونَ الفُلِّ واللّباب، عافنتني إلى قصرٍ وسيّاره،
إلى زوجٍ تغيّر منه حالٌ، فهو في الحاره
فقير يقرأ الصحفَ القديمةَ عند باب الدار في استحياء،
يحادثُها عن الأمس الذي ولّى فيأكل قلبها الضّجرُ.
وتلك وزوجها عبداً مظاهراً ليلها سَهْرُ
وخمرٌ أو قمارٌ ثمَّ يوصدُ صُبْحها الإغفاء
عن النّهر المكرر للشرع يرفّ تحت الشمس والأنداء.

وتلك؟ وتلك شاعرتي التي كانت لي الدنيا وما فيها،
 شربتُ الشَّعر من أحداقها ونعستُ في أفياء
 تنشرها قصائدها عليّ: فكل ماضيها
 وكل شبابها كان انتظاراً لي على شطِّ يهوُم فوقه القَمَرُ
 وتنعس في حِماه الطيرُ رشُّ نَعاسها المطرُ
 فنبهها فطارت تملأ الآفاق بالأصدا ناعسةً
 توج النور مرتعشاً قوادمها، وتخفُّ في خوافيها
 ظلالُ الليل. أين أصيلنا الصيفيُّ في جيكوز؟
 وسار بنا يوسوس زورقُ في مائه البلّور؟
 وأقرأ وهي تُصغي والربى والنَّخل والأعنان تحلم في دواليها؟
 تفرَّقت الدروب بنا نسير لغير ما رجعه،
 وغيبها ظلامُ السجن تؤنسُ ليلها شمعهُ
 فتذكرني وتبكي. غير أنني لستُ أبكيها
 كَفَرْتُ بأمةِ الصحراءِ
 ووحى الأنبياء على ثراها في مغاور مكّة أو عند واديها.
 وآخرهن؟!
 آه.. زوجتي، قَدَري. أكان الداء
 ليَقْعِدني كأني ميّتٌ سكران⁽¹⁾ لولاها؟

(1) وجدها في المخطوطة: سهران. (م)

وهأنأ.. كلُّ من أحببتُ قبلكِ ما أحبّوني.^(١)

وأنتِ؟ لعلّه الإشفاق!!

لستُ لأعذر الله

إذا ما كان عطفٌ منه، لا الحبُّ، الَّذي خلّاه يسقيني

كؤوساً من نعيمٍ.

آه، هاتي الحبَّ، روّيني

به، نامي على صدري، أنيمي

على نهديك، أوّاه

من الحرقِ التي رضعْتُ فؤادي ثمةً افترستُ شراييني.

أحييني

لأنني كلُّ من أحببتُ قبلكِ لم يُحبّوني.

باريس 1963/3/19

(١) وجدتُ الشطر في مخطوط القصيدة بخط السيّاب على هذا النحو: «وهأنأ كل من أحببتُ قبلكِ لم يحبّوني». (م)

يقولون تحيا...

لأُحِبُّ لو أنَّ في القلب بُقيا
 - وقد لَقَّه اللَّيْلُ - للمشرق،
 يقولون «ما زلت تحيا».. أيحيا
 كسيح إذا قام أعيان
 به الداءُ فانهار، لم تخفقِ
 على الدرب منه الخطى؟ يا أساه
 ويا بؤس عينيه ممّا يراه؟

يقولون: «تحيا» فيبكي الفؤادُ
 فلو لم يكن خافقاً لاستراح؛
 كطيرٍ رميَّ يجزُّ الجناح
 وقد مد، عبر الرّبي والوهاد،
 بعينه: في دوحَةٍ خلف تلك الظلالِ
 سجا عشّه، فيه زُغْبٌ جياغ

إذا حَجَبَ الغَيْمُ ضوءَ الهلال
يقولون «هذا جناح أبينا وقد عاد بعد الصراع
بزهره،

بقطره

من الطلّ».. حتَّى يُطلَّ الصُّباح.

كطيرٍ رميَّ يجزُّ الجناح،
أقضي نهاري بغير الأحاديث، غير المنى،
وإن عَسَسَ الليلُ نادى صدَى في الرياح:
«أبي.. يا أبي، طاف بي وانشى،

«أبي... يا أبي»

ويُجهش في قاع قلبي نُواح:

«أبي... يا أبي».

«أبي... يا أبي» في صفيح القطار

«أبي... يا أبي» في صياح الصَّغار

(خفاف الخطى يعبرون الدروب

بلا غاية، يقطفون الثَّمار

ولا يُطعمون ابنةَ جائعه.

ولي منزل في سهول الجنوب

إذا كنتُ أسعى، من السابعة
 إلى أوبة الطير عند الغروب،
 فكي أطمعَ الجائعين
 وراء نوافذه شاخصين
 إلى الدرب: «أين الأبُ المَطْعِمُ»
 «أبي... يا أبي» والدُّجى مُظْلِمٌ
 وجيكورُ خلف الدجى والدروب وخلف البحار.

لندن 1963/2/23

وغداً سألقاها

وغداً سألقاها،
 سأشدُّها شداً فتهمس بي
 «رحماك» ثم تقول عيناها:
 «مزّق نهودي، ضمّ - أوّاها -
 ردفي... واطو برعشة اللّهبِ
 ظهري، كأنّ جزيرة العربِ
 تسري عليه بطيب رباها».

ويموج تحت يدي ويرتجفُ
 بين التّمنّع والرضا ردْفُ،
 وتشبّ عند مفارق الشّعْرِ
 نارٌ تدغدغها: هو السّعْفُ
 من قرّيتي رعشتُ لدى النّهرِ
 خوصاته؛ وتلين لا تدري

أَيَّانَ تَنْقُذُفُ.

ويهيئُ ثَغْرِي وهو منخطفُ،

أَعْمَى تَلَمَّسَ دَرْبَهُ، يَقِفُ

ويجسُّ: نهداها

يتراعيان، جوانب الظَّهْرِ

تصطكُ، سوف تبُلُّ بالقطرِ؛

سأذوب فيها حين ألقاها!

لندن 1963/2/27

ليلة وداع

(إلى زوجتي الوفية)

أَوْصَدِي الباب، فدنيا لستَ فيها
 ليس تستأهل من عيني نظره.
 سوف تمضين وأبقى... أي حسره؟
 أتمنّى لك ألا تعرفيها؟
 أه لو تدرين ما معنى ثوائي في سرير من دم
 ميّت الساقين محموم الجبين
 تأكل الظلماء عيناى ويحسوها فمي
 تائهاً في واحةٍ خلف جدارٍ من سنين
 وأنين
 مستطار اللبّ بين الأنجم.

في غدٍ تمضين صفراء اليد
 لا هوى أو مغنم، نحو العراق

وتحسّين بأسلاك الفراقِ
 شائكات حول سهلٍ أجرد
 مدّها ذاك المدى، ذاك الخليج
 والصحارى والروابي والحدود
 أيّ ريشٍ من دموعٍ أو نشيج
 سوف يُعطينا جناحين نرود
 بهما أفق الدجى أو قبة الصبح البهيج
 للتلاقي؟
 كلُّ ما يربط فيما بيننا مخضٌ حنينٍ واشتياقٍ
 ربّما خالطه بعضُ النفاقِ!
 أه لو كنتِ، كما كنتُ، صريحه
 لنفضنا من قرار القلب ما يحشو جروحه
 ربّما أبصرت بعضُ الحقد، بعضُ السأم
 خصلةً من شعرٍ أخرى أو بقايا نَعَمٍ
 زرعناها في حياتي شاعره
 لست أهواها كما أهواك يا أغلى دمٍ ساقى دمي.
 إنها ذكرى ولكنّك غيرى نائره
 من حياةٍ عشتها قبل لقانا

وهوى قبل هوانا
أوصدي الباب. غداً تطويك عني طائرة
غير حبّ سوف يبقى في دمانا.

الكويت 1964/8/21

أغنية بنات الجن

شعورنا بللها المطرُ

وأشعلَ القمرُ

فيها فوانيسَ، فيا قوافلَ العَجَرِ

بشعرنا اهتدي،

سيرى إلى السَحَرِ،

سيرى إلى الغدِ!

نحن بناتُ الجنِّ لا ننامُ،

نهيمُ في الظلام

على ذُرَى التلالِ أو نركضُ في المقابرِ،

نعشقُ كلَّ عابرٍ،

نسمعه أغاني الشباب والغرامِ.

إن نزلتُ صبيَّةً فيها من البشرِ

وأوحشتها وحدةُ القبورِ أو دجنةُ الحُفَرِ

سرتُ أغانينا إليها تعبر التراب
 تقول: «إن عريتِ فالثياب
 تنسجها عناكبُ الشَّجرِ
 وكلُّ خيطٍ من خيوطها يرنّ كالوتر.
 نامي إلى أن يؤذنَ القَدَرُ
 ويُحشر الموتى إلى الحساب.
 حبيبك الوفيُّ مسَّ ثغره ابتسام،
 فقد رأى سواكِ.

بل رآك في قوامها النديّ كالزَّهرِ
 وهُدبها ومقلتيها. أشعل الهيام
 في عينه السَّهرَ،
 رآك فيه فاشتهاك. لبيته انتظر؟»

نلوح للطُّفل فراشاتٍ من الشُّعاع
 تخفقُ في ذوائب الشَّجرِ،
 ويلمحُ العاشقُ في عيوننا الوداع
 إذ يصفر القطار أو يصفقُ الشراع.
 ونحن للشاعر إن شعر

نلوح في الدُّخان والعقار،
نُشد: «فُلُكُ سَنَدْبَادَ ضَلَّ فِي الْبَحْرِ
حَتَّى أَتَى جَزِيرَةً يَهْمَسُ فِي شَطَائِهَا الْمَحَارُ،
يَهْمَسُ عَنْ مَلِيكَةٍ يُحِبُّهَا الْقَمَرُ
فَلَا يَغِيبُ عَنْ سَمَاءِ دَارِهَا النَّضَارُ».
فِيهِتَفِ الشَّاعِرُ: «خُذْنِي إِلَى حَمَاهَا
لَأُنِّي أَهْوَاهَا
لَأُنِّي الْقَمَرَ!»
وَجُنَّ وَانْتَحَرُوا.

شَعُورُنَا بَلَّلَهَا الْمَطَرُ،
وَيُرْشِفُ الْقَمَرُ
مِنْهَا إِلَى أَنْ يُقْبِلَ السَّحَرُ.
نَرُكُضُ فِي الْمَقَابِرِ
نُضِلُّ كُلَّ شَاعِرٍ
وَكُلَّ مَنْ عَبَّرَ؟!

جَيَكُورُ أُمِّي⁽¹⁾

تلك أُمِّي، وإن أجنُّها كسيحا
 لائماً أزهارها والماء فيها، والتراباً⁽²⁾
 وناقضاً، بمقلتي، أعشاشها والغابا:
 تلك أطيّار الغد الزرقاء والغبراء يعبرن السطوحا
 أو ينشُرْنَ في بوبِ⁽³⁾ الجناحين: كزهرٍ يفتّح الأفوافا.
 ها هنا، عند الضحى، كان اللقاء
 وكانت الشمس على شفاهها تكسّر الأطيافا
 وتسفع الضياء.
 كيف أمشي، أجوب تلك الدروب الخُصِرَ فيها وأطرق الأبوابا؟
 أطلب الماء فتأتيني من الفخار جرّه

-
- (1) إذا كان 3 (فاعلاتن مستفععلن فاعلان): = 3 فاعلاتن، 3 مستفععلن، 3 فاعلاتن مثلاً فإنَّ
 الفرضية التي تقوم هذه القصيدة موسيقياً، عليها صحيحة. أرجو أن تتاح الفرصة لتجربة
 هذه الفرضية على جهاز الأصوات الذي سبق للدكتور محمد مندور أن قام ببعض التجارب
 عليه في باريس. غير أني لم ألتزم بذلك إلا في الأجزاء الأولى من القصيدة. (ش)
 (2) ورد في مخطوطة القصيدة: «لائماً زهرها، ماءها وحتى التراب». (م)
 (3) نهر في جيکور.

تنضح الظلّ البرود الحلو... قطره

بعد قطره.

تمتدّ بالجرّة لي يدان تنشران حول رأسي الأطيابا:

«هالتي» تلك؟ أم «وفيقّة» أم «إقبال»؟

لم يبقَ لي سوى أسماء

من هوى مرّ كرعدٍ في سمائي

دون ماء.

كيف أمشي! خطاي مرّقها الداء. كأني عمود ملح يسير...

أهي عامورة الغويّة أم سادوم؟

هيهات... إنها جيكور:

جنّة كان الصبي فيها وضاعت حين ضاعا.

آه لو أنّ السنين السود قمح أو صخور

فوق ظهري حملتهنّ، لألقيت بحملي فنفضت جيكور

عن شجيراتنا تراباً يغشّيها وعانقت معزفي ملتا،

يجهش الحبّ، به، لحناً فلحنا

ولقاء فودعا.

آه لو أنّ السنين الخضر عادت، يوم كُنّا

لم نزل بعد فتيّين لقبَلتُ ثلاثاً أو رباعاً

وجنتي «هالة» والشعر الذي نشر أمواج الظلام
 في سيول من العطور التي تحمل نفسي إلى بحار عميقه
 ولقبّلتُ، برغم الموت، ثغراً من وفيقه
 ولأوصلتُك يا «إقبال» في ليلة رعدٍ ورياحٍ وقتامٍ،
 حاملاً فانوسي الخفاق تمتدُّ الظلالُ
 منه أو تقصر، إذ يرعش في ذاك السكون،
 ذلك الصمت، سوى قعقة الرعد،
 سوى خفق الخطى بين التلال
 وحفيف الريح في ثوبك، أو وهوة الليل مشى بين الغصون،
 ولعانقتُك عند الباب، ما أقسى الوداع!!
 آه لكنَّ الصَّبى ولَّى وضاع؛
 الصَّبى والزمانُ لن يرجعا بعدُ،
 فقرّي يا ذكرياتُ ونامي.

لندن 1963/2/5

يا غربة الروح

يا غربة الروح في دنيا من الحجرِ
والثلج والقار والفولاذ والضبجرِ،
يا غربة الروح... لا شمسٌ فأتلقُ
فيها ولا أفقُ

يطير فيه خيالي ساعة السَّحَرِ.
نارٌ تضيءُ الحُواءَ البَرْدِ، تحترقُ
فيها المسافات، تُدنيني، بلا سَفَرِ
من نخل جيكورَ أجنبي داني الثَّمَرِ.
نارٌ بلا سَمَرِ

إلا أحاديثَ من ماضيٍ تندفقُ
كأنهنَّ حفيفٌ منه أخيلةُ
في السَّمْعِ باقيةٌ تبكي بلا شَجَرِ.
يا غربة الروح في دنيا من الحجرِ!

مسدودة كلُّ آفاقي بأبنية
 سود، وكانت سمائي يلهث البَصْرُ
 في شطّها مثل طير هذه السَفَرُ:
 النهر والشفقُ
 يميلُ فيه شراعٌ يرجف الألقُ
 في حَفَقِهِ، وهو يحثو، كلما ارتعشا،
 دنيا فوانيسَ في الشطّين تحترقُ،
 فراشةٌ بعد أخرى تنشر الغبشا
 فوق الجناحين... حتّى يلهث النَّظَرُ.

الحبُّ كان انخطافَ الروح ناجاها
 روحٌ سواها، له من لمسة بيدِ
 ذخيرةٍ من كنوزِ دونما عدَدِ
 الحب ليس انسحاقاً في رحي الجَسَدِ
 ولا عشاءً وخمراً من حُمَيّاها
 تلتفُّ ساقٌ بساقٍ وهي خادرةٌ
 تحت الموائد تُخفي نشوةَ البَشْرِ
 عن نشوةِ الله من همسٍ ومن سَمَرِ

في خيمة القمر.

يا غربة الروح لا روح فتهاواها.

لولا الخيالات من ماضي تنسرب

كأنها النوم مغسولاً به التعب

لم يترك الضجر

مني ابتساماً لزوج سوف ألقاها

إن عدت من غربة المنفى: هو السحر

والحلم كالطل مبتلاً به الزهر

يمس جفنين من نور وينسكب

في الروح أفرحها حيناً وأشجاها.

تسللت طرقتي للباب تقترب

من وعيها وهو يغفو ثم تنسحب،

ونشر الحلم أستاراً فأخفاها

ورف جفناها

حتى كأن يدي

إذ تطرق الباب مسّت منهما: «واها!

من دق بابي؟ أهذا أنت يا كبدي؟»

وذاب في قبلتي ما خلف السَّهْرُ
في عيناها من نَعاس، فهي تزدهر
كوردة فُتحت للفجر عيناها.

لندن 1963/2/26

أم كلثوم والذكرى

وأشربُ صوتَها... فيغوص من روعي إلى القاعِ
ويُشعل بين أضلاعي

غناءً من لسان النار، يهتف «سوف أنساها
وأنسى نكبتني بجفائها وتذوب أوجاعي».

وأشرب صوتَها.. فكأنَّ ماء بُوبَ يسقيني
وأسمع من وراء كرومه ورباه «ها.. ها.. ها»

تردِّدها الصبايا السُّمُرُ من حينٍ إلى حينٍ.

وأشربُ صوتَها فكأنَّ زورقَ زَفَّةٍ وأنينَ مزمارٍ

تجاوُّه الدرابكُ، يعبران الروح في شَفَقٍ من النار

يلوح عليه ظل وفيقة الفرعاء أسودَ يزفر الآها

سحائب من عطورٍ، من لحنٍ دون أوتارٍ.

وأشرب صوتَها... فيظل يرسم في خيالي صفًّا أشجارٍ

أغازل تحتها عذراء، أوَّها

على أيامي الخضراء بعثرها وواراها

زواجٌ. ليت لحن العُرس كان غناء حَفَّارٍ
 وقرعاً للمعاول وهي تحفر قبري المَركوم منه القاع بالطينِ
 وأذكرها، وكيف (وجسْمُها أبقى على جسمي
 عبيراً منه، دفناً غلَّف الأضلاع) أنساها؟
 أنساها؟ أنسى ضحكة رَعت على لحمي
 وأعصابي، وكفّاً مسحَتْ وجهي بريها؟
 قُساء كلِّ من لا قيتُ: لا زوجٌ ولا وَلَدٌ^(١)
 ولا خِلٌّ ولا أب أو أخ فيزيل من همّي..
 ولكن. ما تبقى بعدُ من عُمرِي؟ - وما الأبدُ...
 بعمرِي -

أشهُرٌ ويريحني موتٌ فأنساها.

لندن - 1963/3/9

(١) في المخطوطة ورد الشطر هكذا: «قساة كل من لا قيت لا أخت ولا ولد». (م)

كيف لم أحبيك؟

كيف ضيَّعتك في زحمة أيامي الطويلة؟
 لم أحلَّ الثوبَ عن نهديك في ليلة صيف مُقْمَرَه؟!
 - يا عبيرَ التوت من طوقيهما... مرَّغتُ وجهي في خميله
 من شذى العذراء في نهديك -

ضيَّعتك، آه يا جميله!

إنه ذنبي الذي لن أغفره!
 كيف لم أحبيك؟! يا لهفة ما بعد الأوان
 في فؤادٍ لم تكوني فيه إلَّا جذوةً في مجمره!
 شعرك الأشقر شَعَّ اليوم شمساً في جناني
 يترأى تحتها ساقاك، يا للزنبق
 رفٍّ من ساقيك؟!

آه كيف ضيَّعتك يا سرحة خوخٍ مُزهره؟⁽¹⁾

(1) في مخطوطة القصيدة التي اطلعت عليها ورد بعد هذا الشطر ما يلي: «آه لو أعطيتُ عِلْمَ الغيبِ حتَّى نلتقي!»، ولم يظهر السطر المحذوف في نص القصيدة في الديوان. (م)

آه لو عندي بساط الريح!!

لو عندي الحصان الطائر!!

آه لو رجلاي كالأمس تُطيقان المسير!!

لطويت الأرض بحثاً عنك.

لكنّ الجسورا

قطعتها بيننا الأقدار. مات الشاعرُ

فيّ وانسَدَّت كوى الأحلام.

آه يا جميله!

البصرة - 1963/11/8

أسير القراصنة

أجنحةٌ في دوحَةٍ تخفقُ

أجنحةٌ أربعة تخفقُ

وأنتَ لا حبٌّ ولا دار،

يُسلمك المشرقُ

إلى مغيبٍ ماتت النار

في ظلّه... والدربُ دَوّار

أبوابه صامتهٌ تُغلقُ!

جيكور في عينيك أنوار

خافتهٌ تهمسُ:

«مات الصبي!» لم تبق آثار

من فجره، وانفرط المجلسُ،

فالتلُّ لا ساقٍ ولا سامرٌ باقٍ وسُمار:

واراهمُ في سفحه الموحش المهجور حفّار!

وتحسدُ الشَّحَاذِ إنْ لاحَا
 يمشي على عَكَازِهِ البالي.
 مشلولَةٌ رُجلاك مشدودة عيناك بالآلِ
 وألف دَرَبٍ دونك انداحا
 يدعوك أن تقطعه في الدجى
 وتقطف الأثمار عن جانبيه
 وأنت لا تملك غير الشجى
 ودمعة تجري اشتياقا إليه.

عامان من نزع بلا موت
 وأنت؟ ما كنت سوى صوت،
 صوت يدوي في قلاع الرياح؟
 يا ليتك المشاء في صمتٍ
 لا عازف القيثارة باسم الجراح!
 وأنت في سفينة القرصان
 عبدٌ أسيرٌ دون أصفادٍ
 تقبع في خوفٍ وإخلادٍ
 تُصغي إلى صوت الوغى والطعان:

سال الدم، اندقت رقابٌ ومال
 ربّانها العملاق
 وقام ثانٍ بعده ثمّ زال
 فامتدت الأعناق
 لأيّ قرصانٍ سيأتي سواء
 وأيّ قرصانٍ ستعلو يداه
 حيناً على الأيدي؟!

«وليات من بعدي...
 من بعديّ الطوفان»
 تسمعها تأتيك من بُعدٍ
 يحملها الأعصار عبر الزّمان.

البصرة - 1963/10/29

نسيم من القبر

نسيم الليل كالأهات من جيكور يأتيني

فبيكيني

بما نفثته أُمِّي فيه من وجدٍ وأشواقٍ

تنفس قبرها المهجور عنها، قبرها الباقي

على الأيام يهمس بي: «تراب في شراييني

ودودٌ حيث كان دمي، وأعراقي

هباءٌ من خيوط العنكبوت؛ وأدمعُ الموتى

إذا اذكروا خطايا في ظلام الموت... ترويني.

مضى أبداً وما لمحتك عيني!»

- ليت لي صوتا

كنفح الصور يسمع وقعَه الموتى. هو المرص

تفكك منه جسمي وانحنت ساقي

فما أمشي، ولم أهجركِ، إني أعشق الموت

لأنك منه بعض؛ أنت ماضي الذي يمض

إذا ما أربدت الآفاق في يومي فيهديني!

أما رنّ الصدى في قبرك المنهار، من دهليز مستشفى،

صدائي أصبح من غيبوبة التخدير، أنتفض

على ومض المشارط حين سفت من دمي سفا

ومن لحمي؟ أما رنّ الصدى في قبرك المنهار؟

وكم ناديت في أيام سُهدي أو لباليه:

أيا أمي، تعالي فالمسي ساقّي واشفيني».

يئن الثلج والغربان تنعب من طوى فيه،

وبين سريري المبتلّ حتّى القاع بالأمطار

وقبرك، تهدرُ الأنهار

وتصطخب البحار إلى القرار يخضُّها الإعصار.

أما حملت إليك الريح عبّر سكينه الليل

بكاء حفيدتيك من الطوى وحفيدك الجوعان؟

لقد جعنا وفي صمت حملنا الجوع والحرمان،

ويهتك سرنا الأطفال يتحبون من ويل

أفي الوطن الذي آواك جوع؟ أيما أحزان

تورّق أعين الأموات؟

لا ظلم ولا جور

عيونهما زجاج للنوافذ يخنق الألوان.

هناك لكل مَيِّتٍ منزلٌ بالصمت مستورٌ،

ولكننا هنا عصفت بنا الأقدارُ من ظلّ

إلى ظلّ ومن شمس إلى شمس يغيب النور

على شرفات بيتٍ ضاحكاتٍ ثمَّ يُشرق وهي أطلالُ

ويخفق حيث كركر أمسٍ أطفالُ

صريرٌ للجنادب هامسات: «إنه المقدورُ

تصدّعُ برج بابل منه وانهدمت صخور السور!»

أما حملت إليك الريح عبر سكيّنة الليلِ

بكاء حفيدتيك من الطوى يعلو من السهلِ؟

في المستشفى

كمستوحداً أعزلٍ في الشتاء
وقد أوغل الليل في نصفه،
أفاق فأوقف عين الضياء
وقد خاف من حتفه،
أفاق على ضربة في الجدار -
هو الموت جاء!
وأصغى: أذاك انهيار الحجاز
أم الموت يحسو كؤوس الهواء؟
لصوصٌ يشقون درباً إليه
مضوا ينقبون الجدار.
وظلَّ يعدُّ انهيار التراب
ووقع الفؤوس على مسمعية.
يكاد يحس التماع الحراب
وحزاتها فيه... يا للعذاب!!

وما عنده غير محض انتظار:

هو الموت عبر الجدار!

كذاك انكفأتُ أعْصُ الوساد

وأسلمتُ للمشرط القارسِ

قفاي المدمى بلا حارس.

- بغير اختياري، طيببي أراد! -

لقد قصّ... مدّ المجسّ الطويل...

لقد جره الآن. أواه... عاذ.

ولا شيء غير انتظار ثقیل.

ألا فاخرقوا، يا لصوص، الجدار

فهيهات، هيهات، مالي فرار!

لندن 1963/2/5

سلوى

ظلامُ الليل أوتارُ

يدندن صوتك الوسنان فيها وهي ترتجف،

يرجع همسها السَّعْفُ

وترتعش النجوم على صدها: يرن قيثار

بأعماق السماء. ظلام هذا الليل أوتار!

وكم عبر الخليج إليَّ والأنهار والترعا،

يدغدغ بيض أشرعة يهيم وراءها القمر

وينشج بينها المطر؛

وأوغل في شعاب البرق، يرجف كلما لمعا

ليحمل من قرارة قلبك الآلام والفزعاء.

أشمُ عبيرك الليلي في نبراتك الكسلى

ينادينني ويدعونني

إلى نهدين يرتعشان تحت يدي وقد حلّا
عُرَى الأزارار من ذاك القميص، ويملأ الليلا
مشاعل في زوارق، في عرائش، في بساتين

شذى الليمون يصرع كل ظل في دواليها.
أراك على السرير وأنت بين الليل والفجر:
يكاد النجم في الشباك والمصباح في الخدر
يمسّهما النعاس، وأنت زنبقة حواشيها
ينبّها هُتاف الدّيك يعبر ضفة النهر.

ويهمس بي صدى: «سلوى
تغني». كل سلوى في خيالي تكشف الأضواء عنها
وهي تبسم:

صديقة كل فحل من سدوم، في يد قلم
يسطر في الجريدة أنها تهوى ولا تهوى،
هي امرأتان في امرأة... ويسرب في دمي صرم

وجارتنا الصبيّة في حرير النوم تنسرب،

يشفُ الثوبُ عن نهدين طودَيْن كم رجفا
 من الأحلام تحت يد تُعَصِّرُ، برُدّها لَهَبُ.
 لها من فورة العذراء عطرٌ يرتخي، يثبُ،
 يمازجُ نَفَحَ ما نَفَحَ الحشيشُ، يسيلُ مرتجفا.

وَألمحُ في سماء الصيف عَبَرَ تماوجِ الشجرِ
 سماوةً لندنَ المنهلِ فيها الثلج كالمطر،
 ونافذةً تعلّق في الظلام زجاجُها الألقُ،
 ومدفأةً وراء الليل تحترق،
 وأسمع من يحدث عن هوى سلوى ويرقبُ طلعةَ السّحرِ:

«وأشعلتِ الظهيرةُ نارها في الشارع الممتدّ بين حدائق
 النارج والعنبِ»
 وأصدتُ في رحاب المنزل الخالي
 خطى سلوى، وأرخيت الستائر يا لسلالِ
 من الألوان والخدر البرود.

ومسّها لهبي
 فازعش كلّ عرق في صباها، كلّ ما عَصَبِ

ويزرع أَلَفَ غَابٍ للنخيل غناؤك المكسأل
 ترقرت الجداولُ بينهنَّ وأزهرَ اللِّيمونُ...
 وأنسامُ الربيعِ تمرُّ تنثرُ زَهْرَهُ في مائها السُّلْسَالُ
 كما حَمَلَ الوجوهَ إليَّ ماءُ غنائِكِ المكسَالِ^(١)
 ويحملني النَّعَاسُ إلى جزائرٍ في مدىِّ محزونٍ!

البصرة 9/9/1963

(١) وردت في مخطوطة القصيدة: المنشال. (م)

متى نلتقي؟

ألا يأكلُ الرعبُ منا الضلوعُ
إذا ما نظرنا إلى ظلّ تينه،
فلاحتُ لنا، من ظلامٍ، قلوب
تهدهدها غمغماتٌ حزينة؟
ألا يأكلُ الرعبُ منا الضلوعُ؟

ألا تتحجّرُ منا العيونُ
إذا لاح في الليل ظل البيوتِ
هزيراً كما ينسجُ العنكبوت
ألا تتحجّرُ منا العيونُ
ويلمع فيها بريقُ الجنون؟

وبالأمس كُنا يُذِيبُ العناقُ
دماً في دمٍ،

كنورٍ ونارٍ، سنأَ واحترأق
يجولان في منزلٍ مُظلمٍ⁽¹⁾

ولكن ما بيننا كان بحرُ
تغنيك أمواجه العاتية:
«سرعاءك من قلعةٍ شدَّ منها حديد وصخرُ
فما الحب هدمَ لجدرانك العاليه».
ولكن ما بيننا كان بحرُ

وصحراء تنشجُ فيها النجوم
ولا نلتقي في دجى أو صباح،
تموت على رملها عاصفاتُ الرياح
وتأكل عينَ الدليلِ التخوم
وصحراء تنشجُ فيها النجوم
وطارت بي الريحُ عبْرَ البحار
إلى الليلِ والثلجِ والمجهلِ،

(1) ورد في مخطوطة القصيدة بعد هذا الشطر ما يلي: «وبالأمس كنا وكان العناق». (م)

فصرنا إلى واقع لا نحار
بألغازه فاسألني:

- وطارَت بي الرِّيحُ عبر البحار -
«أما من لقاءٍ لنا في الزَّمان؟»
بلى... حينما تفهمين اللِّقاء
فيأوي إلى اللوحة المُعَرَّقان
يشدانها، يرفعان الدُّعاء:
«ألا نَجِّنَا يا إله السماء!»

ألا يأكل الرعب منا الضلوع
إذا ما نظرنا إلى ظلِّ تينه
فلاحت لنا، من ظلام، قلوب
تهدهدها غمغمات حزينه؟
ألا يأكل الرعبُ منا الضلوع؟

أقل من بشر⁽¹⁾

يا رب لو جدت على عبدك بالرقاذ
 لعله ينسى
 من عمره الأما
 لعله يحلم أنه يسير دونما عصا ولا عماد
 ويذرع الدروب في السحر
 حتى تلوح غابة النخيل
 تنوء بالثمر
 بالخوخ؛ والرمان، والأعناب فيها يعصر الأصيل
 رحيقه المشمس أو تألق القمر
 يدخلها فيختفي تحت ذوائب الشجر
 ويقطف الجنى.
 علق في رفانة عصاه وانثنى

(1) كانت هذه القصيدة مشطوبة. (المحقق)

يأكل أو يجمع الزهر:
حتى إذا ما انطلقا
وراح يطوي الطُّرُقا
أحسّ أو ذكر
بأنه بلا عصاً سار وما شعر!
يا رب لو جدت على عبدك بالرقاد
لأنه يُذكرُه السَّهر
بأنه أقلُّ من بشر!

لندن 1963/2/25

القن والمجرة

ولولا زوجتي ومزاجها الفوار لم تنهد أعصابي⁽¹⁾
 ولم ترتد مثل الخيط رجلي دونما قوه،
 ولم يرتجّ ظهري فهو يسحبني إلى هوه،
 ولا فارتُ أحبابي،
 ولا خلّفت أودسيوس يضرب في دجى الغابِ
 وتقذفه البحار إلى سواها دونما مرسى.
 هناك تركته وطويتُ عنه كتابي المهجور،
 سأكمل سفرتي معه، ستحملني إلى جيکور
 سفينته، ولن أنسى

(1) كتب الشاعر هذه القصيدة في سورة غضب، إذ أنّ زوجته أصرت عليه بالرجوع إلى العراق وقد ساءت صحته بعد ذلك: فتشاءم واعتبر زوجته مسؤولة عن تدهور صحته «وكان من المفروض أن تنشر هذه القصيدة في «شناسيل ابنة الجلبي» ولكنه طلب عدم نشرها حينذاك ووضع مكانها قصيدة «ليلة الوداع» والتي أهداها إلى زوجته الوفية؛ وفي قصيدة «ليلة الوداع» وقصائد أخرى نشرت في مجموعاته المختلفة ما يدل على أنّ قصيدة القن والمجرة بنت سورة غضب وتشاؤم. ونحن ننشرها هنا احتراماً لتراث الشاعر الذي يجب ألا يضيع منه شيء». (المحقق)

بأن وراء رغو البحر قلباً هذه القَلْقُ
 وعيناً كلما زرع الغروبُ حدائق الدَّيجور
 بأنجمها الصبايا شدَّ من حملاقها الشَّفَقُ
 على الأفق البعيد لعل خفقاً من شرع أو سنا مصباح
 على اللُّجَج الضواري لاخ.
 فأو لو كنبلوب الحزينة زوجتي تترقب الأنسام
 لعل جناح طياره
 كمحراث من الفولاذ، شقق بينها الأثلام
 ليزرع، ثم، أزهاره.

ألا تباً لحب هذه الآلام من عُقباه!
 كأن شفاهنا، حين التقت، رسمت من القُبَل
 سريراً نمت فيه أنث منه الآه بعد الآه،
 وعكازاً عليه مشيت ثم هويت في ثقل.
 كأن حجارة السور الذي ما بيننا قاما.
 لها من هذه القبلات طينٌ شدّها شدّا.
 أدهراً كان أم سبعاً من النكبات أعواما؟

ولكن ما عليها من جناح؛ كنتُ معتداً
بذهني أو شبابي:

سوف أصهرها، أغيرها كطين في يد الفنان.
وقد غيرتُ. لكنّ الذي غيرتُ ماذا كان؟
فؤاداً ضيقاً كاللحد... كيف أوسّع اللحد؟
ونفساً حذوها بين السرير وبين قائمة الحساب كأنها قرنٌ
من الأقتان

مداه يمد بين البيت والحقل
حبالاً قيدت قدميه وهو يردد الألحان
ولم يكُ يفهم الكلمات (ليس لقطرة الطلّ
مكان إذ يجوع البطن يا لتلهف الظمآن!!
أترويه المجرة وهي بحر - هكذا زعموا - على الشيطان
منه تناثرت كسر الكواكب فهي كالرمل
هنالك، والمحار؟ أكل هذا يشبع الجوعان؟)

ولكنني أحنُّ.. فهل أعود غداً إلى أهلي؟
نعم سأعود،
أرجع، لا إليها بل إلى غيلان؟

عكاز في الجحيم

وبقيت أدور

حول الطاحونة من ألمي

ثوراً معصوباً، كالصخرة، هيهات تثور

والناس تسير إلى القمم

لكنني أعجز عن سير - ويلاه - على قدمي

وسريري سجنني، تابوتي، منفاي إلى الألم

وإلى العدم!!

وأقول سيأتيني يوم من بعد شهور

أو بعد سنين من السقم

أو بعد دهور!!

فأسير... أسير على قدمي

عكاز في يدي اليمنى

عكاز؟.. بل عكازان

تحت الإبطين يعينان

جسماً من أوجاع... يفنى
 طَلَلًا يغشاه مسيل دم
 وأسير... أسير على قدمي!!
 لو كان الدرب إلى القبرِ
 الظلمة والدود الفَراس بألف فم
 يمتد أمامي في أقصى أركان الدُّنيا... في نحرِ
 أو واد أظلم أو جبل عالٍ
 لسعيت إليه على رأسي أو هديبي أو ظهري
 وشققت إلى سَقَرِ دربي ودحوت الأبواب السودا
 وصرختُ بوجه مُوكلّها
 لم تترك بابك مسدوداً؟..
 ولتدعُ شياطين النار
 تقتص من الجسد الهاري
 تقتص من الجرح العاري
 ولتأتِ صقورك تفترس العينين وتنتهشُ القلبا
 فهنا لا يشمتُ بي جاري
 أو تهتف عاهرة مرّت من نصف الليل على داري:
 «بيت المشلول هنا، أمسى لا يملك أكلًا أو شرباً

وسيرمون غداً بنتيه وزوجته دربا
 وفتاه الطفل إذا لم يدفع مُتراكم إيجارٍ
 انثرنِي، ويك، أباديدا
 وافتح بابك لا تتركه أمام شقائي مسدوداً
 ولتطعم جسمي للنار!!

لوي مكنيس

أتى نعيه اليوم، جاب الديار
 وجاب المحيطات حتّى أثنائي،
 فلم تجر بالأدمع المقلتان
 فقد غلغلت من دمي في القرار.
 (أبي مات لم أبك حزناً عليه
 وإن جنّ قلبي
 من الهمّ وانهد شوقاً إليه)⁽¹⁾.

نعتة إلينا مجلّه،
 نعاها مقال حزين
 نعتة لنا آدمياً مؤله
 سماواته الشعر يصرخ بالغافلين؛
 وأحسستُ بالشوق (كالمدمنين

(1) ورد في مخطوطة القصيدة بعد هذا الشطر ما يلي: «أتى نعيه.. أيّ ليل مضبّ». (م)

إلى جرعة من طلى ظامئين

إلى شعره...

لأحرق، قربانَ وجدٍ وحبٍّ،

فؤادي في جمره.

ولكن ديوانه

دفيناً غدا بين أكداس كُتبٍ

تلصّ العناكبُ ألوانه

ويقرأه الصمتُ للآخرين.

ومن لي بإخراج كتز دفينٍ

تهاوى عليه الحجاز؟

كسيحٌ أنا اليوم كالمتين

أناذي فتعوي ذئاب الصدى في القفار:

«كسيحٌ كسيحٌ وما من مسيحٍ»⁽¹⁾

وتقرع - للصدى في خيالي -:

نواقيس من شعره في الضباب

أمن بعد عشرين مثل الحراب

(1) توفيق الصايغ؛ معلقة توفيق صايغ. (ش)

يمزقن جنبّي. مثل النّصالِ
 أرّجي اذكّاراً لأبياتي؟
 وهل يتذكر طفلاً ملامح أمواته
 وقد بعثرتها صروف الليالي؟
 «وبين المحبين، زوجين عادا،
 يُدحرجُ شايّ الصّباح
 صحارى يضع الصدى في دجاها الفساح،
 وعند المساء تقوم الجريدة
 جداراً يدقانه بالأكفّ الوحيده
 فتضحك، إذ يضربان، الرياح!»⁽¹⁾

وما بين زوجي وبينني خواء،
 فليت الصحارى وليت الجدارُ
 توخّد ما بين زوجي وبينني ببرد الشتاء
 وصمت الحجار!
 ويا ليتني مت. إن السعيدُ

(1) الأصل للوي مكيس. (ش)

من أطرح العبء عن ظهره

وسار إلى قبره

ليولد في موته من جديد!

البصرة 1964/1/9

حميد⁽¹⁾

«حميد» أخى فى البلاء الكبير

- فقد كان مثلى كسيحاً

يدب بكرسيه مستريحاً

تساءلت عنه فقالوا «يسير

على قدميه فقد عاد روحاً

لقد مات»

يا ويلنا للمصير!!

ينام ورجلاه مطويتان

شهوداً على الداء، فى قبره

إذا ما رأى الله رأي العيان

وقد سار زحفاً على صدره

(1) هناك مسودة للسياق يرد فيها مقطع يسبق متن قصيدة «حميد» ويعنوان «العودة»، تبدأ بـ:

«إذا عدتُ من وحدتي واغترابي

أصيلاً يوم حزين السحاب»

ويبدو أن الشاعر قرر الاستغناء عن المقطع ذاك وعنون بقية القصيدة بـ «حميد». (م)

فأي انسحاق وأي انكسار
 يشعان من عينه الضارعه!!
 سيبكي له الله من رحمة واعتذار.

وفي الساعة السابعة
 إذا ذرت الريح ورد الغروب
 سأجلس في الشرفة الخالية
 ومن تحتي الدرب يخفق، ينأى، يذوب:
 ألوف من الأرجل الماشيه
 إلى أي مبغى وراء الدروب
 وخمارة في الدجى نائيه!!
 إلى اللغو والفقهقات الكذوب
 وألمح فيما وراء الظلال
 حميداً وكرسيه في الخيال
 فتخنقني اللوعة الباكه
 فأواه لو توقدين الشموع
 لدى مسجد القرية المترب
 تمد من النور خيطاً تعلق فيه الدموع،

ولو تضرعين، مع المَغْرِبِ،
إلى الله: «يا رب رفقا بطفلي الصغير
وابق أباه
وجنبه، يا رب، هذا المصير!»
ولكنني متٌ... واحسرتاه!

المعول الحجري

رنين المعول الحجري في المرتج من نبضي
 يدمر في خيالي صورة الأرضِ
 ويهدم برج بابل، يقلع الأبواب، يخلع كلّ آجره
 ويحرق من جنائنها المعلقة الذي فيها
 فلا ماء ولا ظل ولا زهره
 وينبذني طريداً عند كهف ليس تحمي بابه صخره
 ولا تدمي سواد الليل نار فيه يحييني وأحييها.
 تعالي يا كواسر يا أسود ويا نمور ومزقي الإنسان
 إذا أخذته رجفة ما ييث الليل من رعب
 فضجى بالزئير وزلزلي قبره
 دماغي وارث الأجيال، عابر لجة الأكوان
 سيأكل منه داء شلّ من قدمي وشدّ يداً على قلبي
 كلام ذاك أصدق من نبؤة أيّ عرافٍ
 تريه مسالك الشهبِ

حمى الأسرار، تطلعه على المتربص الخافي
 إذا نطق الطبيب فأسكتوا العراف والفوال
 رنين المعول الحجري يزحف نحو أطرافي
 سأعجز بعد حين عن كتابة بيت شعر في خيالي جال
 فدونك يا خيال مدى وآفاق وألف سماء
 وفجر من نجومك، من ملايين الشمس من الأضواء
 وأشعل في دمي زلزال
 لأكتب قبل موتي أو جنوني أو ضمور يدي من الإعياء
 خوالج كل نفسي، ذكرياتي، كل أحلامي
 وأوهامي
 وأسفح نفسي التكللى على الورق
 ليقرأها شقي بعد أعوام وأعوام
 ليعلم أن أشقى منه عاش بهذه الدنيا
 وآلى رغم وحش الداء والآلام والأرق
 ورغم الفقر أن يحيا
 ويا مرضي، قناع الموت أنت، وهل ترى لو أسفر الموت
 أخاف؟ ألا دع التكشيرة الصفراء والثقبن،
 حيث امتصت العينين

جحافلُ من جيوش الدود يجثم حولها الصمْتُ،
 تلوح لناظري. ودع الدماء تسحّ من أنفي من الثقيين
 فأين أبي وأمي... أين جدي. أين آبائي
 لقد كتبوا أساميهم على الماءِ
 ولست براغب حتّى بخط اسمي على الماءِ
 وداعاً يا صحابي، يا أحبابي
 إذا ما شئتمو أن تذكروني فاذكروني ذات قمراءِ
 وإلا فهو محض اسم تبدد بين أسماءِ
 وداعاً يا أحبابي...

في غابة الظلام

عيناَي تُحرقان غابة الظلام
 بجمرتيهما اللتين منهما سقر،
 ويفتح السَّهْرُ
 مغالق الغيوب لي... فلا أنام.
 وأسبر الأرض إلى قرارها السحيق
 ألَم في قبورها العظام
 فطالعتني - كالسراج في لظى الحريق -
 تكشيرة رهيبَةٌ رهيبَةٌ
 تُليحها جمجمتي الكثيبه
 سخرية الإله بالأنام

عيناَي من سريري الوحيد
 تحدّقان في المدى البعيد؛
 الليل وحشٌ تطعنانه، مع النجوم،

بخنجريهما وخنجر السَّحَر،
 الليل خنزير الردى، العنيد
 يشقُّ خنجرهما إهابه الغشوم
 لألمح العراق مرَّغ القمر
 على ترابه البليل ضوءه الحزين.

ومقلتا غيلانَ تومضان بالحنين،
 يرقب من فراشه ذوائب الشجر،
 أمضه السهاد، عذَّبته زحمة الفكر
 (أين من الطفولة السهاد والفكر؟)
 عيناه في الظلام تسربان كالسفين.
 بأيِّ حقلٍ تحلمان؟ أيما نهر؟
 بعودة الأب الكسيح من قرارة الضريح؟
 (أميَّتْ فيهتفُ المسيح
 من بعد أن يزحزح الحَجَرُ:
 «هلم يا عازر»؟)
 عيناه لظَى وريخ
 تُحرق في أضالعي مضارب الغَجَر!

أليس يكفي أيُّها الآلهُ
 أنَّ الفَناءَ غايةُ الحياه
 فتصبغَ الحياهُ بالقتامُ؟
 تحيلني، بلا ردى، حُطام:
 سفينةً كسيرةً تطفو على المياه؟
 هاتِ الردى، أريد أن أنام
 بين قبور أهلي المبعثره
 وراء ليل المقبره
 رصاصه الرحمة يا إله!

الكويت 1964/7/9

رسالة

رسالةٌ منكٍ كاد القلبُ يلثمها
لولا الضلوعُ الَّتِي تشنيه أن يشبا
رسالةٌ لم يهبَّ الوردُ مشتعلًا
فيها؛ ولم يعبق النارنج ملتهبا
لكنها تحمل الطَّيِّب الَّذِي سكرت
روحي به ليل بتنا نرقب الشَّهبا
في غابةٍ من دخان التَّبَعِ أزرعها
وغابةٍ من عبير منك قد سربا
جاءت رسالتكِ الخضراء كالسَّعَفِ
بلَّ الحيا منه والأنسام والمَطَرُ
جاءت لمرتجفٍ
على السرير، وراء الليل يُحتَضِرُ
لولا هواك وبُقياء فيه من أسفٍ
أن لم يروَّ هواه منك فهو على الشَّطِينِ ينتظرُ
سفينةً يتشهى ظلَّها النَّهْرُ

فيها الشفاء هو الربان، والقدرُ

فيها المغني

لكان ممّا عراه الداء يتحرّ!

جاءت تحدّثني عني

عن شهقة الصيف في جيکور يُحتَضَرُ

عن صوت أغربة تبكي، وأصداءٍ

تذوذر الظلمة الصفراء في السَّعَفِ

وعن بناتٍ لأوى خلف منعطفٍ

تعوي فتهتفُ أم! «أين أبنائي؟؟!»

وتنفّض الدرب عيناها وتهتف!

«يا محمود... علوان!»

لا ردّ ولا خبر!

ويا حديثك عن «آلاء» يلذّعها

بعدي فتسأل عن بابا «أما طابا»⁽¹⁾

أكاد أسمعها

(1) «آلاء» طفلة للشاعر، و«أما طاب» أي أما أبلي من مرضه وقد أوردها على ما يبدو كما تلفظها طفلته. وهي عاميّة. (المحقق)

رغم الخليج المدوّي تحت رغوته
أكاد أَلثم خديها وأجمعُها
في ساعديّ...
كأنّي أقرع البابا
فتفتحين...
وتُخفي ظلّنا السُّتُر!!

الكويت 1964/8/3

ليلة انتظار

يدُ القمر النديّة بالشذى مرّت على جُرحي،
يدُ القمر النديّة مثلَ أعشاب الربيع لها إلى الصّبحِ
خفوقٌ فوق وجهي، كفُّ طفلي الصّغيرة، كفُّ آلاءِ!
وهمسٌ حول جُرحي: كفُّ طفلي الكبيرة، كفُّ غيداءِ
تُدغدغني ونحنُ على السرير معاً، على السّطحِ
هناك!! وآه من ذاك المدى النائي،
لأقربُ منه مجمرٌ الثّريا وهي تلتهبُ
بعيدٌ بَعْدَ يوم فيه أمشي دون عكازٍ على قدمي
يثست من الشفاء، يثست منه وهَدّني التعبُ
وحلّ الليلُ ما أطويه من سَهَرٍ إلى سهر ومن ظلمٍ إلى ظلم⁽¹⁾
ولكنّ اليد النديانة الكسلى ترشُّ سنابلَ القمح
على دربٍ من الهمسات في حُلُم

(1) ورد هذا الشطر في خطوطة القصيدة على النحو التالي: وحلّ الليل ما أطويه من ألم إلى ألم / من سهر إلى سهر ومن ظلم إلى ظلم. (م)

بلا نوم يرفّ على جفوني ثمّ يحشوهنّ بالملح

غداً تأتين يا إقبال، يا بعثي من العدم

ويا موتي ولا موت.

ويا مرسى سفيتي التي عادت ولا لوح على لوح

ويا قلبي الذي إن متُّ أتركه على الدنيا ليكيّني

ويجأُ بالرثاء على ضريحي وهو لا دمع ولا صوت

أحبّيني! إذا أدرجتُ في كفني.. أحبّيني

ستبقى - حين يلى كلّ وجهي، كلّ أضلاعي

وتأكل قلبي الديدان، تشربه إلى القاع

قصائد... كنت أكتبها لأجلك في دواويني

أحبّها تحبّيني!!

الكويت - المستشفى الأميري 1964/8/5

نفسُ وقبر

نفسي من الآمال خاويةٌ
 جرداء لا ماءً ولا عُشْبُ
 ما أرتجيه هو المحال وما
 لا أرتجيه هو الَّذي يجبُ
 قد رُمي فأصاب: صادحة
 في الجوّ خَرَّتْ وهي تنتحبُ
 من ذا يُعيدُ إلى قوادمها
 أفق الصبح تضيئه السحبُ

صَلِبَ الْمَسِيحُ فَأَيُّ مَعْجَزَةٍ
 تَأْتِي؟ وَأَيُّ دَعَاءٍ مَلْهُوفٍ
 سَتَزِيحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ
 أَغْلَاقُهَا؟! حَبْلٌ مِنَ اللَّيْفِ
 هِيَهَاتَ يُرْقَى لِلْسَّمَاءِ بِهِ
 لِيَهْزَ عَرْشَ اللَّهِ تَخْرِيفِي:
 «مُولَايَ مَشْلُولٌ!» فَتَحْدِجْنِي
 عَيْنُ الْمَلَاكِ: «وَأَيُّ مَلْهُوفٍ

لا يشتكي لله محنته؟
 إرجع لبيتك دون إبطاءٍ
 فبأيّ آمالٍ أعيش إذن
 وأدبٌ حَيّاً بين أحياءٍ
 لولا مخافة أن يعاقبني
 عدلُ السماء لعنتُ آبائي
 ولعنتُ مانسلوا وما ولدوا
 من بئسين ومن أذلاء

السدودُ العمياء يلسعها
 بردٌ يقلصها ويطويها
 أوّاه لو ترضى تبادلني
 عيشي بعيشٍ كاد يُفنيها
 ولو استجاب الله صرخة ذي
 بلوى لصحتُ: «خيرٌ ما فيها
 موتٌ يجيء كأنه سنةٌ
 ويمسّ ألامِي فينهيها»

كم ليلةٌ قمرء يُطفئها
 ليل النجوم ودورةُ الشهر
 محسوبةٌ، ويلاه، من عمري
 وهي التي ضاعت على عمري

وثلاثة خضراء، أربعة،
نَثَرْتُ أزاهرها وما أدري
يأليتها بغدٍ تعوّضني
فتمرُّ باكية على قبري

الكويت - المستشفى الأميري 10/11/1964

إقبال والليل

وما وجدُ ثكلى مثلَ وجدي إذا الدجى
 تهاوَيْنَ كالأمطار بالهمّ والسُّهْدِ
 أحنُّ إلى دارٍ بعيدٍ مزارُها
 وزُغَبٍ جِيعٍ يصرخون على بُعْدِ
 وأشفقُ من صُبحِ سيأتي، وأرتجي
 مجيئاً له يجلو من اليأس والوجدِ

الليلُ طار وما نهاري حين يُقبلُ بالقصيرِ
 الليل طال: تُباحُ آلاف الكلاب من الغيومِ
 ينهلُ، ترفعه الرياح، يرُنُّ في اللَّيْلِ الضَّريرِ
 وهُتافُ حَرَّاسٍ سهارى يجلسون على الغيومِ
 الليل والعُشَّاق ينتظرون فيه على سنا النجم الأخيرِ

يا ليلُ ضَمَّخَكَ العراقُ
 بعبيرِ تُرْبَتِهِ وهدأةِ مائه بين النخيلِ

إني أحسُّك في الكويت وأنت تُثقل بالأغاني والهديل
 أغصانك الكسلى و«يا ليل» طويل
 ناحت مطوّقةً بباب الطاق في قلبي تذكّر بالفراق
 في أيّ نجمٍ مطفاً الأنوار يخفق في المجرّه
 ألقت بي الأقدار كالحجر الثقيل
 فوق السرير كأنه التابوت لولا أنّهُ ودُمُّ يُراق
 في غرفةٍ كالقبر في أحشاء مستشفى حوامل بالأسرة.
 يا ليل أين هو العراق؟
 أين الأحبة؟ أين أطفالي؟ وزوجي والرفاق؟
 يا أمّ غيلان الحبيبة صوّبي في الليل نظره
 نحو الخليج. تصوّريني أقطع الظلماء وحدي
 لولاك ما رمّت الحياة ولا حنّنتُ إلى الديار
 حبّبت لي سُدف الحياة، مسحها بسنا النهار
 لمَ توصدين الباب دوني؟ يا لجوّاب القفار
 وصل المدينة حين أطبقت الدجى ومضى النهار
 والبابُ أغلق فهو يسعى في الظلام بدون قصدٍ

وخَوْض في الظلماء سمعي تشدُّه
 بجيكور آهاتٌ تحدَّزْنَ في المدُّ
 بكاءً وفلاحون جوعى صغارهم
 تصبَّروهم عذراءُ تحنو على مهدِ
 يغني أساها خافقُ النجم بالأسى
 وتروي هواها نسمة الليل بالوزد

أين الهوى ممّا ألقى والأسى ممّا ألقى؟
 يا ليتني طفل يجوع، يثنّ في ليل العراقِ
 أنا ميّت ما زال يُحتضر الحياه
 ويخاف من غده المهدّد بالمجاعة والفراق
 اقبال مدّي لي يدك من الدجى ومن الفلاه،
 جسّي جراحي وامسحها بالمحبّة والحنان
 بك ما أفكر لا بنفسي: مات حبك في ضحاه
 وطوى الزّمان بساط عرسك والصبي في العنقوان⁽¹⁾.

(1) من بين ما أرسل إلي، من أوراق الشاعر، دفترٌ كان فيما يبدو مشروع ديوان «إقبال والليل»، حيث عنوان السياب الدفتر بهذا العنوان، كان واضحاً أن خطّ الشاعر فيه يبدو مختلفاً قليلاً عن خطّه القديم جراء ضعف يده إبان أيامه الأخيرة واستفحال المرض. قصيدة «إقبال والليل» هي آخر ما خطّ في هذا الدفتر، لذا يرجّح أنها آخر ما كتب السياب قبل وفاته. (م)

ليلي

قَرَّبَ بعينيكَ مِنِّي دُونَ اغْضَاءِ
 وَخَلَّغَنِي أَتَمَلَّى طَيْفَ أَهْوَائِي⁽¹⁾
 أَبْصَرْتُهَا؟ كَادَتِ الدُّنْيَا تَفْجَّرُ فِي
 عَيْنِكَ دُنْيَا شَمُوسِ ذَاتِ آلَاءِ
 أَبْصَرْتَ لَيْلِي فَلَبَنَانَ الشَّمُوحِ عَلَى
 عَيْنِكَ يَضْحَكُ أَزْهَاراً لِأَضْوَاءِ
 إِنِّي سَأَلْتُهَا فِي بُؤْيُوكِ كَمَنْ
 يَقْبَلُ الْقَمَرَ الْفُضِّيَّ فِي الْمَاءِ
 لَيْلِي! هَوَايَ الَّذِي رَاحَ الزَّمَانُ بِهِ
 وَكَادَ يَفْلَتُ مِنْ كَفِّي بِالْدَاءِ
 حَنَانُهَا كَحَنَانِ الْأُمِّ دَثَّرَنِي
 فَأَذْهَبَ الدَّاءُ عَنْ قَلْبِي وَأَعْضَائِي
 أَخْتِي الَّتِي عَرْضُهَا عَرْضِي وَعَفْتُهَا
 تَجَاجُ أَتَيْهِ بِهِ بَيْنَ الْأَخْلَاءِ
 عَرَفْتُهَا فَعَرَفْتُ اللَّهَ عَنْ كَثْبِ
 كَأَنَّ فِي مَقَلَّتِيهَا دَرْبَ اسْرَائِي

(1) من القصائد التي نظمت في الكويت ولا يعرف تاريخها. (المحقق)

ليلي هوايَ منايَ شعري
 روعي الأعزَّ عليّ من روعي وآمالي وعُمري
 حملت ضفيريُّها هوايَ كأنها أمواجُ نهرٍ
 حملته نحو مدى السماء
 نحو المجرة والنجوم ونحو جيكور الجميلة
 فأنا فتى أتصيد الأحلام يا لك من فراشات خضيلة

أتصيد الأشعارَ فيها والقوافي والغناء
 أو تذكّر لِقاءنا في غرفة للداء فيها
 ظل كظلّ الليل يخنق ساكنيها
 لكننا بالشعر حولناه زرعاً من ضياء
 بالحب أزهر واللقاء
 ما كان أحلى حبنا العربي حب كُثير وجنون قيسٍ
 التبغ صحرائي أهيم على رفارفها الحزينه
 وهناك نبي خيمتين من التأسي
 «ليلي منادٍ دعا ليلي فخفَّ له

نشوان في جَنَبَات القلب عريد
 كسا النداء اسمها سحراً وحيه
 حتّى كأن اسمها البشري أو العيد

هل المنادون أهلوها وإخوتها
 أم المنادون عشاق معاميد
 إن يشركوني في ليلي فلا رجعت
 جبال نجد لهم صوتاً ولا البيد
 ليلي تعالي نقطع الصحراء في قمراء حُلوة
 متماسكين يداً إلى يد من نحب
 وترن في الأبعاد غنوة
 للرمل همس تحت أرجلنا بها، للرمل قلبٌ
 يهتز منها أو ينام وللنخيل بها أنين.
 وتهرعن بعد كلابٍ يا لَغيم من نباخ
 هيهات يعشقه سوى غبش الصباح
 فأنا وأنتِ نسير حتّى تتعبين
 «ماء أريد أليس في الصحراء غير صدى وطين؟»

وتكركر الصحراء عن ماء وراء فم الصخور
 فأظل بالكفين أسقيك المياه فترتوين
 أسقي صدائك فترتوين
 أوتذكرين لقاءنا في كل فجر
 وفراقنا في كل أمسية إذا ما ذاب قرصُ

الشمس في البحر العتي

تأتين لي وعبير زنبقة يشق لك الطريق فأبي عطر!

وتودعين فتهبط الظلماء في قلبي ويطفئ نوره القمر الوضي

فكأن روحي ودعتني واستقلّت عبر بحر

وأظل طوال الليل أحلم بالزنابق والعبير

وحفيف ثوبك، والهدير

يعلو فيغرق ألف زنبقة وثوب من حرير.

قيثارةُ الريح

(1971)

إشارة

صدرت هذه المجموعة، لأوّل مرّة، عام (1971) عن وزارة الإعلام العراقية، لمناسبة ذكرى وفاة السيّاب السادسة. وقد أشرفت على تحقيقها آنذاك لجنة وزارية تكوّنت من: عبد الجبار البصري⁽¹⁾، زكي جابر، سامي مهدي، خالد علي مصطفى. وكان غلاف الديوان والتخطيطات الداخلية له من رسم ضياء العزاوي.

اتصلت اللجنة بعائلة الشاعر: السيّدة إقبال العبد الجليل (زوجة السيّاب)، وشقيقها فؤاد العبد الجليل، وقد حصلوا وقتها على مخطوطات متناثرة قديمة ودفتر مدرسيّ بخط الشاعر كوّنّت بالنهاية المادّة الأساسيّة لمجموعة «قيثارة الريح» التي تحتوي قصائد من بدايات الشاعر (1944)، وهي قصائد على الشكل الخليليّ، أغلبها مهدى إلى روح الشاعر الإنكليزي ويليام ووردزورث (1770-1850)، وعلى قصيدتين طويلتين: «بين الروح والجسد» و«اللغات»، وذهب المحققون أن الأخيرة كُتبت مطلع الخمسينات من القرن العشرين، أما مطوّلة «بين الروح والجسد»، فقد راجّ حولها كلام على أنها ملحمة من ألف بيت، وقد فُقدت بعد إرسالها من قبل السيّاب إلى الشاعر المصري علي محمود طه المهندس بيد فيصل السامر (صديق الشاعر).

(1) أسقطت دار «العودة» اسم الناقد عبد الجبار البصري من لجنة محققي الديوان حين أعادت طباعة «قيثارة الريح» ضمن المجلد الثاني لأعمال السيّاب الشعرية. (م)

اعتمدتُ في تحقيق هذا الديوان على طبعتين: طبعة وزارة الإعلام العراقية وطبعة «دار العودة»، وقد وجدتُ فروقات طفيفة بين الطبعتين في بعض الأبيات وضّحتها في هوامش، فضلاً عن تصحيح بعض الأخطاء الطباعيّة.

المحقق

ذبولُ أزاهر الدفلى

«إلى روح وورد زورث»

لَبَذَعَ الْأَوَامُ أَزَاهِرَ الدَّفْلِ
 فذوت كما يذوي سنا المقل
 كانت تعيرُ النهرَ حمرتها
 فيضيء فيه الموج كالشُّعْلِ
 كانت تعيرُ النهرَ حُلَّتْهَا
 فيسير في وشي من الحُلل
 كم زينت بالأمس لبَّته
 بقلائدِ المرجان، والقبل
 واليوم أطفئ نورها وخبأ
 فكأنها لم تَنَدَ أو تمل..
 واليوم أصبح عِقْدُهَا بَدَدًا
 فرأيتُ جيد النهر في عَطَل
 ولكم مررت بزهرة ذبلت
 فبكيْتُ، حين بكيَتِها، أملي
 وسقيتُها بالراحتين كما
 تسقي السحابةُ تربةَ الطَّل

فتراعشت في غصنها وهوت
 ومضى النسيم بها على عجل
 يا عينُ أينَ أزهَرَ الدُّقْلِ
 مُرِّي بجانب نهرها وسلي
 لرجوت - لو دامت غضارتها -
 وصلَ التي وعدتْ فلم تَصِلِ
 قد كانَ وشكُّ ذبولها أجلاً
 للملتقى ففُجئتُ بالأجلِ
 ولكنك آمل أن أقبلها
 وأعَبَّ خمرةَ حسنِها الثملِ
 أما وقد ذبلت؛ فلا أملُ
 لي باللقاء فكيف بالقبلِ

أبو الخصيب - 1944/6/7

جدولٌ جفَّ ماؤه

«إلى روح وورد زورث»

المدّ هاجرُ ذاك الجدول النائي
والصمتُ معتاده من بعد ضوضاءٍ
إلا حفيفاً يهزّ الشوقُ سامِعَه
إلى ظلالٍ تنير الموحّ لَفَاءٍ
يعلو فيعقبه صمتٌ فإنْ سُمِتْ
أنغامُه الصمتَ هبَّت بعد إغفاء
تهدّل السَّعْفُ الفينان وافترشت
أفياؤه الضفّة الظمأى إلى الماءِ
واسترسلتْ ورَقَاتُ التوت هاويةً
في القعر ما بين أعشاب وحصاء
كأنهنَّ ظلال الدوح قد نصلت
من موجةٍ ضاحكتها الريحُ زرقاءٍ
فغودرت حين آبَ الجزرُ ثاويةً
تلهو الرياح بها من كلّ هوجاء
يا هل رأيتَ جذوعَ النخل عاريةً
من ائتلاقٍ سرابيٍّ^(١) ولألاء

(١) لم أجد خيراً من هذه الكلمات لوصف ذلك التموّج الشعاعي الذي تعكسه حركات الماء على جذوع النخل، ولا يدرك جمال هذا الوصف إلا من لاحظ تلك الانعكاسات (ش).

من كلّ دائرة في الماء قد رسمت
 أخرى على الجذع من نور وأضواء
 فلو سرّت في ضمير الموج وسوسةً
 لأظهرتها الجذوع الشّم للرائي
 يا من رأى شجرات الموز ذاويةً
 أوراقهنّ ظمأً بعد إرواء
 يا ربما كن والأمواج ساريةً ⁽¹⁾
 من خلفهن، وما يشكون من داء ⁽²⁾
 وا لهفتهاء على الأمواج كم عكست
 خيال كلّ قَتولِ الطرف عذراء
 وظلّ كلّ طُروب الظلّ راقصةً
 من الأزهير، حمراءٍ وصفراء
 فجاءها الصيفُ ثمّ البين معتسفاً
 واسترسل الجزرُ عوداً بعد إبداء ⁽³⁾
 حتّى نظرت وما للعين منتجعٌ
 من أوجهٍ وأزهيرٍ ومن ماء
 ومعبرٍ من جذوع النخل غيّرهِ
 مرُّ الليالي بإيحاشٍ وإبلاء

(1) كانت «شابحة» وقد عدّها الشاعر بخطّ يده. [المحقق]

(2) وجدت الشطر الأول لهذا البيت في طبعة دار «العودة» على النحو التالي: «يا ربما كانت الأمواج سارية..». (م)

(3) لاحظ الشاعر ضعف هذا البيت فحاول أن يعيد صياغته، كما يتّضح في المسودة، إلّا أنّه لم يكمل الصياغة الجديدة. [المحقق]

يا ربما كان، والأيام ضاحكة
دربَ الجميلات والزُّرَّاعِ والشَّاءِ
يا ربما ردّ - يا نهْرُ - الزمانُ لنا
ما ليس نرجوه من أنسٍ وسرّاءِ
لارتدَّ ينصبُّ فيك الماءُ لو رجعت
إلى حفافيك بعد النأيِ حسنائي

أبو الخصيب - 1944/8/12

العشُّ المهجور⁽¹⁾

«إلى روح وورد زورث»

بمنجىً من مراقبة العيون
ومنائىً عن متابعة الظنون
وفي ظلالِ النخيل، حطامِ عشٍّ
تلفّع بالأزاهر والغصون
ترحل طائراه فبات خلواً
عميق الحزن متّصل السكون
يكاد نسيجه عشباً وزهراً
يبوح بما يسرُّ من الأنين
يحنُّ إلى الجداول والروابي
وضاحكة السهول⁽²⁾ إلى الحزون
لقد ذهب الذي سلّاه عنها
فعاد إلى التشوّق والحنين
كأن العشَّ حين خلا وأقوى
ومات به صدى النغم الحنون

(1) جاء ذكر هذه القصيدة في رسالة إلى الشاعر خالد الشواف، وتحدّث عنها وعن الرسالة الدكتور احسان عباس في كتابه «بدر شاكر السياب.. دراسة في حياته وشعره». [المحقق]

(2) وجدتُها في طبعة وزارة الإعلام: وضاحكة السهولة. (م)

غديرٌ جَفَّ غارِبُهُ وماتت^(١)
 أغاني مَوْجِهِ المَرِحِ المعين
 كأنَّ قَشَّاشَهُ أوتارُ عود
 مكفَّنةٌ بها جثثُ اللحون
 وأبدل من ظعين قد تولَّى
 بما لم يُسَلِّهِ حُبُّ الطعين
 إذا مَتَعَ النهار أوت إليه
 ظلال النخل ناعسة الجفون
 ويطرقه شعاع النجم وَهناً
 وضوء البدر حيناً بعد حين
 طُروقَ الذكريات فَوَادَ صَبَّ
 كثير الشجْوِ منقطع الوتين
 تمرُّ به النسائم هامسات
 فتنشُرُ فيه عطر الياسمين
 وتوقظ في جوانبه الأغاني
 عذابَ الجَرَسِ فاتنة الرنين
 وكم غمرته أنفاسُ الخزامى
 قد امتزجت بدمع ندى هتون
 ورُبَّ لَـوَ حَشَّةٍ تأوي إليه
 إذا أوتِ الطيور إلى الوكون
 لِيُشَبِّهُنِي فحالٌ مثل حالي
 وشأن في الغرام حكى شؤوني

(١) وجدتها في طبعة وزارة الاعلام العراقية: «وماتت». (م)

فقلبي لا يزال قرين شجور
 متى هفت القلوب إلى قرين
 إذا الأحلام زُرن عيون غيري
 تزور العبرة الحرّى عيوني
 يكاد العشُّ إن هتفت صدوح
 يبادلها غناء شج حزين
 وليلٍ نام سامرُه اكتئاباً
 أثار له الخفيّ من الشجون
 وأذكّرُه ليالي ذاهباتٍ
 فغصّ من الكآبة بالدجون

أبو الخصيب 1944/7/27 -

ثورةُ الأَهْلَةِ⁽¹⁾

«أحببتها وهي تكبرني بسبع
فثارت أهلةُ تلك السنين السبع...»⁽²⁾

أما زلتَ تصبو إلى قربها
رويداً فما أنت من صاحبها
تخطيتَ سبعاً — من المثقلاتِ
بما لست تدري — إلى حبها
تركتَ الأَهْلَةَ عن جانبك
حيارى تشكّي إلى ربها:
«أكانت سدى كلُّ تلك السنين
وقد هدّنا السيرُ في دربها
أيطوي مداها إلى حبّه
فتى ما رأيناه في ركبها»⁽³⁾
تخطيتَ سبعاً فكم من ضحى
وكم من مساءٍ وليلٍ بها

(1) لقد اختار الشاعر ثمانية أبيات من هذه القصيدة وضمّنها في قصيدة «أهواء» المنشورة في مجموعة «أزهار ذابلة». [المحقق]

(2) الحديث للشاعر، والمعنية به هي المعنية بقصيدة «اسم لباب» في ديوانه الأوّل «أزهار ذابلة».

(3) الأقواس من وضع الشاعر.

وكم نبضة من فؤاد التي
تشوّقت للعطف من قلبها

أما زلت مستسلماً للأنين
رويداً، فعهدي بها لا تلين
وهل تسمع الشعر إن قلتُهُ
وفي مسمعيها ضجيج السنين
أطّلت على السبع من قبل عشرين
عاماً، وما كنت إلا جنين
وأمسى - ولم تدري أنت الغرام -

هواها حديث الوري أجمعين⁽¹⁾

لقد نَبَّأوها بهذا الهوى
فقالت: وما أكثر العاشقين
أما زلت في غفلة يا حزين
أحبّبتُ سواك ففيم الحنين
حرام عليها هنيء الرقاد
أتغفوا وما أنت في النائمين

حزيران 1944 - بغداد

(1) كان البيت التالي مكان هذا البيت:

«أخفى الهوى عنك حتى الزمان وتنسيك أشواقك العالمين
يبدو أن الشاعر لم يجد فيه ما يعبر عن المعنى الذي يريد فحاول أن يبدله». [المحقق]

أَصِيلُ شَطِّ الْعَرَبِ⁽¹⁾

«إلى روح وورد زورث»

الشَطِّ راوحه الأصِيلُ	فمضى على رُوْدٍ يَسِيلُ
وأناه بعد المدّ جزرُ	فهو موهونٌ كليل
الماء غادر جانبيه	وراح يحدوه الرحيل
فتجرّدا من صفحة	زرقاء زَيْنها النخيل
يا عين طوفي وامرحي	فمطأفكِ الشَطِّ الجميل
وامشي على ثَبَجِ المياه	كما مشى النَّسَمُ البليل
فهنا شراعٌ خافق الجنّاتِ	ذَهَبُهُ الأصِيلُ
وهناك صاريةٌ تلوحُ،	وَتَمَّ مجذافٌ يجول!
وعلى السماء غلالةٌ	حمراءُ نَشَرها الأفول
حمراءُ توقد في ضلوعِ	الموج ناراً لا تزول
وبدا نخيل الضفّة الأخرى	تحركه القبول
كم تحته من منزل	لا يستريح به النزيل
سَعَفٌ وجذعٌ قام في	جنباته تَعَبٌ شَفول

(1) ورد العنوان في طبعة دار «العودة»: «أمير شط العرب» وهو خطأ فادح، والصحيح هو «أصيل...» وكنتُ أطلعتُ على صورة طبق الأصل للقصيدة من الدفتر الذي اعتمده المحققون، وهو بخط السياب. (م).

ساج يحفُّ به اليراعُ⁽¹⁾ وأمامه «بَلَمٌ»⁽²⁾ حبيسٌ
وهناك في غاب النخيل ثور يخور ونعجةٌ
وَلَتَسْمَعُ الطفلَ الصغير والغادةَ الجذلى يشاركها
وأمام عيني جدول متعانقٌ والشط فهو نجيه
يشكو إليه هوى الجرار يا شطُّ ليتك سامعي
يا موج، يا ملاح، يا ياربح، يا سرب الطيور
شَارَكْنِ قلبي في المسرة .. لا رقيبٌ، لا عذول

الغضُّ والسدْرُ القليل آدُه الحبسُ الطويل
يلقَه الظلّ الظليل تشغو وأغنية تسيل
يجيبه الشيخ الجليل الغلام بما تقول
عذبٌ مُقْبَلُهُ ضئيل العفُّ الوصولُ
فما يُبَلِّ له غليل أوليت قلبك لي يميل
بيضُ الزوارق، يا نخيل البيض يرشده الدليل
.. لا رقيبٌ، لا عذول

أبو الخصيب - 1944/8/30

(1) القصب (ش).

(2) زورق شطّ العرب، تعمدت ذكره لأن لفظة «زورق» لا تعطي الصورة الصادقة لما أراه. ولم لا نذكر البلم وقد ذكر المصريون زورق فينيسيا (الجنبدول)، واستعمل الإنكليز لفظة بلم في لغتهم. (ش)

أراها غداً⁽¹⁾

«على الرغم من أنك تكبريني بسبع من السنوات
فقد تجرأت وأرسلت هذه الزفرة مع من يقرأها عليك.
ولكن وأسفاه، لا أعلم أأدى الرسالة أم خانها»⁽²⁾

أراها غداً هل أراها غدا
وأنسى النوى، أم يحول الردى
فؤادي، وهل في ضلوعي فؤاد
لقد كدت أنساه لولا الصدى
كأنني به خاذلي إن تمر
على بعدٍ ما بيننا من مدى
مشى العمر ما بيننا فاصلاً
فمن لي بأن أسبق الموعدا
ومن لي بطيِّ السنين الطوال
ستمضي دموعي وحببي سدى
أراها فأذكر إنني القريب
وأنسى الفتى الشارد المبعدا

(1) وردت القصيدة في رسالة على الشاعر خالد الشواف وقد نقل أبياتها الدكتور إحسان عباس في كتابه (بدر شاكر السياب - حياته وشعره). (المحقق)
(2) الحديث للشاعر.

أراها فأنفض عنها السنين
 كما تنفض الريح برد الندى
 فتغدو وعمري أخو عمرها
 ويستوقف المولِدُ المولداً⁽¹⁾
 أغض - إذا ما بدت - ناظري
 فهيّات تعلم كم سُهِدا
 ولو أنّها نبئت بالفِرام
 غرامي، لقربت المنشدا
 وقالت: أيعصى نداء المحبّ
 حرمتُ الهوى إن عصيتُ ندا
 سأنسى الجراحاتِ والأمنياتِ
 سوى أنّ عيني تراها غدا

بغداد 1944/4/21

(1) البيت والأبيات الثلاثة التي تسبقه نشرها الشاعر ضمن قصيدة «أهواء» المنشورة في مجموعة «أزهار ذابلة». (المحقق)

يا نهر

يا نهر عاد إليك بعد شتاته
 صبّ يفيض الشوق من زفراته
 حيرانُ يرمق ضفتيك بلوعة
 فيكاد يضرع شوقه عبراته
 كم رافقتك فأنستك خطاه في
 غدواته للحبّ أو روحاته
 أفأنت تذكره وتحفظ عهده
 أم قد نسيت عهوده وسماته
 قد أنكرته فتأته وتبعته
 وهو الذي يفديكما بحياته
 ليودّ من شغفٍ بمائك لو غدا
 ظلّاً يداعب فيه جنّياته
 متعلقاً بشراع كلّ سفينة
 ليجاذب الملاح أغنياته
 وتلوذ أنوار النجوم بصدرة
 وتراقص الأمواج من ضحكاته
 يا نهر أين مضى الزمان بأنسه
 والمترع المعسول من كاساته

وهل اهتدى الزمن الحقوق فغال ما
 قد أودع المفؤود في خلواته
 قُبَلَاتِهِ فِي ضَفْتَيْكَ صَرِيعةً
 أفهل حفظت له صدى قبلاته
 أمواجك اللائي شهدنَ غرامه
 وسمعنَ لوعته وبثَّ شكاته
 عبثتَ بهن من الليالي غَدْرَةً
 وأضاعهنَّ الجزرُ في سَفَرَاتِهِ
 والسدوح أسلم للبللى وَرَقَاتِهِ
 وثمالة القبلات في ورقاته
 والريح أسأمها أنتظار إِيَابِهِ
 وأملها ترديد أغنِيَاتِهِ
 فرمت لطول عيائها مزماره
 وعفا بمسمعها صدى نغماته
 يا ساقِي الشجرات ما لك لا تُرى
 إِلَّا كئيباً لَجَّ فِي حَسَرَاتِهِ
 وتطوف ما بين الرياض أبحاثاً
 عن غائبٍ حَجَبَ البعاد سماته
 ما للروابي أَرْمَتْكَ شَكَاتِهَا
 والمرجُ ألقى فيك شَبَابَاتِهِ
 فسل الربى عن نورها وزهورها
 والمرج عن شعرائه ورعاته

ذهبوا فما في الروض إلا نائح
متفردٌ بدموعه وأذاته
حُلِّو الخريز، ملاذ كلِّ معذبٍ
ظمئ الفؤاد وأنت بعضُ سقاته

أبو الخصيب - 1944/6/7

مجرى نضير الضفتين

«إلى روح وورد زورث»

مُقَلُّ الظباء وأعين الشعراء
صَوَّرَ إلى المجرى الضئيل النائي
بكرت تتابع موجّه وظلاله
ومساحِبَ الأنسام فوق الماء
ومنابت العُشْبِ النديّ تناثرت
في القعر أو في الضفّة الخضراء
كُسِيتَ بِسَلْسَلِ مائه أنصافُها
وتلثّمت أنصافُها بهواء..
ولكلّ عودٍ صورةٌ أو ظِلَّةٌ
تنسابُ فوق الصفحة الزرقاء
أو مؤنّسٌ مِنْ فيئهِ مترجّحٌ
في القعر بين فرائد الحصباء
فلإذا تنهدتِ الرياحُ تعلّقت
— من خوفها — الأفياءُ بالأفياء
وتراعش العُشْبُ النضير وماؤه
مثل ارتعاشِ كواكب الظلماء

أَوْ كَالشَّرَاحِ تَجَاذِبْتَهُ نَسَائِمُ
 أَوْ كَالْفُؤَادِ مُفَاجِئاً بِلِقَاءِ
 وَالْقَعْرِ طَافَ بِهِ ائْتِلَاقٌ عَاجِلٌ
 وَدَوَائِرٌ جَذَلَى مِنَ الْأَضْوَاءِ
 فَكَأَنَّهَا جَنَّ الْفَلَائِ تَمَثَّلَتْ
 فِي خَاطِرِي، وَعَرَائِشُ الدَّمَاءِ⁽¹⁾
 مِنْ كُلِّ فَاتِنَةٍ يُنَشِّرُ ثَوْبَهَا
 لَعِبُ النِّسَائِمِ وَاهْتِزَّازُ الْمَاءِ

عَيْنِي شَفَّكَمَا السَّهَادُ وَهَاهُنَا
 مَا تَصْبُوَانِ إِلَيْهِ مِنْ نَعْمَاءِ
 فِتْنٌ بِهَا، عَمَا انْطَوَى وَحُرْمَتُهَا
 مِنْ فَاتِنِ الْأَحْلَامِ، أَيُّ عِزَاءِ
 وَطَبِيعَةٍ تَغْنِيكَمَا بِسَمَائِهَا
 عَنْ بَسْمَةِ التِّيَّاهَةِ الْحَسَنَاءِ
 نَظَرًا إِلَى الْمَجْرَى الضَّئِيلِ النَّائِي
 وَقَدْ ارْتَدَى حِلَالاً مِنَ اللَّأْلَاءِ
 وَغَدَا يَتِيهِ عَلَى السَّمَاءِ بِمَا سَبَى
 مِنْ لَوْنِهَا وَجَمَالِهَا الْوَضَاءِ
 وَبِمَا اكْتَسَى مِنْ خُضْرَةٍ وَغَضَارَةٍ
 وَبِمَا اجْتَنَى مِنْ وَارِفِ الْأَفْيَاءِ

وبما تحيّر من حبابٍ فوقه
وانسابٍ في مرآته الجلاء
وبشاعرٍ سحرَ الضفاف غناؤه
فمضت تهزّ قياثرَ الأصداء

أواه لو رجّعت لي أصدائي
مثل الضفاف متى سمعن غنائي
لهتفت: حُبُّكَ شَفَّنِي، فأجبتني
وأعدت لي قولي ورجع ندائي
وهمست: حَبَّكَ شَفَّنِي وأريتني
صفو الحياة ومنتهى أهوائي

بغداد - 17/10/1944

لامس شعرها شعري

مرّت فلامس شعرها شعري
 فإذا الهوى بجوانحي يسري
 مرّت ولم أرها، سوى نبأ
 عذب البشائر ذاع في صدري
 القلب يعرفها بمشيتها،
 بالظلّ، بالأنفاس، بالعطر
 يا ليت شعريّنا إذ اعتنقا
 عُقدا فما انفرطا مدى الدهر
 بل ليت مسرعة الخطى وقفت
 ووقفت حتى ساعة الحشر
 أشكو الغرام لها فتبسم لي
 وتلين إن أسمعها شعري

أدعوك، واسمك لست أعرفه
 دعوات حُرّ ضاق بالأسر
 أنست منك تطلّعا ملكث
 نظراته الجمّاح من فكري

أَفَعَنْ هَوَى مَا كَانَ مِنْ نَظَرٍ
أَمْ كَانَ لَهُوَ عَاجِلَ الْمَرِّ
بُوحِي بِسَرِّكَ، لَا، بَلْ أَتَدِي
أَخْشَى الْأَسَى إِنْ بُحِتِ بِالسَّرِّ
فَدَعِيَ الْفَوَادِ يَعِيشُ مَغْتَبِطاً
جَذْلَانِ مَا بَيْنَ الرُّؤْيِ الزُّهْرِ
يَا لَيْتَنِي وَقَدْ ابْتَعَدْتَ مَدَى
قَبَّلْتُ مَا لَمْ يَسْتِ مِنْ شَعْرِي
بَلْ لَيْتَ مَا لَمْ يَسْتِ مِنْهُ غَدَا
حَمْرَاءَ مَشْرِقَةٍ مِنَ الزُّهْرِ
تَكْسِينِ شَعْرِكَ مِنْ مَفَاتِنِهَا
ثَوْباً مِنَ السَّلَالِ وَالنَّشْرِ

بغداد - 1944/11/17

صائِدة

«من وحي... أ...»

ضحى بِسَمَتٍ أَشَعَّتْهُ وَطَابَا
وَأَغْصَانٌ أَبَتْ إِلَّا اضْطَرَابَا
وَأَزْهَارٌ يَذَابُ الْطُلُّ فِيهَا
وَرِيحٌ تَنْفُضُ الْطُلَّ الْمَذَابَا
وَقَلْبٌ دَائِمُ الْهَيْمَانِ أَضْحَى
لَفَرَطِ الشُّوقِ يَلْتَهَبُ التَّهَابَا
وَهَلْ أَنْسَى «لُبَابَ» إِذَا تَنَاءَتْ
وَكُلَّ النَّاسِ يُذَكِّرُنِي «لُبَابَا»:
مَتِيْمَةٌ تَسْهَدُهَا اللَّيَالِي
وَتَسْمَعُهَا الْخَلِيَّاتُ الْعِتَابَا
وَأُخْرَى غَيْرَهَا اجْتَذَبَتْ فَتَاهَا
إِلَى أَحْضَانٍ مَخْدَعَهَا اجْتَذَابَا
وَمَجْنُونٌ يَهِيْمُ بِأَلْفِ لَيْلَى
فَلَا وَصْلًا يَنَالُ وَلَا اقْتِرَابَا
وَفَاتِنَةٌ تَطْلَعُ كُلَّ طَرْفٍ
لَهَا ظَمَانٌ يَسْأَلُهَا الشَّرَابَا

سریت وراءها وسرت ورائی
 نجوب الروض عوداً أو ذهاباً
 طروب کلّ مکتئب رأها
 فلیس یحسّ همأً واکتئاباً
 وصاحبةٍ لها تبعث خطاها
 کعابٌ غضةٌ صحبت کعاباً
 ولما أن رأتنی بادرتنی
 بأنظارٍ لقیّت بها العذاباً
 وجاذبت الرفیقة ساعديها:
 فأذعنت انعطافاً وانجذاباً
 وكان تهامسٌ فارتاع قلبي
 وأغرق في الظنون وقد أصاباً
 أجالت طرفها فرأت فراشاً
 یُنیل الريحَ أجنحةً رطاباً
 طروباً عاد یلثم کلّ غصن
 وینتهب الأزهیر انتهاباً
 فمن متآلفین هوی وشوقاً
 ومنفردٍ أبی إلا اغتراباً
 أتابعه بعیني اشتیاقاً
 وتلحظه بعینيها ارتياباً
 فعادت وهي غاضبةٌ حسود
 فدیثُ بروحي الغید الغضاباً

نظرتُ لها وقد بسطتُ يديها
 لقنص فراشة فدنوت قاباً
 فقلت أتصبح الحسناء تجني
 على واهٍ لتُعذَّل أو تُعاباً
 تصيدن الفراش، كفاك صيداً
 قلوبٌ بات أسلمها مصاباً
 سلي عينيك إن حاولت علماً
 أما دعنا فرؤادي فاستجاباً

بغداد - 1944/11/26

ثورة على حواء

عبس الفؤادُ وكان يبتسم
وهوت على جنباته الظلمُ
وأرى الخيالَ يكاد يخذلني
فأرُش خيالي أيها الألم
وافسح له الأفاق نائيةً
لا الوهم صورها ولا الحلم
قد لفَّها ليلٌ غلالته
قبريةٌ ونجومه الرَّمَم
ما في جوانبها من امرأةٍ
رعناء ملء فؤادها حِمَمُ

إني عدوك يا مُعَرَّرةً
سكرت بخمرة شرها الأُمَمُ
ما فيك إلا كلُّ مثلبةٍ
ما فيك إلا الحزنُ والندم
ولأنت يا محبوبته أسي
للقلب يحطمه فينحطم

ولأنّـيَ — مهما كنت — سافلةٌ
 إن شاء ذلك أو أبى الخدم
 خدموا جمالكِ وهو — لو علموا —
 دَنَسٌ بثوبِ الطهرِ ملتئم
 إنّي أشكُّ بكلِّ غانيةٍ
 لا بل أكاد، أكاد أتهم
 وأقول جهراً أنّـيَ عاهرةٌ
 وليغضبَنَّكِ ذلك — الكلام
 حطمتِ قلبي في الهوى سَفَهًا
 فمتى، وأين، وكيف أنتقم

ويمثّلُ التذكّارُ لي صُوراً
 زهراً معطرةً فأبتسم
 كفّاً تصافحني مهنئةً
 فكأنما نبضاتها نغم
 وأكاد من شَغَفٍ أقبلها
 وأكاد حين نصولها أجمُ
 فأعود أغتفر الذنوب لها
 ويروعني ما خطّه القلم..
 فأكاد أمحوه فيمنعني
 فكر يُريشُ جناحه الألم

وأعوذ أذكّر من مآثمها
 ما ردّ قلبي وهو مضطرم
 كيف الرضا والنفس جامحة
 وجراح قلبي ليس تلتئم
 عبّد النساء معاشِرُ جهلوا
 ما إذا يُخبّي ذلك الصنم
 يُخفي الخساسة في تكبّره
 لا سرّ قدرته كما زعموا
 وأشكُّ بالعدراء تظهرُ لي
 عذراء ما عِلقتُ بها التهم
 وأقول: وجه البدر مؤتلق
 ولقد تُجلّلُ ظهره الظلّم

يا مَنْ غُرّرتُ بحبها زمناً⁽¹⁾
 اليوم أعقب حُبّك الندم
 قد كنت أجهل أنّ من لبست
 طهر الهوى بالعهر تتسمّ
 لله ما أوحيت من نغم
 أمّن الخيانة ذلك النغم
 أورثتني شكاً بكلّ هوى
 وبكلّ من تسعى بها قدم

(1) انظر قصيدة المحبوبة المدنسة. [ش]. هذه القصيدة منشورة في مجموعة «أزهار ذابلة». [المحقق].

حَتَّى غَدَوْتُ وَمَا أَرَى امْرَأَةً
إِلَّا وَثَارَ الْحَقْدُ يَضْطَرِم
لِي عِنْدَ كُلِّ جَمِيلَةٍ تَرَةً
فَمَتَى، وَأَيْنَ، وَكَيْفَ أَنْتَقِم

بغداد - 1944/11/4

بين الرضا والغضب

حواءُ عفوكِ إن جرى القلمُ
 بغويٍّ شعيرٍ ملؤه تُهمُّ
 قد كنتُ في ما قلتِ معتسفاً
 فلبئس قولاً ذلك الكَلِمُ
 عجباً أجرد منك عاهرةً
 يا عفةً شهدت لها الأممُ
 لا لومَ فالحرمان أنطقني
 ومحا خسارة قولِي الندم
 أسكرتِ روحي بالهوى زمناً
 فسما الخيال وصفق النغم
 وهجرتِ فامتلاً الفؤاد أسى
 وعفا الغناء ونُقِرَّ الحلم
 وكثيبة النغمات⁽¹⁾ أسرجها
 ولوى إليك عنانها الألم
 وردتُ عليكِ فساء موقعها
 وارتدَّ قلبك وهو يحتدم

(1) القصيدة السابقة «ثورة على حواء». (ش)

والحزن لا يخشى إذا جمحت
 يوماً قواه وليس يحتشم
 حواءَ ليتَ هواءُك طال مدى
 أو ليت جرح هواءك يلتئم
 أبَت الخيانةُ^(١) أن تملِّكهُ
 قلباً بطهره هواء يتَّسِمُ
 لا تعذلي شعري فليس له
 ذنبٌ إذا هو جاء يضطرم
 لومي التي غدرت بصاحبه^(٢)
 وجفثته وهو من الأسى حُطِمَ
 وظلال هديك، وهي أجنحةُ
 للحب في خديك ترسم،
 لو نلتُ منك العطف ما جزعتُ
 نفسي فجئتُ إليك آتِهَم

لاتحسبي ان جئت معتذرا
 اني ذللتُ، فقد أبى الشممُ
 إنني امرؤ يرجو لديدك منى
 ولسوف تُدنيها له الهممُ
 إن تمنحيه رضى لقيت رضى
 أو توسعيه قلى فمنتقمُ

(١) انظر قصيدة «المحبوبة المدنسة». (ش)

(٢) انظر قصيدة «المحبوبة المدنسة». (ش)

إِنْ رَمَيْتِ رُوحَانِيَّةً وَجَدْتِ
عِنْدِي وَمِلْءُ رِيَاضِهَا نِعَمٌ
أَوْ رَمَيْتِ شَهْوَانِيَّةً وَجَدْتِ
عِنْدِي وَفِيهَا النَّارُ وَالْحَمَمُ

وَزَعَمْتِ أَنَّ الشَّعْرَ أَجْمَعَهُ
لَوْلَمْ تَكُونِي - غَالَةُ الْعَدَمِ
مَا هَزَّتِ الْأَوْتَارَ أَنْمَلَةً
إِلَّا وَكَانَ لِأَجْلِكَ النِّغَمُ
كَذِبَ لَعْمَرِكَ تِلْكَ أُمْنِيَّةٌ
حَسَنَاءُ صَوَّرَهَا لِكَ الْحَلَمِ
أَفْتَزْدَهِيَ الْأَنْهَارُ إِنْ وُصِفَتْ
أَمْ تَشْمَخُ الرِّبَوَاتُ وَالْقِمَمِ
وَتَعْيِّرُ الصَّحْرَاءُ شَاعِرَهَا:
لَوْلَايَ مَاتَ بِكَفِّكَ الْقَلَمِ
إِنْ تُخْلَصِي لِي بَتٌّ خَالِدَةٌ
فِي الشَّعْرِ، هَاتِفَةٌ بِكَ الْأُمَمِ
وَإِذَا نَفَرْتِ فَلَعَنْتِي وَجَدْتِ
لِلنَّافِرَاتِ وَكُلِّهَا ضَرَمِ

بين الروح والجسد⁽¹⁾ (قصة شاعرين)

(1) يستفاد من مختلف المصادر أنّ «بين الروح والجسد» ملحمة للشاعر تقع في ألف ونيف من الأبيات. وكان قد أرسلها كاملة مع السيّد فيصل جري السامر (وهو يستعد للدكتوراه) فسلمها بمصر، كما ذكر، إلى المرحوم الشاعر المصري علي محمود طه المهندس... ولم يعرف مصيرها بعد. وفيما يلي مائة وعشرون بيتاً منها جمعت من مسودة للشاعر، ومن مجموعة «إقبال» التي صدرت له بعد وفاته، ثمّ من إحدى الصحف العراقية التي كانت تصدر يومئذ.
[المحقق]

شاعر الروح (1)

هذا الجريحُ وجُرحه لا يضمّد
 جار الغرام عليه فهو مسهّدُ
 صبّ أطار الصّفوّ من أضلاعه
 قلبٌ يمرُّ به الهوى فيعربد
 أوحى إليه الشعر من آياته
 سحراً تحلُّ به النفوس وتُعدّد
 باتت تحلّق في الأعالي روحه
 نشوى، وبات خياله يتصعّد
 واهي الكيان كأنّ خطباً هَدّه
 ذاوي الشفاه لطول ما يتنهّد
 وهو المعطلّ من قوامٍ فارغ
 يسبي العيون ووجنة تتورد
 لم يُعط من مال سوى أحلامه
 وكفى بها من ثروة لا تنفد
 ما زال صرف الدهر أبقى أمّة
 تأسو الجراح بكفّها أو تضمّد

كم باتَ يلتمس الحنان فما رأى
طيف الحنان وفائه ما ينشد
وأحبَّ من جاراته فتانةً
ما زال صائدُ طرفها يتصيد
عفَّ الغرام بحسبه من حبه
نَظَرُ يعفُّ عن الأثام ويبعد

شاعر الشهوة (2)

تلك الدماء بقلبه المتضرّم
 تغلي فتدفع جسمه للمائم
 ردّ الهوى أحلامه مشبوبة
 ناراً، فحلّل فيه كلّ محرّم
 غصّ الإهاب تظل تبرق عينه
 سحراً تلوذ به القلوب وتحتمي
 وإذا العيون لمحنّ فارغ قدّه
 ورشفن خمرة ثغره المتضرّم
 أوحَيْنَ للقلب الجليد بحبه
 فأطاعهن إطاعة المستسلم
 جمّ الشراء سبى العذارى بالغنى
 والحسن حتّى ما يجذّن لمغرم
 عاش الليالي وهو عفّ طاهر
 يهديه روح العبقريّ المُلهم
 حتّى أحبّ وضيعة غدارة
 ألقتة في جنبات ليل مظلم

قد كان يحسبها مثلاً لللتقى
 والطهر والخلق الرفيع الأكرم
 حيناً وكذبت الليالي ظنّه
 وانجاب نَمّة كلّ سرّ مبهم
 ويلاه! ساء بكلّ خود ظنّه
 وارتدّ يحرق جسمه بالمأثم
 ما زال يروي الشعر عن شيطانه
 مُتَحَلِّباً شَرّاً صبيغاً بالدم
 وأحب غانيةً فهيأ سَمّه
 سرّاً، وخَبّاً صارماً في المبسم

المحبوبة (3)

حسناء تسفر عن محيّا شاحب
 ما زال يغلب كلّ طرفٍ غالبٍ
 رَمَقَتْ صباها وهي في رِيعانِهِ
 بنواظرٍ عبرى وقلبٍ ناصبٍ
 ومضت تقطّع صمتها ووجومها
 بتبسماتٍ كالصباح الكاذب
 لم تدْرِ ما دَنَسُ الغرام وطهره
 وأرى السفينةَ أمرّها للراكب

لقاء بين الشاعرين (4)

في الريف، بين نخيله المتعانق
وعلى جوانب كلّ نهر دافق
عشبٌ يجاذبه النسيم ظلّالُهُ
وندى يصفّق⁽¹⁾ بالأريج العابق
وأزاهر غيناء رفّ نديها
فرحاً بأجنحة الفراش العاشق
ومتيّمان تشاكيا حرّ الهوى
حيناً، فبرّد خافق من خافق

الشاعر الغريد لاقى شاعراً
هذا يرى شبقاً وهذا طاهراً
لو كنت ثمة سامعاً نجواهما
لسمعت مُتّقياً يناجي فاجراً
ورأيت روحاً ينبري لنضاله
جسدٌ توثّب مستخفاً ثائراً
وبقيت مضطرب الخواطر والهوى
بين الفضيلة والرذيلة حائراً

(1) صفقت الخمر: مزجت بالماء. (ش)

حديث (5)

شاعر الروح:

حَيَّتْكَ أنْفاسَ الربيعِ الباكرِ
ورعتك آلهة الهوى من شاعر
مَرَرْتُ لِيَالٍ كُنتَ فِيهَا غَائِباً
عَنِي فَأَظْلَمَتِ الحَيَاةُ بِنَظَرِي
وَالْيَوْمَ عُذْتُ فَعَادَ لِي صَفْوُ المُنَى
وَتَجَلَّتْ الدُّنْيَا بِثَوْبٍ سَاحِرٍ
فَلَتَنَلُونَّ عَلَيَّ مَا هِيَ أَتُهُ
مِنَ نَغْمَةِ سَكْرَى وَشَعْرِ نَاضِرٍ

شاعر الشهوة:

أَهْوَى مَفَاتِنَ جِسْمِكَ المَسْتَلِمِ
وَهَوَى لَذَائِذَهُ مُزْجِنَ بِمَائِمِ
جَسَدِ عَلَيَّ أَرَاهُ بَاتَ مُحَرِّمًا
وَعَلَى حَقِيرِ الدُّودِ غَيْرَ مُحَرَّمِ
لَأَطْوَحَنَّ بِكُلِّ عَرْفٍ سَائِدِ
وَلَأَغْبَثَنَّ بِكُلِّ آيٍ مُحَكَمِ

ولأهتكن على الفضيلة سترها

وَلَأَصْغِينَ لِمَا يَقُولُ بِهِ دَمِي⁽¹⁾

(1) في مجموعة «إقبال» نشر مقطع ميمي يتألف من خمسة عشر بيتاً مهداة إلى «روح الشاعر بودلير» وذلك على أساس أنها من ضمن ملحمة «الروح والجسد» كما يقول الناسخ. وقد لاحظنا في الأبيات الخمسة عشر أنها تبدأ بالبيتين الأول والثاني المثبتين أعلاه. كما لاحظنا أنَّ البيت الثالث محذوف كلياً. أما البيت الرابع فقد أبدل عجزه أدناه الأبيات الخمسة عشر كما نشرت في مجموعة إقبال:

وهوى لذائذه مزجن بمأثم
وعلى حقير الدود غير محرم
ولأصغين لشهوتي وتأثم
ولأغرقن معازفي بالعدم
تهفو بأنفاسي وتخفق في دمي
ولأروين تعطش الحب الظمي
لمأثم وبسرود حب مضرم
فارجع بروحك عودة المتندم
اين الغناء من الخلود المبرم
ظماً يشب بقلبك المتضرم
ماء توارد من خضم مبهم
تسعى لتنعم بالهوى المتأثم
ترمي الفتات لجسمها المتهم
صرعى، فيا لك من غوي مجرم
والمومس الشهوى بلحد مظلم

أهوى مفاتن جسمك المستسلم
جسد عليّ أراه بات محرماً
فلأذهبن من الغواية مذهباً
ولأهتكن على الفضيلة سترها
ولأشبعن رغائباً مشبوبة
ولا لهون بكل جسم دافئ
ولأجعلن المومسات مقابراً
ولأحقرن الروح! لست بقادر
يا شاعراً نصر التراب على السنا
الماء في الأغوار ليس بمطفئ
غاد السحائب بكرة فاستسقى
لعتك أحجار الطريق لطول ما
أطعمت جسمك للأنام ومومس
كم من بنين تركتهم في حجرها
وفات جسمك سوف يقبر في غد

هذا وإن الأبيات هذه مؤرخة بتاريخ 12/2/1944 كما ورد في رواية الناسخ الذي لم تشخصه المقدمة التي كتبها الأستاذ ناجي علوش لمجموعة «إقبال». وإذا صحت رواية الناسخ فإننا نستنتج بتحفظ أنَّ الأبيات هذه كُتبت أصلاً لتكون قصيدة مستقلة، ثم فكر السياب انطلاقاً منها في كتابة ملحمة. ذلك أنَّ الأبيات التي نرويهما نحن (وهي بخط السياب) وإن لم تكن تحمل تاريخاً، إلا أنها مثبتة بعد قصيدة عنوانها «عاشقان في الغاب: مؤرخة في 25/12/1944 علماً بأن القصائد التي نقلها هنا تحمل تواريخ متعاقبة، وآخرها هي أبيات الملحمة. وما يقوي استنتاجنا هو أنَّ السياب يشير في ما نرويه إلى «أليس» وهي فتاة أحبها بعد «ليبية» التي ترد في قصائده باسم «لباب». [المحقق].

لا تسهمنَّ وهات أنغام الهوى
 عذراء تقطر بالتصابي والجوى
 لم يَلْق شعري منك قلباً راضياً
 فلقد سفته مآثمي حتى ارتوى
 فلتهتفنَّ بكل نغم ساحر
 مما تُفيض عليك أيام النوى
 أو ما تُفيضُ عليك ساعات اللقا
 بين النخيل وعند ذاك الملتوى

شاعر الروح:

تأبى (أليس)⁽¹⁾ عليَّ أن تبسما
 فتزد قلبي هائئاً متنعمًا
 يا صوتها الطرب الحنون ولا أرى
 أني سمعت أرق منه وأرخما
 طُف بي، لأقبس من صداك قصائدي
 وأصوغ في شعري حُلاك مُنمنا⁽²⁾
 لو عاشقٌ دنفٌ سواي أحبها
 مثلي، تركت له الهوى فتَنَعَمًا

(1) أليس، فتاة زامنت السياب في الجامعة فأحبها [المحقق السابق].

(2) وجدتُ الشطر الثاني من هذا البيت في طبعة وزارة الإعلام على النحو التالي: «وأصوغ في شعري من حُلاك منمنا». (م)

شاعر الشهوة:

فاترك هواك فقد بُليت بِمُدنِفِ
 بمتيم، متشوّق، متلهّف
 يهوى حبيبتك التي أصفيتها
 ودأ كودّ صديقك ابن الأحنف

شاعر الروح:

أُحِبّ صاحبتني، وحبّي طاهرٌ
 وهواك حبّ فاجرٌ لم يَشْرُفِ
 نزّهتها عن قول هجرٍ قلته
 كادت تغصُّ به لهاة المِعْزِفِ

شاعر الشهوة:

هيهاتَ لست بتاركٍ هذا الهوى
 لا الصدُّ يورثني السُّلُو ولا النوى
 وحلفتُ ما أنا تاركاً حبي لها
 ظمئُ الفؤاد - يد الزمان - أم ارتوى

شاعر الروح:

أُمشاركِي في حبٍّ من أحبيته
 بئس الشريك، ولا سلمتَ من الجوى

شاعر الشهوة:

أُمشاركي في حبّها ما ضرّني
 أني رأيتك لي شريكاً في الهوى
 مالي ومالك أن تظّل رفيقها
 إن نلتُ بعد سويعة تطويقها
 أهوي على تلك الشفاه فأرتوي
 حيناً، وأرشف - كيف شئت - رحيقها
 وأمدّ كفيّ أينما شاء الهوى
 فأعود أقطف نورها وشقيقها

شاعر الروح:

زُورٌ لعمرك ما نطقتَ وخُدعةٌ
 تأبى عليّ محبتي تصديقها

شاعر الشهوة:

وأطوّع الخصر النحيل بضمةٍ
 من ساعدي، ما خلّته ليُطيقها

شاعر الروح:

لا تفجعنّ فؤاد بكٍ موجعٍ
 بتصوراتٍ زوّقتَ تزويقها

شاعر الشهوة:

سأخفّ بعد سويعةٍ للقاءها
 أو لا ترى كيف اعترضتُ طريقها

شاعر الروح:

رحماك! ما أبقيتَ لي من ملجأ
إن كنت تطمح أن تكون رفيقها

شاعر الشهوة:

طال الشواءُ وحن أن نتفرَّقا
فإلى اللقاء ويا له من ملتقى
فغداً أعود محدثاً عن قبلة
جنِّ الفؤاد له وخضرٍ طوقاً
ونواظيرٍ متفتتراتٍ نشوةً
وصبابةً، متلذذاتٍ باللقا

شاعر الروح:

لا تَفْسُونَ ورحمة يا صاحبي
فالقلب يوشك من ضنى أن يُحرقا
أمخلفي أشكو لظى الحب ارجع
لا تقسونَ على الفؤاد الموجع
بالماضيات الزهر من أيامنا
بالمهجة الحرّى، بفيض الأدمع
لا تعدون على التي ملكتُها
روحي، ودونك غيرها فاستمتع
لوشئتَ جاءتك الغواني خُشعاً
ينظرن نظرة واميق متطلّع

شاعر الشهوة:

لو كان في وسع المشوق العاشق
تَرَكَ الهوى، لصرفتُ عنها خافقي

ملاحظة:

إلى هنا تنتهي الأبيات المكتوبة بخط السياب في الدفتر الذي رونا أغلب قصائده هنا. أما الأبيات التالية فقد ذكر السيد إلياس سروع، وهو شاب لبناني يعدّ رسالة جامعية عن السياب، وقد زار العراق لأغراض هذه الرسالة - للسيد فؤاد طه العبد الجليل أنّه نقلها عن إحدى الصّحف العراقية التي كانت تصدر في الأربعينات. وبعد مطالعة هذه الأبيات وجدنا أنّ الناسخ قد وقع في بعض الأخطاء ولنا أن نتلافها. هذا ولم يتأكد لنا ما إذا كانت هذه الأبيات تلي الأبيات التي سبقت روايتها مباشرة أم لا. على أنّ تسلسل المعاني يوضح بأنّها لا تليها مباشرة.

شاعر الروح:

أحبُّ فاسقةً تواصل فاسقاً
هيهات لست - وإن رمّنتي - عاشقا
أحبُّ من شرب الخنا من جسمها
كأساً تنوّلُ الشراب الرائقا
أحبُّ من طرق الخنا أردافها
لا كان قلبي - إن عصاني - خافقاً

شاعر الشهوة:

أفأنت تعشق جسمها أم روحها
فالروح لم ير شارباً أو طارقاً

ما زال ناظرها الحزين الأسود
يذكّي بقلبك جذوة لا تخمد
وأرى ابتسامتها الشجية لم تنل
توحي إليك بحسرة تتجدد
إن كان همُّك من سراجك ضوءه

فدع السؤال (فكل) ^(١) زيت يوقد
وإذا عشقت من الكؤوس بريقها
فاشرب سناها واتركن رحيقها
ماذا يضيرك أن يكون شرابه
صاباً، وحسبك أن ترى تصفيقها
فلتأخذن من الحبيبة روحها
ولتتركن لآخر تطويقها
ما زلت تضمن ودّها ووصالها
ماذا يضيرك أن يكون رفيقها

شاعر الروح:

روح مطهرٌ وجسمٌ فاجرٌ
لا قرَّ جفنك أي هذا الداعرُ

(١) لم ترد عن الناسخ. [المحقق]

الروح والجثمان شخص واحد
 إن عَفَّ هذا (عَفَّ) ذاك الآخر
 هل روحها - إن نلت يوماً جسمها
 فملائته دَنَساً وعاراً - طاهر
 كلاً سأزجرُ عن هواها خافقي
 فيطيعني وهو الذليل الصاغر

شاعر الشهوة:

الروح ليس بمشبه جثمانه
 لا تَجْزِهِ بذنوب جسم خانه
 يا رَبِّ جسم غارق في قبحه
 قد ضَمَّ روحاً زانه ما زانه
 ولربِّ جسم مُعْجَبٍ لك حسنه
 قد ضَمَّ روحاً شأه ما شأنه
 والجسم ثوبٌ من ترابٍ هَيِّنٍ
 لا بدعَ إن دَنَسَ علا أردائه

شاعر الروح:

الجسم لولا روحه لم يفسد
 فهي التي صرخت به أن يعتدي
 وإذا الرداء تدَنَسَتْ أردائه
 بمدَنَسٍ فالذنبُ ذنبُ المرتدي

شاعر الشهوة:

[أزعمت⁽¹⁾ أنَّ الروح [أنزل]⁽²⁾ فاجراً
أو طاهراً في الجسم يومَ المولدِ
قد كان روح (أليس) عفأ طاهراً
ولسوف يصبح غير عفأ في غد

شاعر الشهوة:

لا زلت [حرَّان]⁽³⁾ الجوانح متعباً
صَبَّأً تقاربُ مُبغِضاً متجنباً
عَشَّتْكَ روحانيَّة خداعةُ
ما إنَّ تنيلكَ عند خودِ مطلباً
هنَّ الغواني همُّهنَّ من الهوى
أن يستفدن لذاعةً أو مكسباً
لا أن يهيم بهن غرُّ شاعرٍ
يرنو فيرجع باكياً ومشبهاً

(1) وردت عن الناسخ أزعمت [المحقق].

(2) وردت عند الناسخ نزل [المحقق].

(3) وردت عند الناسخ حزان [المحقق].

جاءت

جاءت يُجاذبها النسيم ثيابها
صباً يملّك ساعدين شبابها
أضحت تورّد خدّها أنفاسه
وارتدّ يرشف كيف شاء رضاها
ومضى يُدغدغ صدرها وبودّه
أن لو يُزيح عن النهود نقابها
ترنو فيهلك غيرة حسادها
ويميت أو يحيي الهوى أحبابها

شاعر الشهوة:

وافتك (ناعمة⁽¹⁾) القوام تأوّد
فإذا الجوانح جمرة تتوقد

(1) وردت عند الناسخ نائمة. [المحقق]

اللّعنات

إلى النار (1)

لا ترجفي يا بنان القارئ الآنا
 لا انشَقَّ بابٌ ولا صافحتِ شيطانا
 لا ترجفي وانشري سفراً، صحائفه
 دربٌ إلى النار لولا هنّ ما كانا
 أفضى إلى عالمٍ ناءٍ، إلى ظُلَمٍ
 كانت حياةً على الدنيا، وأزمانا
 حاك الخيال المدمى بعضها قصصاً
 : والواقع المرُّ أنباء.. وألحانا
 عذراء؛ ما وطئت رجلٌ مدارجها
 كالبحر قاعاً.. وغيبَ الله - شطآننا
 وادٍ من النار داجٍ: لا أَلَمَ به
 «شيخ المعرة» يستوحيه «غفرانا»⁽¹⁾
 ولا تخطى بـ (دانتي) بابَه بصرٌ
 خاض الجحيم دماً يغلي.. ونيرانا⁽²⁾

(1) في المخطوطة فوق كلمة «يستوحيه» كلمة «يستجديه» بخط أكثر حداثة يختلف عن خط المجموعة.

(2) دانتي تقرأ «دنتي» لكي ينسجم الوزن.

وادي حزانى ومظلومين تملؤه
 أطيافُ أحيائنا الغضبي، وموتانا
 ضجّوا لدى الله بالشكوى فرق لها
 قلباً، وهزّ النجوم الزهر غضبانا
 وانثال كالغيث — لو أنّ لظى...
 صوتٌ سرى زعزعاً، وانشقّ بركانا
 «ويل الطغاة السكارى من عقاب غدٍ
 إنّ زلزل الكوكب المنكود إيذاناً»⁽¹⁾
 فزمزم الحشد والنكباء تنشره
 حيناً، وتطويه كفّ الله أحيانا:
 — «ربّاه لو أنّ في طول انتظار غدٍ
 جدوى.. لما أسمعكّ الريح شكواناً»⁽²⁾
 «ما كان حتماً علينا أن يُعذّبنا
 طاع، وأن يشهد الرحمن بلواناً»
 «النار أشهى.. فهات النار تصهرنا
 يوم الحساب ومتّعنا بدنينا»
 «إنّ كان لا يدخل الجنّات... داخلها
 إلّا شقيّاً على الأولى وغرثانا»
 وكان أمرك أن نرضى بما صنعوا
 فاحفظ عبيدك.. فالشيطان مولانا

(1) هذه الأقواس من وضع الشاعر السياب، وما سيلي أكثره من وضعنا. (المحقق)

(2) أصل البيت أجريت عليه تصحيحات بقلم مغاير. كان: «رباه لو أنّ جدوى في انتظار غدٍ ما زال وسان، لم تسمعك شكواناً».

اللعنات

ضحكة الشيطان (2)

إبليسُ أصغى إلى الشكوى وعصبته،
 في غفلةٍ من شهابٍ ساهم النارِ
 والليلُ داجٍ تكاد العين تحسبه
 قبراً تمطى على جثمانٍ جبار
 يا هولها في سكون الليل.. قهقهة
 كأنما انفَضَّ عنها جَوْفُ إعصار
 دوى الصدى في الكهوف الجوف يلقها
 فانقَضَ بالرعد منها كلُّ منهار
 وهبَّ في مخدع الأثام طاغية
 من نومه القانى المختوم.. بالعار
 وبات يضحك حتى جُنَّ وانطلقت
 ساقاه عَدَواً وراء الكوكب الساري

إبليسُ:

«وَأَنْتَ يَا آدَمَ الْمَجْبُولُ مِنْ حَمًا⁽¹⁾
 تُحْيِيهِ مِنْ تَحْتَ أَقْدَامِي يَدَ الْبَارِي»
 «لَا يَبْرَحُ الْحَقْدُ بِي أَفْعَى تَعَبٌ دَمِي
 عَبَّاً وَتَنْفَخُ فِي صَدْرِي؛ إِلَى النَّارِ»
 «أَطْلَقْتُهَا أَمْسَ يَوْمِ التِّينِ نَافِثَةً
 فِي أُذُنِ حَوَّاءَ الْحَمَقَاءِ أُسْرَارِي»
 «وَالْيَوْمَ يَا قَبْحَهُ يَوْمًا يُطَرَّبُنِي
 أَشْهَى مِنَ الدَّمِ فِي سَكِّينِ جَزَارِ»
 «وَالْيَوْمَ لَا فَحَّتْ الْأَفْعَى وَلَا لَدَغَتْ
 وَلَا أَثْمَتْ، وَلَا أَشْرَعَتْ أَظْفَارِي»
 «إِنْ كُنْتُ لَا أَتْرُكُ الدُّنْيَا يَعْثُ بِهَا
 طَاغِ شَرَايِينِهِ الْحَمَرَاءُ أَوْتَارِي»
 «لَوْ يَرْفَعُ الْغَيْبُ عَنْ عَيْنِكَ رَاحَتَهُ
 أَوْ يَهْمِسُ الْغَدُ لِلْمَاضِي بِأَخْبَارِي»
 «أَوْ كُنْتُ تَسْتَوْقِفُ الْمَوْتَى وَقَدْ رَكَبُوا
 جِيَادَ (عَزْرِيْلَ) مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ»
 «وَتَسْأَلُ الْمَيِّتَ الْمَحْمُولَ هَيْكَلَهُ
 مِنْ ضَفَّةِ (الْكَنْجِ) مَلْفُوفاً بِأَطْمَارِ»
 «عَنْ أَمْسِهِ الرَّاعِبِ الْخَاوِي وَحَاضِرِهِ
 وَالنَّاسِ مَا بَيْنَ أَحْيَارٍ وَأَشْرَارِ»

(1) وجدت الشطر الأول في طبعة وزارة الإعلام العراقية على النحو التالي: «يا آدم المجبول من حمًا تحييه من تحت أقدامي يد الباري». (م)

«لَا جُتَّ أَكْفَانَهُ الصَّفْرَاءُ عَنْ فَمِهِ
 وَارْتَجَّ - بِالْآه تَتْرَى - صَدْرُهُ الْهَارِي»
 «وَقَالَ «أَمَّا عَنِ الدُّنْيَا فَمَا بَرَحْتُ
 أَيَّامَ قَابِيلٍ سَكْرَى بِالدَّمِ الْجَارِي»
 «(....) أَدْمَعَ الشُّكْلَى لَأَلَّهِ
 «(....) إِلَيْهَا ذُرَاعَا جَائِعٍ عَارِي»⁽¹⁾
 «وَالْعَالَمِ الْحَاطِمِ الذَّرَاتِ - يَدْفَعُهَا
 كَيْفَ اشْتَهَى - بَاعَ أَغْلَاهَا بِدِينَارٍ»
 «وَاسْتَنْزَفَ الشَّاعِرُ اللَّاهِي مَلَاخَهُ
 فِي مَدَحِ سَكْرَانَ أَوْ تَمَجِيدِ خَمَّارٍ»

وَاخْتَتَّ إِبْلِيسُ أَفْرَاسًا مَجْنَحَةً
 بِالنَّارِ حَمْرَاءَ، وَالْكَبْرِيتِ مَلْتَهَبَا
 رُقُشُ الثَّعَابِينَ فِي أَفْوَاهِهَا لُجْمٌ
 وَالرِّيحُ فِي مَنْخَرِهَا تَنْفِخُ الْقَصْبَا
 قَصَفُ الْبَرَائِكِينَ أَحْنَى مِنْ حَوَافِرِهَا
 وَقَعَاءٌ إِذَا أَطْلَقَتْهَا تَضْرِبُ السَّحْبَا
 قَدْ أَنْعَلَتْ قَلْبَ سَفَّاحٍ وَطَاغِيَةٍ
 فَلَوْ تَمَسُّ الْحَجَارَ الْجَامِدَ ارْتَعَبَا
 مِنْ وَقَعْنِ التَّظْيِ مَلءَ الْمَدَى شَرُّ
 يَنْفُضُ بَرْقَاءً عَلَى الْآفَاقِ أَوْ شُهْبَا

(1) فِي هَذَا الْبَيْتِ تَعْمِيَةٌ مَقْصُودَةٌ لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَتَبَيَّنَهَا وَلَعَلَّ الْكَلِمَةَ الْأُولَى (مَلِكِكُمْ) أَوْ (وَصِيكُمْ). وَالثَّانِيَةُ (تَهْفُو). [الْمُحَقِّق]

وقال إبليس، والظلماء راعشةً
 من تحته أمعنث نحو الثرى هرباً
 «الأرض لي.. ما عليها من ينازعي
 (...) الخطايا (...) للخنى نصبا⁽¹⁾
 أورثتها من يشاء الشرُّ من خدمي
 باتوا شكوكاً، وباتوا في يدي لعباً
 كم أوقد الراهبُ القنديل من لهبي
 واستقطر الشيخ مما أهمس الخطبا⁽²⁾
 لقى على الأرض ظلّي تاجر جشعُ
 يخفي به عن عيون الناس ما نهبا
 قال اسجدوا خشعاً حتّى إذا سجدوا
 عاف المصلّي وأمسى يجمع الذهباً
 «يا سيّد النار» نادى ماردا قدحْتُ
 عيناه ناراً، وقد أفضى بما رغبا: -
 «يا سيّد الهوة الحمراء من سقر
 لا زلّت ربّ الخطايا والخنى حقبا»
 «حتّى إذا انصبّت الأزمان في أبدي
 ظمآن، أصبحت ظلّاً فيه، ملتها»
 «لي خنجرٌ طالما احمرّت مضاربهُ
 حتّى صدئنا احمراراً، وانحنى تعباً»

(1) الشطر الثاني من هذا البيت كلمتان تعمد الشاعر حذفهما ولم نستطع تبيين الأصل المحذوف.

(2) إلى جانب لفظة «استقطر» في المسودة لفظة «استنزل» وقد فضلنا الأولى. (المحقق)

«أهويتُ يوماً من الأيام أصقله
 بالربع من (أطلس) العاتي - ولا عجباً⁽¹⁾»
 فما يزال النجيع الرطبُ مندفعاً
 في كل ركنٍ من الدنيا، ومنسكباً
 «حتى إذا ابيضَّ نصلٌ وانبرى حجرٌ
 أبصرتُ ظلاً على مرآته اضطرباً
 «أنشى من الطين، لا حواء تشبهها
 حسناً، ولا العالم الأعلى بما رحباً
 «أنشى وبغداد مأواها، وفاتنة
 بين السكاري، ونارٌ جاورتُ حطباً
 «لمياء ما تمتمت في الليل ساحرة
 مثل اسم لمياء لفظاً يبعث الطرباً
 «غمّازها تطيلان.. ابتسامتها
 عمراً، وتستوفان الكوكب الشحبا
 «طيفٌ تراءى على نصلٍ تقلبُه
 يمناي جذلان في آنٍ.. ومكتباً
 «أرخيْتُ من نشوةٍ كفي وما حملتُ:
 الصخرَ والخنجرَ القتال واللهبا
 «ثم امتطيتُ الغيوم الرائحات: لظى
 يذكيه شوقي ويُطفئه السرى خيباً»

(1) جبل أطلس في أفريقيا الشمالية. (ش)

«حَتَّى سَمَلْتُ بِأَظْفَارِي عَلَى حَنْقٍ
 عَيْنَ الصَّبَاحِ وَمَزَّقْتُ الضَّحَى غَضَبًا»
 «وَأَنْهَارٌ فِي دَجَلَةِ الرِّعْنَاءِ شَاطِئُهَا
 فَارْتَاعَ «نُوحٌ» يَعْدُّ الْقَارَ وَالْخَشْبَا»

«..لَمِيَاءُ يَا شَهْوَةً فِي صَدْرِي احْتَدَمْتُ
 يَا لَذَّةً فِي سَرِيرِ الْمَوْمَسِ الدَّامِي»
 «يَا وَمُضَّةَ الْخَنْجَرِ الْمَسْمُومِ فِي خُلْدِي
 يَا حَيَّةً وَجَرَهَا الْقَتَالُ أَحْلَامِي⁽¹⁾»
 «يَا نَصْفَ عِذْرَاءٍ يَا قَبْرًا أَوْسَدُهُ
 أَشْبَاحَ أَبْنَائِي الصَّرْعَى، وَأَيَّامِي»
 «يَا مَلْعَبَ الدُّودِ يَا سَوَطًا أَسْوَقُ بِهِ
 خَيْلَ الْخَطَايَا إِلَى سَاحَاتِ آثَامِي..»
 «يَا رَقِيَّةَ الشَّرِّ - إِنَّ حَاحَتْ مَرْكَبَةٌ
 أَوْقَرْتُهَا بِالْبَغَايَا وَالدَّمِ الظَّامِي»
 «يَا مَغْزَلًا فِي يَدِ الْفَوْضَى نَسَجْتُ عَلَى
 مَنَوَالِهِ الرِّخْوِ ثُوبَ الْعَارِ وَالذَّامِ⁽²⁾»

(1) في المسودة شطب لفظة «المسموم» بالقلم الرصاص وكتب فوقها «المأجور» ورجحنا الأصل المحذوف. (المحقق)

(2) في المسودة شطب لفظة الجون واستبدلت «بالرخو»، ويبدو أن الشاطب لم يكن السياب. (المحقق)

اللعنات

غضبَةُ إبليس (3)

وانقَضَ إبليسُ في الظلماء صاعقةً
 من غيظةٍ ثم شقَّ الجوّ مرتفعاً
 واستركض الصافن المحموم يضربُهُ
 بالدوح من غاب «أفريقيّة» اقتلعا
 كأنّ أغصانه الحمراء.. إذا التهبت
 ناراً وخرّت تباعاً، كوكبٌ صفعا
 فارفَضَ في الجوّ أقباساً مروّعةً
 تنهال حتّى تصيح الأرض: وا جزعا
 وامتدّت القبضة السوداء وانتزعت
 من سرجه المارد المنكود.. فانتزعا
 وهزّه هزّةً فكّت مفاصله
 حتّى استغاث ارتياعاً واشتكى وجعا
 :- «مولاي.. مولاي» نادى بعد حشرجة
 «لا تأخذ البائس المضنى بما صنعا»
 «ما كان ذنبي؟ أجئتُ الله معتذراً»
 عما مضى أم نشرتُ البرّ والورعا»

«ما خنتُ إبليس» وامتدتُ إليه يدُ
 أخرى ودَوَى هزيمٌ ينشر الفزعا
 :- «ما خنتني؟ أيها الطين الحقيق، بلى.
 قد خنتَ عهدي وخنت الأفعوان معا»
 «لمياء سكرى بأقداحي، يضاجعها
 طاغ شوى حلمتها بعدما رضعاً»
 «ولا تحدّثني عنها فتطربني؟!
 أين الهوى من حديثٍ بالدم اندفعا؟»

فأطرق المارد المنكود وانحدرت
 من مقلتيه الجذى دمعاً فأخفاها
 واجتثّ من غيمةٍ ربداء معظمها
 وجفّف الدمع حيناً ثمّ خلّاهما
 وقال: - «لولا يدُ من سيدي اعترضتُ
 أسمعته من لحون الشرّ.. أحلاها»
 «ما كانت الغادة السكرى سوى قدح
 أسقي به السّم، فانظر بعض قتلاها:»
 «...هذا هو الشاعر الفاني تخلّدهُ
 أنشودةٌ تعبّرُ الأجيالَ غناها»
 «ما انفكّ يشدو وما انفكّت ملاحتهُ
 يحفرنَ قبري وإن حجّبتُ معناها»
 «حتّى رآها، فغنّى بابتسامتها
 وأخفتِ الظلمَ عن عينيه عيناها»

«لا أنة الكادح الغرثان.. تلهمهُ
 شعراً ولا الأيم الغرثى، وطفلاها»
 «سكران يصحو على كأسٍ فيثمله
 ما عَبَّ منها، ويستوحي بقاياها..»
 «يستوقف اليوم، لا يدري إذا وقفت
 أنوارَه، فالتقى ليلى وناجاها»
 «كم من قلوب حيارى تحتها انسحقتُ
 وكم شقيّ بعين اليأس يرعاها»
 «عامان ذابا على قيثارِه.. غزلاً
 وقطّرا روحه الولهى وعبّاهَا»
 «شدّ اليمين على كأسٍ، وطالعه
 من غورها الواقع الدامي فأرخاها»
 «واستنطق الكأس والأشباح فارتجفتُ
 مذعورة ثم قالت كيف تهواها؟!»
 «قم فانظر النور من شبّاك مخدعها
 يلقي على الشرفة الوسنى خطاياها»
 «ظللّان رانا على الأستار واقتربا
 حتّى استحالا إلى ظلّ تغشاها»

فاجتاحت الجوّ من إبليس قهقهةً
 كادت لها الأنجم الزرقاء تنتثر..
 وقال: «عُدْ.. واجمع الأوتار في يده
 واتركهُ يشدو بما لم يروه وتر»

«وليصرف القلب عن لمياء يعصره
 للبائسين.. فماذا أنت تنتظر؟»
 «كم شاعرٍ قبله انساب قصائده
 فاستقبلتها قلوبٌ مسَّها الخدرُ..⁽¹⁾»
 «في غرفة خاف أن يجتاز مدخلها
 ضوء النهار فغشى جوّها الكدرُ»
 «جدرانها الراعبات السود ما استلمت
 إلّا لهاث الضحايا وهي تحتضر»
 «ولا اكتست من ظلالٍ غير ما عكسوا
 ولا ارتوت من دماءٍ غير ما قطروا»
 «يستقبل الليل لا أقدامه امتلكتُ
 أرضاً سوى ما يُمسُّ الأصبع الحذرُ»
 «ولا ذراعاه والأغلال تشبّحها
 تُطوي ارتياحاً ولا الساعات تُختصر»
 «حتّى إذا اكتظّت الآلام فانعصرتُ
 نوماً كما امتصَّ عبء الغيمة المطرُ»
 «نادى به الحارس السجنان يوقظه
 بالنار من فوّهات النار تنفجر»
 «وكم يدٍ يتأبى أن يلامسها..
 ثوب البغي، ويأبى العار، والقدرُ⁽²⁾»

(1) يلي هذا البيت 4 أبيات لا تؤثر على سياق المعنى وغير واضحة في المسودة اضطررنا إلى حذفها. [المحقق].

(2) في الأصل واشتارها العار.. إلخ.

«أهوت عليه انتقاماً منه تلطمه
على شفاه تمنى لحنها الوتر»
«تنزّل الشعر منها للعيي فماً
وللذي ارتاب عزمأ ليس ينكسر»
«وللضعيف سلاحاً، والطريد أخاً
ولللظلم رقّاداً ملؤه الهذر»
واجتازت الباب آهات يرددها
مستضعفون احتوتهم مثله الحجر
حتّى إذا صرّ ذاك الباب منفرجاً
عن فجوة دسّ فيها ضوء القمر
وحدّق الشاعر المفجوع.. لاح له
نعش عليه اصفرار النور منكسر
تلطّخت بالدم القاني جوانبه
ولم تنزل قطرات منه.. تنحدر..
ولم يزل شاعر الأحرار تعصره
آلامه السود حتّى أقبل السحر
فقطّعت ضحكة جوفاء أطلقها
ما لم يقطّعه من أعصابه السهر

والشاعر الثائر التركيّ ما برحت
تلقّي عليه الظلال السود قضبان⁽¹⁾

(1) أعتقد أنّ الشاعر المقصود «ناظم حكمت» [المحقّق].

إِنَّ مَرَّتِ الطَّيْرَ أُسْرَاباً بِهِ التَّمَعْتُ
 عَيْنَاهُ بِالشُّوقِ وَاسْتَبْكَاهُ تَحْنَانُ
 أَوْ شَعَّتْ الْكَوَّةُ السُّودَاءُ عَنْ شَفْقِي
 قَانٍ، دَمَاءُ الضَّحَايَا فِيهِ أَلْوَانُ
 نَزَا وَأَهْوَى عَلَى الْقَضْبَانِ يَجْذِبُهَا
 وَدَمَدَمْتُ مِنْهُ كَالْأَهَاتِ أَلْحَانُ
 كَمْ بَاتَ يَغْفُو عَلَى رُؤْيَا مَكْرَرَةٍ
 مَا غَيَّرَتْهَا عَلَى جَفْنِيهِ أَزْمَانُ
 اللَّيْلُ فِي نِصْفِهِ الثَّانِي يَلْوُونُهُ
 نِصْفٌ مِنَ الْقَمَرِ الْمَكْدُودِ، نَعْسَانُ -
 تَشَاءَبَتْ مِنْهُ فِي الْبَسْفُورِ أَخِيلَةٌ
 كَسَلَى وَرَانَتْ عَلَى الشُّطَيْنِ أَحْزَانُ
 وَلِلْسَفِينَةِ فِي الْأَمْوَاجِ وَهْوَةٌ
 يَصْطَدِي لَهَا الشَّاطِئُ السَّاجِي، وَإِرْنَانُ
 ثُمَّ التَّظَى الْمَاءُ وَالشُّطَّانُ وَانْفَجَرَا
 كَمَا تَشْطَى وَمَجَّ النَّارُ بَرَكَانُ
 وَأَزْلَزَ الْأَفْقَ حَتَّى كَادَ يَلْمُسُهُ
 لَوْ كَانَ فِي الشَّاطِئِ الْمَذْعُورِ، إِنْسَانُ
 وَأَوْمَضَتْ بِالْدمِ الْقَانِي كَوَاكِبُهُ
 كَمَا يَحْدِّقُ تَحْتَ اللَّيْلِ ذُؤْبَانُ
 وَعَبَّتِ الْمَوْتَ عَبَّاً وَهِيَ مَائِلَةٌ
 سَفِينَةٌ لَمْ يَزِدْهَا عَنْهُ رَبَّانُ

حَتَّى إِذَا مَا اسْتَقَرَّ الْمَوْجُ وَائْتَلَقَتْ
 فِي أَرْجَوَانٍ مِنَ الْقَمَرَاءِ شَطَّانَ
 وَكَدَّسَ الْقَمَرِ الدَّمَامِي أَشَعَّتْهُ
 جَسْرًا عَلَى الْمَاءِ، تَطْفُو مِنْهُ أَلْوَانُ
 سَارَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَشْبَاحِ قَافِلَةٌ
 شَتَّى: عِظَامُ تُغَشِّيهِنَّ أَكْفَانُ
 وَرَجْرَجَ الْمَاءُ مِنْ بَعْدِ السَّكُونِ صَدَى
 نَاءٍ: سَيَنْدُكَ مَهْمَا اجْتَنَحَ طَغْيَانُ

حَتَّى إِذَا ارْتَاحَ مِمَّا قَال، بَادَرَهُ
 مِنْ مَوَكِبِ الْجَنَّةِ الصَّاعِغِينَ.. مَلْحَاحُ
 «أَيْنَ السُّرَى، فِيمَ نَجْتَازُ الْفَضَا صَعْدًا؟
 وَالشَّرْقُ وَسَنَانُ لَا يَغْشَاهُ مُصْبِحُ»
 فَقَالَ إِيْلَيْسَ: «إِنَّ الْأَرْضَ لَهِيَ كَمَا
 حَدَّثْتَ عَنْهَا فَمَا لِلنَّاسِ إِصْلَاحُ»
 «أَمَّا السَّمَاءُ فَقَدْ سَدَّتْ مَسَالِكُهَا
 مِنْ خَصْمِي الظَّافِرِ الْجَبَّارِ أَشْبَاحُ»
 «مَا زَالَ فِيهَا يَحْفَ الْأَنْبِيَاءُ بِهِ
 حَقًّا وَتُزْجِي لَهُ التَّسْبِيحَ أَرْوَاحُ»
 «وَاللَّعْنَ حَظِّي إِذَا مَا آيَةٌ تُلِيَتْ
 أَوْ رُتِّلَتْ بِاسْمِهِ الْمَرْهُوبِ أَمْدَاحُ»
 «لَأَجْعَلَنَّ سَمَاءَ اللَّهِ لِي هَدَفًا
 أَحْتَلَّ آفَاقُهَا الْقُصُوفُ وَأَجْتَنَحُ»

أَلَيْتُ أَلَا يَرَى اللّٰهَ الْمُقِيمَ بِهَا
 إِلَّا صَرِيحاً عَلَى الْغُبْرَاءِ يَنْدَاحُ
 فَوَلَوْلَ الْمَارِدُ الْمَلْحَاحُ وَاخْتَلَجْتُ
 عَيْنَاهُ ذَعِيراً وَإِنْ غَطَّتْهُمَا رَاحُ:
 «يَاسِيدَ الشَّرِّ، وَالْحَكَّامُ مَالَتُهُ
 أَكْوَابُهُمْ، مِنْ دِمَاءِ الْفَتِيَةِ الرَّاحِ»
 «أَطْلَقْتُ أَفْعَاكَ فِي الظُّلُمَاءِ فَانْطَلَقْتُ
 غَرْنِي عَلَى الْكُوكَبِ الْأَرْضِيِّ تَجْتَاحُ⁽¹⁾»
 «فِي كُلِّ حَقْلٍ تَهْزُ الرِّيحُ سَنْبِلَهُ
 جَيْشٍ وَفِي كُلِّ قَصْرِ لِلرَّدَى سَاحُ»
 «فِي النَّهْرِ نَارٌ وَخَلْفَ اللَّيْلِ فَوْهَةٌ
 «حُمَرَاءُ، وَالشُّطَّ بِالْبَارُودِ نَضَّاحُ»
 «الْيَوْمَ قَدْ هَبَّ شَعْبُ الصِّينِ مِنْ أَسْرِ
 فَالْلَّيْلِ يَنْجَابُ، وَالْأَغْلَالُ تَنْزَاحُ
 «فِي ثَغْرِهَا غَنَوَةٌ حُمَرَاءُ يَنْقُلُهَا
 مِنْ ثَغْرِ (هُومِير) لِلْأَسْمَاعِ فَلَاحُ»
 «هَبَّتْ وَفِي يَدِهَا الْكَأْسُ الَّتِي صَرَعَتْ
 سَقْرَاطُ يَسْقِي بِهَا الطَّاعِينَ كَدَّاحُ»

حَتَّى إِذَا مَا انْتَهَى مِنْ قَوْلِهِ، انْقَدَتْ
 أَحْدَاقُ إِبْلِيسَ تَخْتَارُ الشَّيَاطِينَا

(1) اضطررنا إلى حذف أربعة أبيات بعد هذا البيت لعدم وضوحها لعلها تتحدث عن ثورة الصين الشعبية. [المحقق]

حتَّى استقرت على (بلزاب) فانعمدت
 في قلبه الخائف المذعور سكيناً
 وانهاهال إيليس بالألفاظ صاخبة
 كالنار مسرى وكالإعصار تلحينا
 :ـ «عار وأنت الذي لم يثن ركبتَه
 لله، إن صرت عبد آدميِّنا»
 «وطأت خديك للشوار يسحقها
 حافٍ وعارٍ وخذلت السلاطينا»
 «ورحت تزعم أن الناس ما برحوا
 صرعى على باب طاغٍ من موالينا»
 «إذا سألتك عن أحوال مملكة
 نبأت دون اكتراث: ـ مثلما شينا.
 «أما استقرت على اليونان ذات ضحى
 عيناك أو وطأت أقدامك الصينا؟
 «واهترّ ظلّك في الأنهار فاصطخبت
 بالناس غرقى ودمّرن البساتينا»
 ولا سمعت عن اليونان من نبأ
 نطوي به ما انتهزنا من ليالينا
 وما الذي جدّ في الدنيا، وهل وطن
 منها ارتخى عنه ظلّ المستيحيين
 «وقد تمرّ على اليابان تقصفها
 بالصاعقات وتفتضّ البراكينا

«فكيف لم تدر أنّ الصين ثائرة
تمشي على النار تجتاح الميادين
فقال بلزاب عندي ما ستمعه
فاستعمل الرفق في التأنيب واللين
:ـ «أمّا السماء فلن نرقى معارجها
والأرض كالنار تغلي تحت أيدينا»
«فلنثنّ أفراسنا عنها نؤمّ.. بها
ركناً من الأرض حتّى الصبح يؤوينا»
«نستطلع الرأي عما سوف نصنعه»
فقال إبليس: - هَيَّا.. نأتِ شيرينا.

اللعنات

على شيرين (4)

ولاح شيرين في الظلماء تحسبه
 أكداس غيم تغطي جانب الوادي
 صاغ الجليد له تاجاً لآلئه
 نار الرعاة وظل الكوكب الهادي
 واصطكت الريح تعوي في مغاوره
 كالمستغيث وقد شددت بأصفاد
 وسدت الأفق الشرقي أخيلة
 سودّ كموتى أفاقوا دون ميعاد
 تدنو فينحلّ عنها ما يخالطها
 من عتمة الليل إذ تكسى بأجساد
 حتّى استقرّت على شيرين وانتصبت
 ما بين تلك الذرى في زيّ أكراد
 واختال إبليس بالجلباب قانية
 ألوانه يشتهيها كلُّ.. جلّاد
 وقال: «يا معشر الجنّ انتحوا جهةً
 تغزونها واتركوني بين قوادي»

ثم انثنى يرسم الدنيا بأصبعه
 فوق الجليد ويمحوها ويبتسم
 حتى استقرت على حالٍ فلوَّنها
 من نار عينيه يرنو وهي تضطرم
 ولم يزل تتقرى الطين راحته
 حيناً، ويهمس إني سوف أنتقم
 وتارة يلمس اليونان.. متقدماً
 بالغیظ يرنو إلى بلزاب أو يجم
 فقال بلزاب: «إنَّ الأنجم انطفأت
 خلف الجبال وكادت تسطع القمم»
 «فلنسبق الفجر نقضي قبل مطلع
 حاجاتنا من حديث ملؤه الألم»
 «أمّا عن الصين فالجوّ الفسيح لظى
 داج وملء الصحاري والحقول دم
 جرى جداولاً فاقتات الجياع على
 حافاتها والضحايا شأنها الكرم
 «وارتجّ فيها خيال من يد حطمت
 غلام العار يصدأ فوقه القدم»
 «وانجاب عنها ظلامٌ كان ينشره
 غربانك السود حين اجتاحه الضرم»
 «أمّا الشمال ففي أقصاه ما شجبت
 من عاطلين يدٌ، أو جائعين.. فم»

«آسأه بالرحمة الثورّار واختصروا
 عمر الشقاء بما شادوا وما هدموا»
 أمّا الجنوب فحتى الآن تمهره
 من كلّ طاغٍ بأختام الردى قَدَمُ
 «وهى فما عاد يقوى أن يخوض وغى
 جيشٌ هو الجوع والإعياء والسَّقَمُ»
 وآوت (الكاي) في أقصى جزائره
 دائرٌ بها الظالم المقهور يعتصم
 أذكى بريق المنايا في لآئه
 نار الوغى ثمّ ولّى وهي تضطرم
 كم ليلة باتّ والمصباح يغسلها
 بالنور يرنو إليها.. وهو مبتسم
 ونقّطتها عيون الدود يعكسها
 قبرٌ على الجثة العجفاء ينهدم
 مادّرها الأحمر القاني سوى حُلَمٍ
 باقٍ عليهن من ثغر الرضيع دم
 «وما الوميض الذي فيها سوى رثّة
 يهتزّ فيها خيالٌ للردى.. نهم

هيهات هيهات لا أنسى ضحى غرقت
 آفاقه في لهاث العسجد النائي
 في قرية في شمال الصين لوّنها
 أيلول، فاستقبلتها صفحة الماء

وأومض الدرب حتّى ذاب آخره
ثمّ اختفى غير ذكرى تُقلّق الرائي
وأقبلت من بعيدٍ فيه مركبة
تطوي الحقول النشوى ذات ضوضاء
تنسابُ جذلى وفيها اثنان سائقها
وأجنبّ جاء يسعى خلف أبناء
ما سرّح الطرف حتّى اهتزّ من طربٍ
وصاح يشفع أقوالاً بإيماء:
«يا روعةَ الجوسقِ النائي تعانقه
بيض الأزهير في استحياء عذراء»
«أيلول والزهر قبل اليوم ما اجتماعا
في جوف وادٍ ولا في قاع بطحاء»
فغمغم السائق الجذلان مرّاً على
عينيه كالليلة القمراء.. تذكّار
: «هذا دم الصين! هذا جهد قائدها
ذاك ابتسام الضحايا! تلك أثمان»
«تفاحةٌ بعد أخرى لفّ حمرتها
عن لحظ أيلول فلاحون أحرار»
والعدل إن عمّ أرضاً فهي عابقةٌ
بالزهر، ملأى وكلّ العام آذاً
«بالأمس كنا نجرّ النير تحمله
أعناقنا ثمّ تعيائنا ثمّ تنهار»

«وَكَلَّمَا انْهَارَ جَيْلٌ قَامَ يَخْلِفُهُ
 جَيْلٌ أَوْ انْزَاخَ طَاغٍ لَاحَ جِبَارٌ»
 «نَاعُورَةُ ثَوْرَهَا الْمَعْصُوبَ نَاضِرَهُ
 شَرَعَ الطُّغَاةَ، وَمَجْرَى مَائِهَا الْعَارُ»
 «وَالْجَيْلُ لِلْجَيْلِ كَالْأَقْدَاحِ فَارِغَةٌ
 تَهْوِي، وَمَلَأَى سَتَهْوِي وَهُوَ دَوَّارٌ»
 «حَتَّى انْتَبَهْنَا عَلَى الرَّايَاتِ نَشْرَهَا
 مَصْبُوغَةً بِالدَّمِ الْمَسْفُوكِ ثَوَّارٌ»
 «تَلْقِي عَلَى الْمَوْقِدِ الْمَهْجُورِ أُخِيلَةً
 فَانْزَاخَ ظِلُّ الرَّدَى وَاهْتَزَّتِ النَّارُ»
 «وَاجْتَاكَ الْأَرْضُ تَطْوِي بَاعَ سَيِّدِهَا
 بِالْغُلِّ عَنْهَا وَيَمْشِي خَلْفَهَا الثَّارُ»
 «ثُمَّ اجْتَمَعْنَا عَلَى الْبُشْرِ وَجِيءَ بِهِ
 كَنَعْجَةٍ سَاقِهَا لِلذَّبْحِ جَزَارُ»
 «تَنْفَسُ الرَّعْبَ فِي عَيْنِهِ فَانْطَفَأَتْ
 فِي ذَلِكَ الزَّبَقِ الْمَذْعُورِ أَنْوَارُ»
 «يَهْوِي عَلَى رَكْبَتَيْنِ اصْطَكَّتَا فِرْقًا
 وَيَسْتَغِيثُ وَمَاءُ الْعَيْنِ مَدْرَارُ»
 وَقَالَ: «لَمْ أَجِنِ ذَنْبًا..» ثُمَّ طَافَ بِهِ
 طَرَفٌ عَلَى الْأَوْجِهِ الْعَجْفَاءِ يَنْهَارُ
 فَطَالَعَتْهُ عَيُونٌ مِنْ مَغَاوِرِهَا
 وَأَعْظَمُ بَرَزَتْ جَوْعًا، وَأَطْمَارُ

كأنما الكون تابوت أُعدّ له
 من كلّ عينٍ عليه انحطّ مسمارُ
 وصاح قاضي من الثّوار نحنُ لكم
 عونٌ على الظالم الباغي وأنصارُ
 هذا أوان التشقي لا نجاء لمن
 خان الشعوب ولن يجديه إنكارُ
 يوم الظلامات لا الشكوى بضاعة
 ولا القضاء محابٍ فيه غدارُ
 فليطفح المرجل الغالي بما خنقَتْ
 من حقه العاصف المكبوت أظفارُ
 مغموسة بالدم المنساب شدّ بها
 شرعٌ أجير وسفّاكون أشرارُ
 ولتقضموا من يدٍ كانت تمدّ على
 آثامها من جراب البغي أستاذُ
 فما تشكّى امرؤٌ منّا ولا شخصت
 إلّا الى المنزل المرعوب أبصارُ
 «قال:» انطقوا، لا تخافوا بأس من نسجت
 أكفانه اللذة الحمراء.. والعازُ»
 «وأثقل الأمس والأغلال حاضره
 حتّى انحنى فارتمى عن رأسه الغار»
 فقالت امرأةٌ غرثى.. مفجعةٌ:-
 «لم يطوٍ شكواه شاني وهو مختارُ»

«نحن المدينون للباغي بما امتلأت
 به صكوكٌ وضاقَت عنه أسفارُ»
 «ألفٌ وألفان موكولٌ بهنَّ.. دمٌ
 للبائسينَ وآمالٌ.. وأوطارُ»
 «نحن المدينون ما ينفكُّ يخنقنا
 صكُّ إذا نَدَّتِ الشكوى وإنذارُ»
 «يا ضيعة الثَّار والأفواه تلجمها
 مستمسكاتٌ لدى الباغي وأسفارُ»
 «أختامها الحمر أفواه قد التصقت
 بالقلب يروي صداها منه تيارُ..»
 «مختومةٌ كلٌّ ختمٍ صاحٍ فيه فمٌ
 ظمآنٌ للدم، في الأكباد حَفَّارُ»
 «قد سَطَرَتْها يدُ الباغي وخبأها
 درج تخفَّى فما افتضتُهُ أنظارُ»
 «فاستَلَّتِ الدرج من أحضان مخبئه
 أيدي ونادى فمٌ: «فلتضرم النارُ»
 واستوقدَ النارَ من مصباحٍ تاكله
 ذو غلَّةٍ من بنيتها حقدَه النارُ
 «حتَّى تذرِّي رماداً كلُّ مستند
 وازحزحت عن رقاب الناس أنيارُ»
 «يا ربحُ ذريه.. هذا البغي طاح به
 من هذه الأُمَّة الصفراءِ إعصارُ»

«حتف المدينين لا ينشقّ باب غدٍ
 إلّا عليها، ولا تمتدُّ أعمارُ»
 فلول الناس بالشكوى كما انفجرتُ
 من نعشها الأبيض المصهور أنهارُ؟
 وأقبلتُ تخنق الجاني بحاضره
 من أمسه الداعر الممسوخ أخبارُ
 يا للكتاب المدمى، كاد كاتبه
 يرميه بالزور لو لم تبق آثارُ
 تطويه إطراقة الشكلى وينشره
 لحظ اليتيم، ودمعٌ فيه يحتارُ
 حتّى سمعنا دم الطاغوت يهرقه
 قاضي نزيه، وجلّادون أخيارُ
 واخضلت التربة الجرداء، وزّعها
 بالحقّ فينا، وبالقسطاس ثوارُ

أهوى بإبهامه العاتي وخاتمه
 يمضي لمستأجره الصيد ما كتبوا
 أو تحمل الخائف الموتور فاتقدت
 ألحاظ إبليس واستشرى به الغضبُ
 وقال: «يكفيك» نادى بعد زمجرة:
 «رفقاً فقد أزعجتنا هذه الخطبُ»
 «حدثت حتّى كأنّ العالم انبسطُ»
 أنحاؤه تحت عيني وهو يلتهبُ

«قربت أطرافه القصوى سوى بلد
يرتاد سمعي حديثً عنه مقتضبُ»

فازورّ بلزاب كالمفجوء وارتفعت
عيناه نحو الشمال المعتم الخالي
: «مولاي» نادى وقد أوماً بأصبعه
بين الذرى: «تحت ذاك الكوكب العالي»
«شعبٌ خطا في طريقٍ ربّما بقيت
للولاه أمنية عزلاء في بال»
«طافت رؤاها بأفلاطون باهتة
ألوانها فاكتفى منها بأطلال»
«اعتادت الشاعر الوسنان فائتلت
أبواب أيتوبيا الزرقاء كالآل»
«حتّى إذا امتدّت الأيدي لتطرقها
ذابت فلم يبقَ إلّا محض أقوال»
«وأقبل الفيلسوف الحرّ وانتزعت
كفاه خيط الستار القاتم البالي»

أعاصير

(1972)

إشارة

صدرت هذه المجموعة، لأوّل مرة، عن مديرية الثقافة العامّة في وزارة الإعلام العراقيّة بإعداد عبد الجبار العاشور، وفيها قصائد كان السيّاب قد ألّفها في مناسبات سياسيّة أقيمت في المكتبة الإسلاميّة بمحلة «السيف» مركز مدينة البصرة، ووقتها كان الشاعر مفصولاً من دار المعلمين العالية.

تغطّي المجموعة شعر السيّاب السياسيّ ما بين (1946 - 1948)، وفي مقدّمة العاشور إشارة هامّة تؤكد، مرّة أخرى، ما ذهبْتُ إليه من أن للسيّاب رأياً في بعض قصائد مرحلة ما قبل ديوان «أزهار ذابلة» واثناءها، وأن الاستنتاج، المتحفظ، عن سبب استبعاد بعض القصائد من النشر، هو عدم قناعة الشاعر الفنيّة فيها.

يقول عبد الجبار العاشور في المقدّمة: «سألته عن إصدارها (قصائد المجموعة) بديوان حين عاد إلى دار المعلمين وكنت أنا أحد طلابها فأكد رغبته في إصدار الأعاصير وكان يأمل أن يتمكن من ذلك بُعيد إصداره لديوانه الأوّل «أزهار ذابلة»، ولكنه لم يكن يتوقع موافقة السلطة يومذاك على نشر هذا النوع من النتاج، فهي تحاربه وتسد عليه المنافذ، ويلوح لي أنّه حين تقدّم به الزمن وابتعد عن التزامه السياسي وقت كتابتها رغب في أن يترك كلّ ما كان له مع ذلك الالتزام أو أنّه فقدّها لأنّها لم تظهر في واحد من دواوينه».

إن كلا الاحتمالين اللذين أوردهما العاشور عن أسباب عدم نشر السياب للمجموعة هما موضع للنقاش والنقض، فالوضع السياسي الذي توقع الشاعر معه عدم موافقة السلطات كان قد تغير بعد سنوات، مما يتيح له نشر المجموعة سواء داخل العراق أو خارجه، كما أن التبرير بفقدان الشاعر للقصائد غير مقنع أيضاً، لأن العاشور نفسه أشار، في المقدمة ذاتها، بأن علاقته مع السياب كانت طيبة ومتواصلة حتى سنواته الأخيرة، وكان يمكن للشاعر - لو شاء - أن يطلب القصائد منه أو أن يعيد العاشور اقتراحه بنشرها. الظنُّ الأغلب عندي أن السياب عزفَ عن نشر كلِّ ما يشير إلى انتماء سياسي تحوّل عنه لاحقاً من ناحية، وكل ما رآه، لاحقاً، غير مقنع فنياً بالنسبة إليه، خاصّة مع التطور الفني المتصاعد الذي رافقه من ناحية ثانية، وهو الاحتمال الأقوى.

الديوان مضبوطٌ على نسخةٍ معيارية انجزتها عبر مقابلة نسختين طبق الأصل من طبعتي وزارة الإعلام العراقية ودار «العودة» اللبنانية وحصر الفروقات والملاحظات في هوامش وإشارات تبين للقارئ كلّ حالة على حدة، وقد أبقىْتُ على أيّ ملاحظة ضرورية وضعها معدو الديوان من قبل.

المحرر

عريد الثأر فاهتفي يا ضحايا

بسمه النور في ثغور الجراح أنتِ قبل الصباح نجمُ الصباح
كلما لحت في خيال الطواغيت، وألهبتِ مرقدَ السفّاح
ذابَ قيدٌ على اللظى، وتراخت قبضاتٌ على حطام السلاح
واختفت كالظلال تنحلُّ في النار، وجوهٌ تحفُّ بالأقداح

كلما لحت هلّل الشعبُ أسوان، يبتُّ ابتهاجه في النواح
وتحدّى الطغاة بالساعد المفتول من عاملٍ، ومن فلاح
كان في غفوة، فلما ملأت النوم في مقلتيه بالأشباح
هَبَّ غضبان، يهمز الثأرَ بالثأر، ويمشي على لهيب الكفاح
يا عيون الجراح، لولاك ما امتدت عيونٌ إلى الستار المزاح
تبصرُ الظلم عارياً، والطواغيت كأوراقٍ دوحة في الرياح

جرّد البغي خنجراً في دجى الليل، وأهوى على الحمى المستباح
فاهتدت أمة على لمعة النصل وقد عبّ من دماء الأضاحي
واستضاءت في بسمه من شهيد ومشت فوق معبرٍ من جراح

عربدَ الثَّأرَ فانهضي يا ضحايا واطرحي عنكِ باردات الصفايح
كلما ألهبَ الدجى حزن بغداد فغصَّتْ بدمعها النضاح
وانظري، هل ترين إلّا ثكالي وأيامي يضربن راحاً أبراح
وانظري!! ما يزال جلدك السكران فوق الثرى طليقَ الجناح
واسألي قبرَ «جعفر» البارد المحزون ما ذنبُ هذه الأرواح

جعفرَ الحق، يا نشيد البطولات تغنّيه تحت ظلّ الصفايح
مُدَّ من قبرك المدمى يميناك.. فما زلتَ حامل المصباح
أنتَ مزَّقَ ظلمة الليل بالنور، فلاتهنّ مقلّة السفاح

حطمت قيداً من قيود⁽¹⁾

حرّرت بالدم كلّ جيل ناء آتٍ سيذكر⁽²⁾ منة الآباءِ
ورقيت من جثث الضحايا سلماً يُفضي إلى الحرية الشّماء
وجعلت أحجارَ القبور صحافاً وملأتهم برائع الأنباء
فتلقّت التاريخ يلقي نظرةً عجلي، ويومئ باليد الحمراء:
أنّ الضحايا قصّرت أعمارها في الموت، عمر «السادة» الأحياء

وعصابة جمع الشراب لصوصها في مخدع الآثام ذات مساء
ألت تبّيعك للغريب، وأقسمت بالليل، والخمار، والصهباء
ألا يذوب الصبح في أقداحها وأنت مكبل الأعضاء
وتسلمت عن كلّ جرح مثله ذهباً، فأثرت من دم الأشلاء
قال «الحليف» كما يشاء، ووقّعت باسم الجياع، «صحاف» الأرزاء
في كلّ سطر آهة من آيم ولهي، وكفّاً سائل بكاء
عشرون عاماً روّعت أشباحها مهدّ الرضيع، ومرقد العذراء

(1) ذكر عبد الإله أحمد أن جريدة «السلام» نشرت في العدد (14) السنة 18، 1 آذار 1948 هذه القصيدة بعنوان آخر هو «الجللاء»، وقد أسقط محقق ديوان «أعاصير» أو الرقابة الحكومية منها بيتاً هو «عادت مناجلة مرايا ينجلي فيهن وجه الثورة الحمراء»، ثبت البيت هنا حفظاً للأمانة التاريخية. (م)

(2) وردت «سيشكر» في النص المنشور بالجريدة.

سوداء، يحتضنُ السنابلَ طيفها
ويظلُّ يرسمُ في الفضاء بأصبعٍ
ويظل ينظر من نوافذ مجلسٍ
قذف «الأجير» برائديه وصحبهُ
النائمين على الحرير وحولهم
التاركين لكلِّ كوخ آهةً
السارقين من الرضيعِ وأمّه
السالبين من العذارى بسمه
والصانعين «قيائراً» أوتارها

ويهدّدُ التنوّرَ بالإطفاء
حمقاء، ظل «الخبزة» السوداء
عالي الدعائم، واطئ الأهواءِ
في جانيه، فغصَّ «بالعملاء»
شعبٌ مراقذهُ على الغبراء
ولكلِّ قصرٍ ضحكةٌ استهزاء
«لبناً» لكلِّ نابحٍ وجِراء
ذابت فكانت «لمعة» لحذاء
أعراقُ هذي الأمةِ «الخرساء»

ومشت لتفرضَ بالحديد قيودها
حتى انتفضت، فلا الرصاص مزجراً
ووقفت تهزأً بالمنايا، عاضداً
ووقفت تدفعُ بالحجارة والحصا
حطمتَ قيذاً من «قيود» فاتخذُ
إنَّ «الحليف» هو الحليف وإن صفا

والنار، «شرذمة» من⁽¹⁾ الأجراء
يثني خطاك، ولا «الوعيد» النائي
عزمَ الشباب بصبيةٍ ونساء
كيدَ الطغاة، وباليَدِ العزلاء
للباقيات تأهّبَ الأكفاءِ
لا تخذعنك صبغة الحرباء

حيث التفت رأيت شعباً جائعاً
يسقي الزروع دماً لتثري «طغمة»
عريان⁽²⁾، يملأ جوفه بالماء
تبني سعادتها على الإشقاء⁽³⁾

(1) في طبعة وزارة الإعلام ورد الشطر الثاني هكذا «والنار، «شرذمة» الأجراء» ولا يستقيم

الوزن بذلك فأضفنا الحرف «من». (م)

(2) وردت «عارياً جوعان» في النص المنشور بالجريدة.

(3) وردت «الأشلاء» في النص المنشور بالجريدة.

وإذا تضجَرَ «أطعمته» رصاصها و«كستهُ» بالأكفان والبوغاء
 عادت مناجله سرايا يجتلي فيهنّ وجه الثورة الحمراء⁽¹⁾

قلّ للحليفة ليس يجدي «برقُع» فالיום تهتكهُ يدُ الأنواء
 بالأمس عبأت الجنود⁽²⁾ وأعلنتُ حرباً على الفاشية النكراء
 فتحطّمتْ بيد الشعوب سلاسلُ ومدى، وأجنحةٌ من الظلماء
 واليوم تلتقطُ الشظايا في الثرى وتلُمّ ريشاً طار في النكباء
 أتكون «منقذة الشعوب»! كهتلر ويفوقُ «روما» محورُ الحلفاء؟

يا حافز «الغوغاء»، يعصرُ مجدهُ بالسوط، من أجسادها الصفراء
 إنَّ الجراح، وقد فتحتْ ثغورها، يحفرنْ قبرك في الغدِ المترائي
 حرّكتَ في المستقبل الداجي⁽³⁾ يدأ بيضاء تمسحُ أدمعَ البؤساء
 وعوالمَ اغتصبَ الخيالُ رتاجها في لمحّة هي «واقعُ» الأبناء
 الظلمُ يزرع في السجون بذورها والشعب يحصدُها على الأشلاء!
 ويكاد يخرق الزمانَ بنوره يومٌ أطلّ بأعينِ الشهداء
 صبغتُ حواشيه الدماءُ، ولوّنتُ فيه الظهيرةُ أوجهَ «الغوغاء»
 وأكاد ألمحُ في بقايا نفعه جيشَ الطغاة مبعثر الأجزاء

عاد الحليفُ ببالياتِ عهودهِ فرقاً يُحجّبها عن «الإلغاء»

(1) هذا البيت كان محذوفاً من طبعة وزارة الإعلام العراقي. (م)

(2) وردت «الجيش» في النص المنشور بالجريدة. (م)

(3) وردت «الراجي» في النص المنشور في الجريدة. (م)

يَتَلَمَّسُ «التعديل» من أعوانه⁽¹⁾ ويحوك ألف دسيسة عمياء
 ويبثُّ في الظلماء من أذنبه زُمرًا تنافق جهرةً، وتُرائي
 واستيقظ الإرهابُ يفرُّ مقلَّةً رغم النعاس، دقيقة الإحصاء
 عدتْ على الأحرار آثار الخطى والآهة الحرَّى على السجناء

قلْ للحليفةِ إنّ شعباً واعياً هيهات أن يرضى بغير جلاء

(1) كانت «أتباعه» في نصّ الجريدة.

في يومِ فلسطين

يا راقصين على دم الصحراء
تلك الشرارةُ بعدَ حينٍ تنجلي
اليوم يحطم كلُّ شعبٍ ثائر
ويديفرُ البغيّ من هزّاتها
فضتْ فمَ المستعمرين بلطمة
واليوم يصرخُ كلُّ حرٍّ غاضباً
تلك المواطنُ أين عنها أهلها
والقدسُ ما للقدس يمشي فوقها
ما هتلرُ السفاح أقسى مديّة
يا أختَ يعرب لن تزالِ حرةً
ثاراتُ أهلك في دمانا تلتظي
حتى يضمَّ ثرى الجزيرة أهلها

قد آن يوم الثورة الحمراء
عن زاخِرٍ بالنار والأضواء
سودَ القيودِ بضحكةٍ استهزاء
حمراءَ ضرَّجَها دُمُ الشهداء
لا غيرَ قاتلةٍ ولا شلاء
في وجهه كلُّ مهوَسِ الآراء
فتروح تعرضها على الغرباء؟
صهيونُ بين الدمع والأشلاء
يوم الوغى من هتلر الحلفاء
بين الدمِ المسفوكِ والأعداءِ
هيهات ليس لهنّ من إطفاء
أو يلمسون مطارف العلياء

ما العاطفون على الضعيف لغاية
الأسخياء له بغير بلادهم
بالقادرين على اغتصابك عنوةً
يا شعبُ ليس القدسُ تشكو وحدها

مفضوحة لم تبقَ طيِّ خفاء
الباخلون بها على الضعفاءِ
فاليوم هبَّ الشعب من إغفاء
هول الجراح من اليدِ الرعناء

ما زال جرحك وهو دام دافقُ
والحرُّ أبعدُ غايةً من أن يرى
فالحكم للدم والسلاح المنتضى
والنصرُ للشعب الذي لا يشني
أجلُ الطغاة بكلِّ حدٍّ صارم
حتى أراك وأنت راض هاني
وأرى الجزيرة وهي روضٌ مونقُ
والقدس يسكن كلُّ حرٍّ ربعها
يا شعبُ ناد بكلِّ ساه غافل
ما أشرعَ الأعداءُ فيها حرباً
ما نفعَ جنتك التي نضرتها
يا شعبي المظلومُ هذا موقفُ
ما بال رهطك وهو باق وحده
عاش التحرر كلُّ رهط غائب
وغدا فداء الكادحين وجمعهم
يا شعبُ هذا أنت جاشٌ رابطُ

رغم انتهاء الطعنة النجلاء
في الدمع تخفيفاً من البرحاء
والحرب لا للدمعة الخرساء
عن عزمه، والصولة النكراء
ما أن يزيل العارَ كالإجلاء
حرّ برغم الأعين الزرقاء
محمية الأبناء بالأبناء
بالعاملين وضيئة الأنحاء
عما تذوق القدس من بأساء
إلا لشلِّ يدٍ وسفك دماء
والنارُ حولَ الجنة الخضراء؟
بان الوفيُّ به من الحرباء
لم يخشَ بأس القوة العمياء؟
— إله — يومَ الجدِّ والإعياء
أصحابُ تلك الشارة السوداء
إن حان يومُ الثورة الحمراء

أعاصير

أصبحَ الكونَ وهو نورٌ ونارٌ
الأعاصيرُ تملأُ الشرقَ والغربَ
كلّما حاقت المنايا بإعصار
فالتهابُّ خبأً، فكان التهابُّ
فاعصفي يا شعوب فالكون لا يُرضيه
واحطمي القيدَ فوق هام الطواغيت
همسةً، فانتباهةً، فهتافٌ
هذه قصةُ الشعوب رواها
حرّك الشرقَ عقرب الساعة الوسنى
فامض يا ليلُ ما عيونُ الجماهير
أيها الواقفون في زحمة الدنيا
إنّ وقفتم فما أرى موقف التاريخ
فاجعلوا في (اليمن) عرشاً من الظلم
يا وجوهَ الجياع، يا قصّةً أضحى
حاكٌ أحداثها الرهيات جلاّدٌ
أنتَ للجوع لآخَ فيك اصفرارٌ
خيبُ المستبدِّ. لا يكتبُ التاريخُ

أيها الظالمون أين الفرائد؟
وقد جاش حولهنّ الشرارُ
نزا فوق نعشه إعصار
وانفجارٌ مضى، فجاء انفجار
إلا أن يعصفَ الأحرار
وثوري فالفائز الثوار
فانتفاضٌ فثورةٌ وانتصار
للورى تاجُ قيصر المنهار
فهبت تقول: لآخ النهار
بعمياء أو عليها ستار
وقد عصّب الرؤوس الدوار
يعتاقُ من خطاه انتظار
فما يعرف العروش اليسار
لها من مواطني أسفار
زها سيفه الذميم اقتدار
وهو للتبر في يديه اصفرارُ
نابٌ له ولا أظفارُ

إِنَّمَا نَحْنُ وَارِثُو هَذِهِ الدُّنْيَا
 إِنَّ فِي صَفْرَةِ الْخَرِيفِ انْتِفَاضاً
 قُلْ لِمَنْ فَضٌّ رَوْحِ الرَّعْبِ وَاسْتَلَّ
 نَقْلَ الطَّرْفِ بَيْنَ شَرْقٍ وَغَرْبٍ
 تَلَقَّ كَأْسَ الطَّغَاةِ فِي كَفِّ سَاقِيهَا
 فِي غَدٍ تُسْحَقُ الْقِيُودُ وَيَهْوِي
 لِأَلَا الصُّبْحُ يَا بِلَادِي أَيْقَى
 ابْعَثِي صِرْخَةَ الْجَلَاءِ ابْعَثِيهَا
 شَعْبِكَ الْحُرُّ مَا انْتَنَى عَنْ نِضَالٍ
 وَهُوَ لَوْ كَانَ كَوَكْبًا يَذْرَعُ الْآفَاقُ،
 عَالَمِ الظَّالِمِينَ قَدْ هَدَمَ الْمَظْلُومُ
 فَهُوَ إِنْ ظَلَّ وَاقِفاً كَانَ لِلْمَوْتِ،
 مَوْضِعُ الْقَيْدِ بَعْدَ حِينٍ سَيُْمَسِي
 لَنَا الْمَجْدُ كُلُّهُ وَالْفَخَارُ
 كَانَ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ أَيْارُ
 السَّنَامِ مِنْ عَيُونِهِ الْإِنْدَحَارُ
 يُحْمَدُ الطَّرْفَ قَلْبَكَ الْمُسْتَطَارُ
 حَطَاماً تَجَفُّ فِيهِ الْعِقَارُ
 فَوْقَ أَشْلَاءِ تَاجِهِ اسْتِعْمَارُ
 فِي حِمَاكَ (السَّفِيرِ) وَ(الْمُسْتَشَارِ)؟
 مِثْلَمَا تَرْسُلُ الْهَدِيرَ الْبَحَارُ
 لَا فَهِيَّهَاتُ أَنْ يَدُومَ الْإِسَارُ
 مَا حَدَّ مِنْ خَطَاةِ الْمَدَارِ
 رُكْنِيهِ، فَاحْتَوَاهُ أَنْهِيَارُ
 وَإِنْ سَارَ فَالْمَسِيرُ انْتِحَارُ
 فَوْقَ أَنْحَائِهِ الْجَرِيحَاتُ غَارُ

رثاء فلاح

مستوحداً حزين الغناء
 في لافح الثرى والسماء
 بكفّيه دافقات الدماء
 بين تلك السنابل الصفراء
 خافت الجرس دائب في بكاء؟
 بغيض اللظى صدور النساء
 وإن أخطأته عينُ الرثاء
 يمضي إلى الردى والفناء
 قتيل الطوى، صريع العناء
 وإن عاش عارياً من رداء
 كيف حلاه بالزهور الوضاء
 فسئل عنه معشر الأغنياء
 ولا نادب من الأوفياء
 جبينين صوحاً من شقاء
 تريق الدموع دون انتهاء
 فوارتهما بكفّ الحياء
 على نعشه نسيج اللواء

أيها الحاصدُ المعنى يجوبُ السهل
 صاحب الناظرين، مضني، حريق الظل
 يورد المنجل المعنى جراحات
 كُفَّ لا تخطون إلا احتراساً
 اصغِ هل أنت سامعٌ من أنين
 طاف بين المقابر السود تبقيه
 ذاك والله موكبٌ للجراحات
 إنه النعش، إنه الكادح المنكود
 إنه مطعم الورى وهو من راح
 إنه الخير والغنى. إنه الكاسي
 سل إذا شئت عنه جذب الصحارى
 إنه المخصبُ الثرى إنه أنت
 مات لا شاعرٌ من القوم يكيه
 غير طفلين مرغاً في ثرى القبر
 وابنة تعصف الهموم بخديها
 مزق الثوب نفسه عند نهديها
 أمس قدمات صاحب القصر فانحلّ

واغتدى كلُّ تاجر بالقوافي
 واعتلى النعش هامة المدفع الضخم
 سار والحشد خلفه واجم الأنفاس
 ذاك والله موكب للظلمات
 مات... لم يجن منه في الناس خيراً
 ويك هل شقَّ جدولاً يبت الزهرُ
 هل سقى السنبُل النضيرَ فراح الناسُ
 ويك ما يخسرُ الوجودُ إذا ما
 أيما جائع سيبقى بلا زاد
 إنما يخسرُ الوجودُ إذا ما
 فالجنى والأزاهر العينُ أحلامُ
 والطوى صائد يحوش العرايا

يثقلُ الصوتَ والصدى بالرثاء
 وتيد الخطى رهيب الحداء
 مثل القطيع خلف الرعاء
 فهل أخطأته عينُ السماء
 غير من كان وارثاً للثراء
 على جانبيه جمّ الرواء؟
 من حَبَّه بأوفى غذاء؟
 مات من في الوجود من أغنياء؟
 وعريان لا يرى من كساء؟
 غالت الكادحين كفّ الفناء
 زواهنَّ عنك عسرُ اللقاء
 والحضارات هَبَّه من هواء

دجلة الغضبي

ذوّب الليل يا شعاعَ النهار
 ذوّب الليلَ يبصر الشعب صرعا
 يبصر القومَ بين هاوٍ إلى اللحد
 إنها غضبُهُ الميَاهُ الحبيساتَ
 زمزَمَ الموج في السهول النديات
 سائل الكوخ والربى والصحارى
 أيها النائمون في الضفة السكرى
 كيفَ بالله... كيف تغفو عيونُ
 علّموا دجلة الظلامات والغدرَ،
 أيها الضاربون في ظلمة الليل
 يسرقون الخطى على ضوء نجم
 كيفَ خلّفتُم الديارَ الحبيباتَ
 ضربَ الماء ما بنى كلُّ بان
 فاشتكى صاحبُ القطيع من الموجِ
 واشتكى الحاصدُ المعنى إلى «الشيخ»
 وهو بالأمس واهبُ (القائد الغربي⁽¹⁾)

تلمح العين ما وراء الستار
 فما زال واقفاً بانتظار
 وغرقان دائبٍ في احتضار
 تدفقن بعدَ طول الأسار
 مغيظاً وصاحَ في كلِّ دار
 كيف أعرشن في يدِ التيار؟
 على الجوع والضىنى والصغار
 في حمى كلِّ ظالم غدار...؟؟
 فعادتُ ولا تفي عهدَ جارٍ
 إلى غير منتهى أو قرار
 يسرق الخطو في قصيِّ المدارِ
 ألا لفتةً لتلك الديار؟
 وطوى كلَّ مأمَلٍ بالثمار
 لذئبٍ رآه أو جزار
 فما كان منه غيرُ ازورار
 زلفى إليه سيفُ النضار

(1) القائد الغربي: هو الجنرال «مونت كمرى» فقد أهدى إليه أحد الشيوخ سيفاً من ذهب محلى بالبراقيت في نهاية الحرب العالمية الثانية أثناء مروره بالعراق. (ش)

صَيْغَ مِنْ أَضْلَعِ الْجِياعِ العرايا
وهو بالأُمس، من حبا «لندن» الشوهاء
وهو من يَبْخُلُ الغداة على الشعب
لَيْتَ لِي قوّة المِياه فأقتَصَّ
ليتني أَهْدُمُ القصورَ وأبنِيهَنَّ
ليتني أَبْدَلُ القلوب الَّتِي تَغفُو
أَيُّهَا الشَّعْبُ واحتمالك عارُ
طالما قد صبرتَ يا شعبي المظلوم
أَيُّهَا المرسلُ الأَينِ إلى الأَذانِ
حقَّ ما ترسل الأَينِ إِلَيهَنَّ
فهي صمَّاءُ حين تدعو، وصغواءُ
ضِلَّةٌ للنِّيامِ، والثَّعلبُ الرعِيدُ
رَبِّ نَاجٍ مِنَ الردى خَلْفَ الأَبناءِ
مَثَلُ الظَّهَرِ بالسَّنين الطويلاتِ
لَا حَ لِي فَاَنْطَلَقْتُ أَزْجِي إِلَيهِ الشَّعْرَ
أَيُّهَا المبتلى، وأدعو بك الشَّعْبَ
ذلك النهر فاض بعد احتباس
نَبْنِي أَيَّ سَاعَةٍ أَبْصُرُ الشَّعْبَ
ساحقاً في اندفاعه ما أقام الظلمُ

تحت أنظار كلِّ جوعان عاري
ما شاء منه حبُّ الفخار
ويلقى انتحابهُ بافترارٍ
من «الشيخ» للدموع الغزار
بيتاً لشارِدٍ في القفار
على الذلِّ، بالحصى والحجار
ما على الحرِّ دونه كُلُّ عارٍ⁽¹⁾
فانهض.. كفاك طولُ اضطبار
يلبسن قرط الإستعمار⁽²⁾
اجتزازاً بِصَّارمٍ بَتَّارٍ
إذا اهتزَّ شاربُ المستشار
يسطو بمخْلِبي مستعارٍ
صرعى في المائج الهدارِ
وأشلاء بيته المنهارِ
حَرَانٍ قاذِفاً بالشرارِ
وقد همَّ غيظه بانفجارٍ
عاصفاً بالسُدودِ عصفَ اقتدارِ
وقد فاضَ بعد طول الأسارِ؟
في دربه من الأسوارِ

(1) ورد البيت في طبعة وزارة الإعلام العراقيّة على النحو التالي: «أَيُّهَا الشَّعْبُ واحتمالك عارُ على

الحرِّ دونه كلِّ عارٍ». (م)

(2) في البيت اختلال في الوزن ولم نرد التدخل من عندنا فيه. (المحقق)

قُلْ لِمَنْ ثَبَّتَ العروشَ على الماءِ
 سوفَ تأتيكَ ساعةٌ توقظُ الأمواجَ
 أيها الشعبُ يعصبُ الداءَ عينيه
 الدواءَ الَّذي ترجي سيأتيك
 تعصفُ الصيحةُ المدماةُ بالتاجِ
 يومَ لا الظالمُ الغشومُ بمنجيهِ
 لا ولا القيدُ مستطيعٌ حيالِ النارِ
 الردى والهوانُ خطُّ الأذلاءِ
 فقال امتلكتُ كلَّ البحارِ
 فيها انتفاضةُ الإعصارِ
 فلا تبصران ضوءَ النهارِ
 اسمهُ من حناجرِ الثَّوارِ
 على كلِّ مفرقٍ مستطارِ
 من الثائرينَ وشكُّ الفرارِ
 صبراً ودونهُ ألفُ نارِ
 وكلَّ الحياةِ للأحرارِ

مأساة الميناء⁽¹⁾

سل الميناء لو سمع الخطابا
وأبطال «النقابة» كيف باتوا
أذنب أن يقال لنا حقوق
وعدل أن تجرّع كل حرّ
حلال لابن «لندن» في حمانا
وجور أن نمدّ يداً إليه
جموع الكادحين وجمعتنا
وحقّد إن ذممتُ سواءه حقداً
على المستعمرين يصب ناراً
ورثناه الأبوة وهوباق
ودنيا لا يغيب العدل عنها
بربك حدّثيني أيّ جان
وأمسى منك دون حمى أمين
أطلّ على النقابة منه طرفٌ

فروى غلة الصادي جوابا
يذوقون المذلّة والعذابا
أبى أصحابهنّ لها اغتصابا؟
يدّ المستعمرين قذّي وصابا
دم ابن الرافدين.. فلا عتابا
وحق أن يمدّ لنا حرابا!
مصائب لست أدركها حسابا
فلا ألقاه إلا مستطابا
وأبناء الثراء لظيّ مُذابا
سنورثه البنين منى عذابا
إذا هو عن سواها كان غابا
تصيد منك أبناء نجابا⁽²⁾؟
تحدّ جنوده ظفراً ونابا
مغيظ كاد يلتهب التهابا

(1) ذكر لنا السيد فؤاد طه العبد الجليل، صديق السياب وشقيق زوجته، أن القصيدة تدور حول إضراب عمالي في ميناء المعقل في البصرة جابهته الشرطة آنذاك بقسوة شديدة، لكن الذاكرة

للأسف خاتته في تذكر السنة التي حدث فيها. (م)

(2) هكذا ورد في المخطوطة. (المحقق)

وأزجى مثقلين بنافثات
 يذيقون المهانة كلَّ حرٍّ
 وما غير المطارق من سلاح
 لك الفخرُ المخلد من جيوش
 وصانك من عدوك «مستشار»
 رضاه بأن تريعي كلَّ دار
 فما كالكا دحين له عدوُّ
 أبا لأغلال يخنق صوت شعب
 دع الآفاق تزخر بالضحايا
 وغدُّ بنا السجونَ ومن دمانا
 فما غيرُ الجلاء لك انتهاءً
 وألوى بالطغاة فما توانى
 جموع الكادحين.. وجلَّ عاراً
 دعاك إلى النضال شقاء شعب
 خذي بالشار خصمك لا تليني
 وسار لك الغدُّ الزاهي فسيري
 وأصمي - في جوانح كلِّ طاع -
 يكادُ الظالمون من الضحايا
 تطلُّ عليك أحداقُ العذارى
 دم الأعراض عاد بها اصفراراً
 وأجسام الطغاة حجبين عنا
 ستنصبُّ الأشعة من خروقٍ
 لهيب النار، يحملن الحرابا
 دعاه هوى النقابة فاستجابا
 وقد كرمتُ إلى الحق انتسابا
 على الجمع القليل تجوزُ بابا
 وحسبك أن غدوت له ذنابي
 تضم الكادحين... وقد أصابا
 إذا استرضاه مرتزقٌ وحابي
 تهزأ بالحمام؟؟ لقد تغابي
 وسمع الريح يمتلئ انتحبا
 فروُّ البيد أو فاسق السرابا
 فإنَّ الشعب قد هتك الحجابا
 وبالمستعمرين فما أنابا
 رضانا بالهوان وخسَّ عابا
 تحمّل من مذلتته الصعابا
 وجدّي غيرَ قاصرة طلابا
 وزيدي من محيَّاه اقترابا
 فوئاداً كان للشرِّ استجابا
 يصيحون: اجعلي دمه شرابا
 من الأكفان حانقة غضابا
 وعادَ على يدِ الجاني خضابا
 ضياء لا نريدُ له احتجابا
 رصاص الشعب زاد بها انصبابا

لك الغدُ والحياةُ وللأعادي معاوُلُ تحفرين بها الترابا
فصيحى «بالحليف» إليك عنا فلا حلفاً نريد ولا انتدابا

صحيفةُ الأحرار⁽¹⁾

يا حابسين صحيفةَ الأحرار
 إنَّ تحجبوها فهي حقدٌ كامنٌ
 بنتَ الكفاح وكلُّ سطر خالد
 ضمَّ الشتاتَ بها (فكاوا)⁽²⁾ يَجْتَلِي
 و(القدس) تُشهدُ كلَّ جرح أنَّها
 لم تكبُ في ساحِ الجهاد ولا ارتضت
 إنَّ تحجبوها فالليالي شأنها
 ما إنْ نخور فليس فينا جاهلٌ
 إنَّا لنغمد في اللظى أقدامنا
 هل يمنع القيدُ استعارَ النارِ
 بين الضلوع وصرخة استنكارِ
 عرقُ يفور به، دُمُ الثَّوارِ
 من عين (يعرب) ضحكة استبشار
 بُرءٌ يثيرُ مخاوف الأشرار
 ذلاً ولا غفلت عن استعمار
 ألا يدوم بها سنا الأقمار
 إنَّ الحياة عطيةُ الأخطار
 هيهات نشكو سطوة الأحجار

واحرَّ قلبي يا بلادي آنسي
 ماذا ظننت بصادق في حبه
 هل كان ينفض من نضال كفه!
 ولو استطعتُ لكنت حزباً ثانياً
 جُرِّدْتُ فيك سوى من الأشعارِ
 لو كان يملك قوة الأقدار؟
 أو كان يتركها على القيثار؟
 مثل التحرر صادق الآثار

(1) الصحيفة هي (الأحرار) وكانت تصدر عن عُصبة مكافحة الصهيونية عام 1946 وقد أغلقتها الحكومة، فكانت القصيدة. (م)
 (2) كاوا: لفظة كردية تعني الأخ.

أو عدتُ أجعلُ من دمائي ثورة
الشعبُ يعلمُ عن يقينِ آتِها
حان الكفاحُ فأنزلتها طعنةً
الجوفُ فيك لكلِّ نسر ضيقُ
قصوا جناحَ النسر فيه وأطلقوا
ومن المهازل أن أوفى صفحة
ما راش جودُ الكادحين جناحها
إن يحجبوها فهي في أرواحنا
أو طاب يوم (الخائنات) بيومها
إن المصاب وإن خلا من فرحة
فالتاعنُ الصدرَ الأبِّي بسيفه
فيذا العيونُ تُرى وفي أهدابها
يجثو على فرش الحرير ودونه
فالطرفُ يمسكُ بالكؤوس ورجله
لو باركته يدا (سفير) ساعة

تجلو غشاوة هذه الأبصار
بوقِ النضالِ ومنبر الأحرار
حمراء في صدر الحليف الضاري
رحبٌ لكلِّ ملوّن المنقار
للجوم أجنحة الخنا والعار
للشعب تطويها يدا غدار
حتى براه مقصُ الاستعمار
وضحاه تنشرها يدُ التذكار
فالخائنات قصيرة الأعمار
لم يخلُ من عظةٍ ومن إنذار
شق الستار بطعنة استهتار
لمحُ الدماء خبيثة (الثرثار)⁽¹⁾
جسم الطعين على التراب العاري
بالطرس. والكفان بالدينار
باع النضال بحفلة (استيزار)

يا من يُشيد لكلِّ حرٍّ محبساً
إن الظلام إذا تناهى غيّه
والحابس الأبطال عن أن يزاروا
حتى تكشف عن سراب ظنه
فيذا الحناجرُ والزمازمُ تنبري

خوفاً على كرسية المنهار
زاد العيونُ صدى إلى الأنوار
ظنّ الزئير قضى قتيلَ إसार
وانفضّ جوف الصمتِ عن إعصار
غضبي تجوزُ عليه عقر الدار

(1) الثرثار: سدّ يصل مياه دجلة بالفرات.

هيّهات تغلبُ كلُّ كَفِّ شأنها
هيّهات يصرع كلُّ فكر ملؤه
ما دامَ بعض دم الضحية دافقاً
يا شعب أنتَ غدٌّ فإن لم يؤمنوا
إنَّ الطغاةَ نجوم ليل ترتدي
أنتَ اندفعت إلى العلاء وغلغلوا
لا يستوي الجيلان هذا مقبلاً
ظنوك سخرية الزمان ونهزة
حتّى أبنت عن اللظى في ملمس
أنتَ العباب سجا وأغفى حاجباً
أنتَ الزمان صفا ليهوي سيفه
إنَّ الشعوبَ شكونَ داءً واحداً
أغلالهنّ مجمعاتٌ في يد
فإذا حطمتَ فلستَ وحدك حاطماً
ولا وُقِّقَ الأشرار في أن يخرقوا
هل يأمن المطعون من جلّاده
والأرض ليس ترى لها من غاسلٍ

لمسُ الحرير، تدفّق التيار
همس الطغاة صوارخ الإنكار
فيها فلا ركنتُ إلى الأظفار
بالكادحين، فلست للكفار
ثوب المغيب، وأنتَ شمس نهار
في هـوّة لا تنتهي بقرار
نحو الحياة وذاك في إدبار
للطامعين ولعبة الأغرار
وكشفت في شربٍ عن الأكدار
خلف السجومنية البحار
بعد الصفاء على يدي جبار
رغم التنائي واختلاف الدار
رعناء تنشرها على الأقطار
تلك القيود، غنيت بالأنصار
قلب النضال بكاذب الأخبار
إلا لقاء الصارم البتار
رجس الطغاة سوى دم الثّوار

غادة الريف

غادة الريف يا شعاع الأمانى
 ما لعطفك تحت أسمالك الشوهار
 الصبا والربيع طافا بخديك
 والصبابات باسمات الأسارير
 وعلى الثغر تستفيضُ ابتساماتُ
 عن سنا الصبح. عن رهيب الدجّات
 عن خليّ وكادحين وعن قصر
 يا لحسنا كاد من يجتليها
 إحذري عاشقاً كثيرَ التجني
 قد كساه الثراء ثوباً من الكبر
 دودة تسرق الرحيق من الزهر

في دجى الكوخ.. في ظلام الزمان
 غابا كجذوة في دخان
 فذاب الشحوب في أرجوان
 يبتّ اشتياقها الناظران
 يُحدثن عن خفيّ المعاني
 عن النار عن نعيم الجنان
 وكوخين أصبحا في مكان
 يصرف الطرف عن فتون الحسان
 خفّ للصيد في دروب الغواني
 موشى بزائف الطغيان
 وتلقيه في التراب المهان

أقفر الكوخ من بقايا طعام
 أقفر الكوخ فاعبثي يا مقادير
 أقفر الكوخ والسراب المصفى
 فاذهبي يا ابنة الجياع إلى القصر
 أطرقى بابَه بكفّ ستميها

ليته ظلّ كاتماً ما يعانى
 وجودي يا عاديّات الزمان
 يملأ القصر بالشذى والأغاني
 وعودي بعاطرات الأمانى
 على بابَه يدُ الحدثان

ويك هزّيه، زلزلي صمته، سومية
 إنها هزة الجياع المناكيد
 هزة بات صوتها يذرع الغيب
 ما شئت من ضروب الهوان
 تريع الطغاة في كل آن
 ويومي لبائع الأكفان

اكدحي واجعلي التراب يواقيت
 واغسلي بالدموع ما دنس المولى
 أطعمي الجائعين يا خادم القصر
 واصبري إن طغى من القوم طاغ
 على شعرك الشقي المهان
 من الخنز والثياب الحسان
 بما ظلّ في بطون الأواني
 وابسمي إن جنى على الكوخ جان

رجّع القصر آهة السيّد العاشق
 آثم يحسب الغرام احتراقاً
 غادة الريف.. أبصر الوجد في عينيك
 هذه الغرفة الموشاة مأواناً
 ها هنا مهده، وثم السرير الغضّ
 أيها الشعر.. يا هوى. يا عذارى
 غاب عنكن كوكب ختم الليلة
 أرسل النور دافقاً ثم نحاه
 فهي انتفاضة الأفعوان
 في لظى من جهنم الأبدان
 تنساب في سناه الأمانى
 هنا مجلسي وهذا مكبياني
 يا لللقاء يا للتداني
 يا أزهير، ياندى يا أغاني
 عن هذه الربى والمغاني
 عن الأفق زلة الامتهان

زلّة بعد زلّة جرعتها
 فإذا الليل والغنى والجهالات
 أصبح الكوخ وهو مأوى لزوجين
 غادة الريف لست زوجاً لمولاك
 عادة الريف عاديّات الزمان
 يجلّلنها بثوب الزواني
 على أيكة الهوى ينعمان
 وإن قال ذلك القاضيان

إنها خدعة التقاة المصلين شيوخ الورى، هداة الأوان

هَيِّ المهد للوليد الذي وافى أَلست الأب الكثير الحنان؟
هَيِّ المهد «لا مجيب سوى الصمت بعيد الصدى، خفي المكان»
«أيها الليل من ضلوعي وآهاتي... ومن أنجم السماء الحسان
من دم العقّة المراق من الكوخ... من الذكريات.. ممن جفاني
هَيِّ المهد للوليد الذي وافى... فأنت الذي أعدّ التداني»

أيسَ الداء والطوى ثديي المرضع فالطفلُ ساغِبُ كلِّ آن
صارخُ ترجفُ النجومُ لشكواه ويبكي النخيل مما يُعاني
غادة الريف أوصد القصر بابه على كلِّ ناعم البال هاني
فيمَ شكواك؟ وهو ما أن يعيها أينَ شكواك من رنين المثاني
جاهلٌ من يريد أن تضمد الجرح يدُ تنتضي خضيبَ السنان
أيها الظلم يا ربيب المقاصير بناها لغيره كلِّ بانٍ
أيها الظلمُ يا شبابةً صنعناها فعادتْ مع العدى في الطعان
حاملُ الفأسِ قادرٌ أن يشقَّ القبرَ للظالمين بعد الهوان

«جفَّ يا زوجي الرحيم من الآهات ثدياي... آه مما عراني»
غادة الريف أيُّ ذنب تخطى موضع السرِّ في عثارِ اللسان
فلَّ من زوجك المغيظ حناياه بنارٍ من الغرور المهان
كيف ناديت سيد القصر «يا زوجي» فدنتِ ناصعات المعاني؟

آه قد أنكر الوليد أبَّ جان
«أحرقني صفحة الفضاء بأهاتكُ
واملاي خدرَ كلِّ نجمٍ يجوبُ
أغفلتُ أمريَ السماءِ وإنِّي
إنها صرخةُ الجراحِ العميقاتِ
في غدٍ يسكنُ الثرى مجدهُ العاتي
في غدٍ يسمعُ الورى قصَّةَ الكوخِ
فارتضىَ الطفلُ لا حنانَ ولكنَّ

نؤوم الضمير فظُّ الحنانِ
يا شمسُ واعبثي بالزمانِ
الأفق سهران باللظى والدخانِ
سوف أشكو إلى الورى ما عناني»
بها يُستطارُ قلبُ الجبانِ
وتدميه قارصات اللسانِ
تدوي بمسمع الأكوانِ
يفعلُ الخوف مثلَ فعلِ الحنانِ

أيها الطفلُ في رحاب الأب الجاحدِ
إن تبسَّمت قطبَ أوالد الغضبانِ
واتقى ظلَّ مهدك الطهر عمَّاك
أيها الكوخُ أيَّ همٍّ تغشاكُ
أينَ بانيك؟ ما له صامت الأنفاسُ
فارق الأرضَ موجعاً يطعن العارُ

تغذوه مرضعاتُ الهوانِ
أو صحتَ فرَّتِ العمتانِ
وجازا مداه لا ينظرانِ
وماذا طواك من أحزان؟
والجرسِ ناضب الخفقان؟
ثرى قبره بأمضى سنان

هزّت الكوخ عاصفات المنايا
وطوى الموت زهرةً أذبلتها
غادة الريف عافت النور عيناها
الصبا شاحبٌ وصوت الأسارير
غابَ في ظلمة الثرى فهو ناءٌ
غاب والجوع راقدٌ في حناياه

فارتمى باكياً على كلِّ فان
أعين الظالمين قبل الأوانِ
فنوحن دونها يا غواني
نؤوم السنا حبيس اللسانِ
عن هوى طامع وعن كفِّ زانِ
قتيلُ الشجى صريعُ الأماني

لا تعكرون صمته بالأحاديث
فهو من قبضة الزمان المدماة
وهو من يحقر الوري، وهو من لا
فيَم تعجبين منه إن رفَّ دون
نامَ والطفل مبعُذٌ عنه فاشتاق
عن البؤس والورى والزمان
بعيدُ المدى طليق العنان
يعرف البؤس بعد ذاك المكان
الجفن بعد انطباقه دمعتان
فلم تعصِه دموع الحنان

آه قد أرجعَ الوليد إلى الكوخ
عادَ واحسرتاه أعمى أبيدَ الليل
وانثنى ساجياً إلى ظلمة القبر
نوحى دون قبره يا أمانى
واغمري مضجع الشهيدين يا شمس
واخفضي الهمسَ يا رياحُ وكفّي
وأمضِ يا شعر لا تقل عنهما شيئاً
وطرفاه بالدجى مغلقان
ما مُتعت له مقلتان
فأمسى من الورى في أمان
واسكبي الدمعَ يا عيون الغواني
وغطي ثراه بالأرجوان
عن مساعيك يا خطى الرعيان
لا ولا تدعُ راقداً المعاني

إلى حسناء الكوخ

تبكين.... والريفُ الجميلُ يكادُ يرقصه الغروبُ؟
والليلُ يدنو... والغيومُ بجمرها الخابي تذوبُ
أرعى يديه على أهلك... فكفَّ منجله الدؤوب
يا عادةَ الكوخ الكئيب، يلفه الحقل الكئيب
لولا يقيني أن يوماً تضحكين له قريب
لولا أمانِ هاتفتُ سوفَ تنتصر الشعوب
قاسمتُ عينيكِ الدموع فكانَ لي منها نصيب
رجعتِ آهات الجدائل وهي تشرقُ بالخرير
بين الظلالِ النائباتِ، من السنابل في سرير
واحسرتا... أيُّ اكتئابٍ جاش في الصدر الصغير؟
هذي سجونُ الكادحين حطمن أغلاق الدهور
حتى بُعثن على يديكِ تنهداتٍ من سكير
هذي شكاةُ الجائعين يبيثها الدمعُ الصبيب
لا يستبدُّ بكِ الأنينُ... سيؤخذُ الحقُّ السليب

فاصَّ الأنينُ على خطاي فبتُ أعثرُ بالأنين
حيرانٌ... حتى لا أقرَّ من الظنون، على ظنون

حَتَّى يَثْسُتُ مِنَ الشُّكُولِ... وَكَدَّتْ أَيْأُسُ مِنْ يَقِينِي
 لَا تَطْلُقِ الْهَمَّ الدِّفِينَ سِوَى يَدِ الْهَمِّ الدِّفِينَ
 فَإِذَا بَكَيْتَ فَعَنْ مَصَابٍ سَوْفَ يَنْطَقُ بَعْدَ حِينٍ
 لَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ «الْبُرُوجِ» لَقُلْتُ أَبْكَاءَ الْحَبِيبِ
 فَاسْتَبِشِرِ الْمُسْتَعْمِرُونَ وَرَدِّدُوا عَاشَ الْأَدِيبُ

أَيُّ الثَّلَاثِ الْقَائِلَاتِ الْمَطْفَنَاتِ سَنَا الْحَيَاةَ؟
 الْمَلَقِيَّاتِ الْأَرْضِ فِي أَسْرِ الْجِرَاحِ الدَّامِيَّاتِ؟
 الْجَاعَلَاتِ الْكَادِحِينَ لَطَى يَثُورُ عَلَى الطَّغَاةِ
 هَاجَ التَّنْهَدُ فِي فُؤَادِكَ وَاسْتَفْزَ مِنْ الشُّكَاةِ
 جَهْلٌ أَعَادَ الْحَاضِرِينَ⁽¹⁾ إِلَى الْخِيَامِ الْبَالِيَّاتِ...؟
 أَمْ كَشَرَ الدَّاءَ اللَّئِيمَ فَسَدَّ عَيْنِيهِ الطَّيِّبُ؟
 أَمْ ذَاكَ جَلَادُ الْقُلُوبِ، عَدْوُكَ الْفَقْرُ الرَّهِيْبُ؟
 أَيْنَ الْأَنَاشِيدُ الْعَذَابُ الظَّامِنَاتُ إِلَى الْحَقُولِ؟
 يَهْمَسْنَ بِاسْمِ الْقَرْيَةِ الْعِذْرَاءِ فِي أُذُنِ الدَّلِيلِ
 وَالْمُنْشِدُونَ الْهَارِبُونَ إِلَى ضَفَافِ الْمُسْتَحِيلِ
 الْقَانِعُونَ مِنَ الْحَيَاةِ بِكُوخَةٍ بَيْنَ النَخِيلِ
 الثَّائِرُونَ عَلَى ضَجِيجِ الْمَدَنِ وَالْعِلْمِ (الدَّخِيلِ)
 الْقَرْيَةُ السَّجْوَاءُ نَائِيٍّ فِي يَدِ الرَّاعِي طُرُوبُ...
 أَوْ جَنَّةُ صَبٍّ الْغِنَاءِ عَلَى رُبَاهَا عَنْدَلِيبِ

(1) الحاضرون: الحضرة. (ش)

إن ناح فلاح... فمفجوعٌ من العشاقِ ناحا
 أو سارَ عريان الإهاب فقد تعرّى فاستراحا
 لا يأسفنَ على كساء ضاق، من لبس البطاحا
 أو مدَّ للمحراث ساعده... فقد نشر الجناحا
 ناموا على خضر الروابي واسمعوا منه الصداحا
 هذا هزار في الخميّلة، عشّه القبر «الرحيب»؟
 بوركت يا هذا الهزار، وبورك العشّ العجيب!

يا زاعمين الآلة (الصماء) مدعاة الشقاء
 خلف الدخان الثائر، المنفوث في عرض الفضاء
 والمرجل الفوار، يزفر باللظى دون انتهاء
 يومٌ هو التاريخ، مخضوب الحواشي بالدماء
 تلك الأكفّ الهاويات على الطغاة الأذنياء
 تلك العيون الدامعات يؤجّ منهنّ اللهبُ
 تلك اللواتي ترهبون وفرّ منهنّ المريبُ
 تلك الدموعُ بأيّ كفّ سوف أمسح من نداها؟
 يمنيّاي قد ركض اليراعُ بها وشدّ على خطاها
 وامتدت اليسرى يطوف على جينيّني إصبعها
 أليت ينتحر السراج على صحائف لن يراها!!
 الثورة الحمراء تحترق السطور على لظاها
 والشعر محموم القوافي يستبدّ به الوثوبُ
 فالقبضة الهوجاء ترقص وهي تصدعُ من تصيبُ

شعري لَهَا تُ الكادحين، وليس أنفاس الغواني
 توحيه آلاف الأكف القابضات على الزمان
 وافرحتاه إذا تلاقى في اللهبِ الثائران
 داس القيود «ابن المصانع» فاقتفاه «ابن الجنان»
 واهتزت الكفان فأتقَدَ الترابُ من الدخان
 العزم يعصف بالصدور، فتنفث النار الدروبُ
 حسناء، تلك... أتبصرين...؟ أليس تلك هي الشعوبُ؟

الآن طابَ لك الغناء، فلا تكلّي يا حناجرُ
 اليوم ينفُضُ كلَّ حرٍّ عن يديه، دم المجازر
 واليوم تنتفض القرون الغابرات من المقابر
 سارت بموكبها الضحايا... وهي تعثر بالحناجر
 مدّت من الأكفان أيديها تُحيي كلَّ نائر
 والرمل منه نزا هلالٌ بالدم القاني خضيبُ
 وافتتَضَ أختام الثلوج وراح يلثمه صليبُ
 أين الكؤوسُ الدائراتُ على سكارى بينَ غيدٍ؟
 نبهنَ من آذار أكماماً معفرة المهود...؟
 ينفضن عنهن الغبار... فكانَ من حظّ العبيدِ
 أين الورودُ العاطرات، الناظرات من الخدود
 حمراء... تهزأ بالسنابل وهي ترقص من بعيدِ
 القصر ألى يا سنابل أن تفيض بكنّ كوبُ
 واليخت تنور الجياع ويحزن الكوخ الكئيبُ

أين الجباه الساحباتُ الناكساتُ من العذابِ؟
 اللاثمات مواطئ الأقدام بالدم والشبابِ
 الهاربات من الأسنة بالجراح إلى الحراب
 اليوم ترفعها أكفّ الشائرين عن التراب
 واليوم يملأ ظلّها المكلوم أكواب الشراب
 واليوم تستلم الجراح يدٌ تحرّكها القلوب
 فيها من اليوم الجديد ومن دم الأحرار طيب
 أين الطغاة الحاجبون عن الوثوبِ خطى الصغار؟
 الساحقون سواعد الأطفال فوق دم ونار
 ويح الصغار الكادحين من الطواغيت الكبار!!
 اليوم ينتقم الأبُّ الموتورُ من ذاك النضار
 يجري عليه دمُ ابنه المسفوح أيُّ دم ونار
 الدميّة الحمراء تقذف من يديه به الندوب
 تستصرخُ الأبُّ أن يطوّح بالطغاة فيستجيب
 لو تسألين الذكرياتِ اللامحات من الرماد
 والليلُ يهوي⁽¹⁾ بالنجوم الشاحبات على السواد
 عما جنيت من الطفولة... لامتنعَ عن الرقاد
 لو حدثتكَ الذكريات لصمّتْ واجفة الفؤاد
 لا... ليس هذا ما أريد... فتلک أيام الحصاد
 بل أين أيامي؟ أجيبني... وهي تسكت لا تجيبُ
 ماذا عساها أن تقول؟ أيورق الروض الجديد؟

(1) وجدتها في طبعة وزارة الإعلام: تهوي. (م)

تلك الخمائل هل أويت إلى حفاقيهن ساعاً؟!
تبنين بيتاً يستعير من الخيال له ارتفاعاً!
فازدان، ما أخذَ الشقاءَ بجانبيه ولا تداعى
ناداكِ من بين النخيل أبّ تعودَ أن يُطاعا
واهأ إذا انتزعَ النداءُ ملاعبَ الدارِ انتزاعاً
من ناظرين، سنا الطفولة في دموعهما يغيبُ
للكد لا للطيات، يدُ يصوّحها اللغوب
إنّ الشباب هو الربيع، فأينَ أنتِ من الربيعِ؟
ضاعَ الهوى من أصغريك، فقلت للأحلام ضيعي
تلك الكروم الناشراتُ ظلالهن على الجذوعِ
الراقصاتُ مع الخريزِ الراعشاتُ مع الضلوعِ
يشهدن أنّك ما حملتِ من الحقولِ سوى الدموعِ
والمنجل المحطوم، والآمال تقتل أو تخبُ
والحبّ يعوزه التلاقي، والتحايا، والحبيبُ

يا شعلّة في الموقد المهجور يحرقها سناها
يا نغمةً عادت تذوب سدىً وتفنّى في صداها
يا بؤس عاشقة يفيض هوىً عليها ساعداها
عذراء تحلم بالعناق فما يعانقها سواها
كالزهرة الظمأى يفتحها لغير ندى شذاها
من كل عبءٍ في الحياة عليك واشٍ أو رقيبُ
هيئات أن تدع المناجل من حياتك ما يطيبُ

لاقى شقاء الكادحين لديك حرمان العذارى
 ما طائرٌ فوق الرمال مشى الهجيرُ بهنَّ نارا
 ظمآن، كَبَلَتْ الجراحُ أمام عينيه المطارا
 فانكَبَ يشربُ من دماه صدىً وأيناً وانتحارا
 يوماً بأنكى في عذاب منك ليلاً أو نهارا
 أصبحت أشقى من يروحُ، وبِتَّ أشقى من يؤوب
 عيش يهان به المشيب إذا يقال: هو المشيبُ

واحسرتاه إذا تأوهمت المعاول في الصباح
 بين القبور الصامتات الموصدات على الجراح
 أللحد شدَّ على أبيك فشدَّ منك على جناح
 وانفضَّ عنك الحاضرون وأسلموك إلى النواح
 أين الفرار إذا أطلَّ على حماك المستباح
 ليلٌ كأنَّ النجم في آفاقه القصوى نبوبُ
 مزقن أستار العفاف وأظهرت غدك الثقوب

يا من تبيع شبابها المضنى بما يئد الشبابا
 إن جردتك من الثياب يدٌ لتلبسك الثيابا
 أو علَّ من فمك الشرابَ فمٌ ليسقيك الشرابا
 أو طاف حولك أكلون ليطعموك.. فلا عتابا
 جور الشرائع كم أذلَّ فتى وكم أفنى كعابا
 يا شقوة الحسن الأجير كأنه الشاة الحلوبُ
 والشاة تنعم بالأمومة وهو ترضعه الكروب

حتّى إذا انكسف الشباب وخان خديك الطلاءُ
 والتفّ بالنهدين ثوبٌ كان يعليه امتلاءُ
 آواك ركنٌ في الرصيف يهينه منك اجتداء
 ويلاه إن خاب السؤال وفاض بالصمت الهواء
 واحتار فيك المعوزون وصدّ عنك الأغنياء
 اليوم تسخر من عصاك الغانيات، بل الخطوبُ
 يسخرن منك فتصرخين: إلامَ أبقي يا شعوبُ
 هل تبصرين الكوكب المثال في الظلماء نورا
 بين اعتناق الغيمتين يبدّد العمر القصيرا
 هل تبصرين فأنتِ ذاك النجم تلقين المصيرا
 حسناء تلك هي المدينة فاتبعيني كي نسيرا
 بين النساء الجائعات فنرقب الحسن الأجير
 بين الرجال العاطلين إلى الهلاك لهم ديبُ
 ما بين شحاذ يئنّ وبين ملتاع يلوب

نادي أباك المستكين إلامَ تبقى مستكينا
 نادي أباك الجائع العريان: هبّ الجائعونا
 العالم المخمور ثار على السقاة الخادعينا
 والصحو قد فضح الكؤوس... وخيّب المستعمرينا
 الضاربين شوارد الأمثال فاه بها (لييبُ)
 (بالصبر) يخفي مخليه... أينصح الأغنام ذيبُ

حسناء ما جمع الخيال ولا جمحتُ مع الخيالِ
 لا بدَّ أن تثبَّ الشعوبُ الظامئات إلى النزالِ
 إن قلْتُ نعصف بالطغاة الظالمين فبالنضالِ
 حاشا أديب الكادحين فما تحدث بالمحالِ
 ما كان خَدَّاعَ النساء ولا المغرّر بالرجالِ
 لا والنضال... وتعلمين، إذا تلهبت الحروبُ
 وطغى الدخان، وحمَّ يوم الظالمين من الكذبِ
 حسناء صبح غد نفيض لظى فويل للظلامِ
 حتّى جراح الكادحين... غداً تثور على السهامِ
 يوم سيسفر عن حياة من غناء وابتسامِ
 توفي عليك يدا حبيبك بالرغيف وبالغرامِ
 هو في صفوف الثائرين فتى يطلُّ من القتامِ
 جذلان... يهمس وهو يمسخ مقلتيك: لم النحيب؟
 تبكين والريف الجميل يكاد يرقصه الغروبُ

البواكير

(1974)

إشارة

نشرت أغلب قصائد هذه المجموعة، لأول مرة، في ديوان «إقبال» الذي صدر حزيران عام (1965) عن دار «الطلیعة»، وهو أول ديوان يُطبع بعد وفاة الشاعر، وقد ضمّ آنذاك آخر نصوص كتبها السياب في حياته، فضلاً عن قصائد من سنوات متفرقة هي (1942، 1943، 1944)، مع أخرى غير مؤرخة، تعود للمرحلة ذاتها على الأرجح. وفي ظني أن معد الديوان ارتكب خطأ فنياً حين دمج قصائد السياب في أيامه الأخيرة مع قصائد سنواته الأولى في ديوان واحد، ما جعل المجموعة تبدو مربكة بلا سياق وانسجام فني بين نصوصها، لتعود الدار وتدارك الموقف بضم قصائد «الأيام الأخيرة» في ديوان «إقبال» إلى ديوان «شناشيل ابنة الجلبي» ليصير ديواناً واحداً هو «شناشيل ابنة الجلبي وإقبال». أما قصائد البواكير التي بقيت من ديوان «إقبال» فقد ضُمَّت إليها قصائد غير منشورة، من بدايات الشاعر، وردت في كتاب عيسى بلاطة «بدر شاكر السياب.. حياته وشعره» مع بضع قصائد أخرى غير منشورة سابقاً ليتشكّل بذلك ديوان «البواكير» هذا، والذي صدر عام (1974) م، وقد ضُبِطت نسخة الديوان هذه عليه مع إصلاح بعض الأخطاء وبيان تعديلات محدودة أجراها الشاعر فانت طبعة دار «العودة».

على الرابية

وحيداً؛ هناك... على الرابية
أعددت أيامي الزاهبات
وجددت الحزن لي دمعاً
عرفت بها قصتي في الحياة
لها بين عيني وبين الثرى
فلي مثلها سفرٌ في غد!!!
شكوتُ إلى الليل جور الحياة
فقال: وإنني أسيرُ وتلك
فقلت: وروحي بذل الإسار
فما خفقات فؤادي سوى
شكوت إلى الليل جور الغرام
فقال: وأنني أحبُّ النهار
كلانا يفتش عن إلفه...
فقلت وفي القلب من حبه
قسيمي بما أشتكيه الدجى
ومرت على وجنتي الصبا

جلستُ أبثُ الدجى ما به
فأبكي لأيامي الباقية!
محيرة بين أهدايه
وتضليل روعي وآماله
مسيلٌ على وجنة ذاويه
ولي مثلها قصة دامية
فارتدّ يشكو أذاهاليه
النجوم المضيئات أغلاله
رمتها قوى الجسد العاتيه
رنين سلاسلها القاسيه
فأرسل آهاته الباكيه
ويعشق أطرافني الساجيه
وكلُّ تفرّق في ناحيه
نواظرٌ تحلم بالراعيه!
فهيهات أن أشتكي ثانيه
مكفكة أدمعي الجاريه!

سراج

أشراع يطوي بحار الظلام؟ أم سراجٌ في غرفة المستهام
 شاحب الضوء يرقب الشاعر السهران تبكيه نائبات الغرام
 خافقٌ مثل قلبه حين يطغى راعشٌ مثل دمه في انسجام
 أعليه لنجمة الصبح وعُدُّ بلقاء فباتَ نضو سقام؟
 فهو نبغٌ تحت الظلام فريدٌ لو روى قلب ظامئٍ من أوام
 وهو أرجوحة الظلام وظلُّ حركته أنامل الأنسام
 وجناحٌ يبيت ينتظر الفجر خفوقٌ بغصنه المتسامي
 مرَّ طيفٌ من الحبيبة يهفو؛ للقاء المعذب المستضام
 فطواه اللظى وبات دخاناً يطرق الليل نفحةً من قتام
 فرويداً؛ كفى السراج اعتسافاً إنه غال رائع الأحلام!
 بأسى الليل؛ باحترق الفراشات بدفع من النفوس الطوامي
 بسهاد الفتى، بما بين جبينه بما للنجوم من آلام...
 رحمة أيها السراج بمن أحضيت آهاته وراء الظلام
 لا تسامرِه إنه شاعر ضلَّ بدنيا الخيال والأوهام
 أذن الصبح أن يلوح فدغُه يُسعد الطرف لحظةً بمنام

رثاء جدّتي⁽¹⁾

أسلمتني أيدي القضا للشجون إذ قضى مَنْ يرَدّني لسكوني
ورمى سهمه بقية آمالي فخرّت صريعة من عيوني
ووعت أذنه توالي أنغامي وآبت إلى الفناء لحوني
جدّتي...

وهي كلُّ ما خلف الدهرُ من الحب والمنى والظنون
ورجاءً بدا فألهمني الصفو وخفّت أنواره لحنيني
قد فقدت الأم الحنون فأنستي مصاب الأم الرؤوم الحنون

كم تحملت في حياتك سقماً ودّ قلبي لو أنّه يعتريني!
تتلوّن في مهاد المنايا وتغيبين في عذاب الأنين
وتضجين بالدموع سجماً وتطوفين في بحار السنين!
ثمّ أبّ السفين! بعد طواف خالياً عودة الكسير المهين
تاركاً في البحار عذب أغانيه لها بالمياه أي رنين
يا لها ليلةً وقد عادت الروح إلى ربها ودنيا اليقين!
فزعت كلّ مهجة لأساها وارتمى الفكر فوق صدر الشجون

(1) نشرت أولاً في ديوان «إقبال».

وانجلى الفجر حاملاً بين كفيه سعيراً عذابه يصليني
جاء من خلفه نوى وبعاد لا يرجى اللقاء فيه بحين
رفعوا نعشها ونحن حيارى والدموع الغزار ملء العيون

أيها القبرُ كن عليها رحيماً مثلما ربّت اليتامى بلين...
أيها القلب هل تلام شمالي والتي تفعل الذنوب يميني؟
لا تلمني فليست قد علم الله أردّ القضاء لو يأتيني
ولم الموت والزمان الذي يسلب ما ترتجيه غير ضنين

جدتي من أبث بعدك شكواي؟ طواني الأسى وقلّ معيني
أنت يا من فتحت قلبك بالأمس لحبي أو صدت قبرك دوني
فقليل عليّ أن أذرف الدمع ويقضي عليّ طول أنيني...
ليتني لم أكن رأيتك من قبل ولم ألق منك عطف حنون
آه لو لم تعوديني على العطف وآه لو لم أكن أو تكوني...

على الشاطئ⁽¹⁾

«بين رفات أحلامي التي تكسرت أجنحتها،
وأحرقتها نار الخيبة... وبين ضباب من الأوهام
يكتنفني، ووسط سكون رهيب لا يعكره إلا
أثبات قلبي الجريح، جلست على الشاطئ أترقب
عودتك، ولكن... هيهات».

على الشاطئ أحلامي طواها الموجُ يا حُبُّ
وفي حلقة أيامي غدانجم الهوى يخبو
عزاء قلبي الدامي
وذا الفجر بأنواره رمى الليل وأطيفه
شدا الطير بأوكاره وهزّ الورد أعطافه
وفي غمرة أوهامي
وفي يقظة آلامي
بكى محبوبه القلب
عزاء قلبي الدامي
وعن بعد سرى زورق فهل فيه التي أهوى
وذا قلبي جوى يُحرق عسى أن يجد السلوى

(1) وردت في كتاب عيسى بلاطة «بدر شاكر السياب حياته وشعره»، ص 195. (م).

ومن أهات أنغامي
 أتتني رمية الرامي
 مضى الزورق يا ربُّ
 عزاء قلبي الدامي
 وفي موكب أحلامي تسير الشمس للغرب
 فيشكو قلبي الظامي إليها لوعة الحب
 فياربلة إلهامي
 وياتسبيح أيامي
 لك القلب مضى يصبو
 فردّي بعض أحلامي
 تقضى الليل فالفجرُ ولكن هل أتت هندُ؟
 خلا من طيفها النهرُ فأين الحب والعهدُ؟
 سدى قضيت أعوامي
 على شطآن أوهامي
 ولا صفو ولا قربُ
 فردّي بعض أحلامي

(1941)

شهداء الحرية⁽¹⁾

«رثاء الشهداء: يونس السبعاوي،
فهيم سعيد، محمود سلمان»⁽²⁾.

شهِيدُ العُلا لَنْ يَسْمَعَ اللُّومَ نَادِبُهُ
طَوَاهُ الرَّدَى فَالْكُونُ لِلْمَجْدِ مَأْتُمٌ
فَتَى قَادَ أَبْنَاءَ الْجِهَادِ إِلَى العُلا
فَتَى هَمَّهُ أَنْ يَبْلُغَ العِزَّ مَوْطِنُ
فَتَى يَعْرِفُ الأَعْدَاءَ فَتَكَّةَ سَيْفِهِ
فَتَى مَا جَنَى ذَنْباً سِوَى أَنَّهُ انْتَضَى
إِذَا ذَكَرُوا فِي جَحْفَلِ الحَرْبِ «يُونَساً»
لَقَدْ بَاعَ لِلْعُربِ النَفُوسَ ثَلَاثَةَ
فَآهٍ عَلَى مَنْ وَدَّعَ الصَّحْبَ وَاعْتَدَى
وَأَهٍ عَلَى نَسْرِ أَهْيَضِ جَنَاحِهِ
لِئَنْ غَيَّبُوا جِثْمَانِ «مَحْمُود» فِي الثَّرَى
وَلَهْفِي عَلَى «فَهْمِي» وَمَا كَانَ خُطْبُهُ

وَلَيْسَ يَرَى بَاكِيهٍ مِنْ قَدْ يِعَاتِبُهُ
مِشَارِقُهُ مَسْوَدَةٌ وَمِغَارِبُهُ
وَقَدْ حَطَّمَتْ بِأَسِّ العَدُوِّ كِتَابَتَهُ
غَدَا كُلِّ بَاغٍ دُونَ خَوْفِ يَوَائِبِهِ
وَقَدْ فَتَحَتْ فَتْحاً مَبِيناً مُضَارِبُهُ
حَسَاماً بِوَجْهِ الظُّلَمِ مَا لَانَ جَانِبُهُ
مَشَى المَوْتَ لِلأَعْدَاءِ حَمِراً سَبَائِبُهُ
فَقَرَّوْا وَدَمَعِي لَا تَقَرَّ غَوَارِبُهُ
عَلَى «يُونَسٍ» فَلْيَطْلُقِ الدَّمْعُ حَاجِبُهُ
وَكَمْ مَلَأَتْ أَفْقَ العِرَاقِ عَصَائِبُهُ
فَمَا غَيَّبُوا المَجْدَ الَّذِي هُوَ كَاسِبُهُ
يَهُونَ وَإِنْ هَانَتْ لَدَيْهِ مِشَارِبُهُ

(1) المصدر السابق، ص 196.

(2) الأساء لبعض قادة حركة آيار 1941 التي أسقطت الحكم في العراق لفترة وجيزة وشكّلت حكومة برئاسة رشيد عالي الكيلاني قبل أن تفشل ويعدم قادتها ويهرب الكيلاني إلى العاصمة الألمانية «برلين». (م)

شهيد رأى الطغيان يغزو بلاده فهبّ وقاد العزم جنداً يحاربه
 أئشّق من يحمي الديار بسيفه وتغدو على كسب المعالي ركائبه؟
 رجالاً أباة عاهدوا الله أنّهم مضحّون حتّى يرجع الحقّ غاصبهُ
 أراق عبيد الإنكليز دماءهم فيا ويلهم ممن تخاف جوالبه
 أراق عبيد الإنكليز دماءهم ولكنّ دون الثأّر مَنْ هو طالبه
 أراق ربيب الإنكليز دماءهم ولكنّ في برلين ليشاً يراقبه
 «رشيد»⁽¹⁾ ويا نعم الزعيم لأمة يعيث بها «عبد الإله»⁽²⁾ وصاحبه
 لأنّ الزعيم الحقّ نبهت نوماً تقاذفهم دهر توالّت نوائبه

(1942)

(1) رشيد عالي الكيلاني (1892-1965): سياسي عراقيّ بارز، شغل منصب رئيس الوزراء ثلاث مرات أثناء العهد الملكي في العراق وتزعّم حركة آيار 1941.

(2) عبد الإله بن علي الهاشمي (1913-1958): الوصي على عرش العراق بعد مقتل الملك غازي عام 1939 وتنصيب الملك فيصل الثاني. كان الحاكم الفعلي للبلاد وقت قيام حركة آيار وقد هرب إلى البصرة ومنها إلى خارج البلاد قبل أن يعود إلى منصبه بعد فشل الحركة. (م)

اذكريني⁽¹⁾

قَبَسُ من نور قلبي مشرق في ناظريكِ
 فهما مهد الهوى إنَّ الهوى غافٍ لديكِ
 وهما نبع المني إنَّ المني في مقلتيكِ
 كلَّ ما يغري ويصبي هاتف في نظرتكِ
 فاذكريني واذكري قلباً بكى بين يديكِ
 شعلة من دم حبي كمنت في شفتيكِ
 فاجعليني لفظة بينهما تحنو عليكِ
 ولتعانق ذكريات الحب دوماً أصغريكِ
 كم نهلنا الحب من أقداحه في وجنتيكِ
 وصدى القبله تخفيه جنان ذات أيكِ
 قدمحاً أيامنا الدهر فهل تبقى لديكِ
 آه لو كنت بقربي إنني أصبو إليكِ

(1942)

إليك شكاتي⁽¹⁾

لغيرك لم يخفق فؤادي ولا هفا
ولا ذرفت عيناى دمعاً إذا جرت
فرحماك لا تستزفي دمع ناظري
يسير بأحلامي لوديان حبّها
به أذكر الحب القديم فإن نأى
ولولا خيال في الدجى منك عادني
فيا نفحة للحب ملء جوانحي
إليك شكاتي فامسحي من أضالعي
إلى أفق أحلامي ففي سرحاته
هناك لروحينا على الحب ملتقى
وما الحب إلّا يقظة بعد هجعة
بجنيّ قلبّ ضارب في التفجّع
بواده طاف اشتياقي بدمعي
فدمعي إذا ما هاجني الشوق مفزعي
فترتدّ بالطيف الحبيب لمضجعي
تبينّت في فقد الحبيين مصرعي
لذاب مع الأنفاس قلبّ بأضلعي
ويا نبأة للوحي طافت بمسمعي
سطور جوى فوق الفؤاد، بأدمع
لنا موعد يحلو فخفي له معي
يزوّقه طهر الهوى المتضوّع
فلا تجعله صحوة المتفجّع

(1942/7/14)

يوم السفر⁽¹⁾

من لقلبي على القدر قُضي الأمر بالسفر
 آه لو أتته مضي معهم يتبع الأثر
 أتري كان ينثني عن محبيه لوقدر؟
 من معيني على الغرام إذا ضجّ أو زخر؟
 دهم القلب موجه فعنا القلب وانقهر
 هول للصخر قاهر ليس قلبي من الحجر⁽²⁾
 أسفاً! زورق المني وسطّ أمواجه انغمر
 أنت يا من أحبه جاد بالوصل أم هجر⁽³⁾

(1) نشرت القصيدة في ديوان «إقبال» ثم «البواكير» وفي الديوانين هناك أخطاء عدة نوردتها في الهوامش التالية. (م)

(2) هذا البيت كان محذوفاً في القصيدة وقت نشرها في ديوان «إقبال» و«البواكير»، وقد ورد في نسخة ذات القصيدة المنشور في كتاب «رسائل السياب»، راجع رسالة الشاعر الى خالد الشواف، ص «13». (م)

(3) غير الشاعر الأبيات الخمس التالية لهذا البيت على النحو التالي:

«أقبلت فتنة الفؤاد وفي عينها الخبر..
 عبرات على التراب تهاوين في ضجر
 إنها خرة الغرام سقينها بها الحجر
 يوم أن لاح أنها لحرام على البشر
 انه يومنا الأخير عن الفرقة انحسر
 خلدي به بقبلة تصرف الهم والكدر».

أنت يا من حدوت ركب سروري لك المفر
 جاء يشكو لك الأذى ساهد طالما صبر
 كم فـؤاد قتله قبل أن يدرك الوطر
 لم تبلغه ما يروم ويطا طول ما سهر
 واحنني لقبله فاز من قد بها ظفر
 إن قوماً نحبهم حرموها على البشر
 وبعيد عن البلوغ لقاء وإن قصر
 لن أرى جنة الهوى لا ولن أقطف الثمر
 من شفاه حوالم برؤى اللثم كالزهر
 قد جلّت ساعة الوداع شتيتاً من الصور
 حمل القلب شوقه مقلّة زانها الحور⁽¹⁾
 داعب الشعر وجنة من شذا عطرها سكر
 وتجلّى مودعاً حاجب يجلب الحذر
 منجل يحصد القلوب فلم يبق أو يذر

(1) حذف الشاعر هذا البيت والأبيات الثلاث التالية له في النسخة المنشورة في «إقبال»،

«البواكير». (م)

ذكریاتُ الريف⁽¹⁾

شعاع من الماضي منير بخاطري
 تلم ففیهها دمة وابتسامة
 لقد لاح لي من ذكرياتي بوادراً
 وأبرز لي وهمي وكان مصوراً
 فتلك رسوم الريف تحيا بخاطري
 وتلك الحقول الزهر تسلُّ بينها
 عليها جسور من جذوع نخيلها
 كذاك فؤادي يعبر الحزن فوقه
 تذكرت سرب الراعيات على الربا
 ورنّات أجراس القطيع كأنها
 أقود قطيعي خلفهنّ محاذراً
 وما كنت لو لم أتبع الحبّ راعياً
 «إليها» طويت الليل بالليل صابياً
 وقبّلتُ حتّى البهم لما رأيتهَا
 فقد أهتدي في قبرة إثرَ قبرة
 تذكرتها والفجر لآه يضمّهما
 وذكرى لما ولّى تعطر حاضري
 وتأتي فلا تبقي على صبر صابر
 وإنّ هوى نفسي بتلك البوادر
 ذواهب أيام حسانٍ سوافر
 كما عاش في الأوتار أنغام ساحر
 جداول ماءٍ بين وإنٍ وفائر
 تنن وتشكو تحت أقدام عابر
 على نهر حبيّ وارداً بعد صادر
 وبين المراعي في الرياض الزواهر
 تنهد أقداح على ثغر شاعر
 وأنظر عن بعد فيحسر ناظري
 ولا انصرفنّ نحو المروج خواطري
 وطاردتها مستهوناً بالمخاطر
 تُقبّل تلك البهم قبلة نائر
 إلى أثرٍ من ثغرها غير ظاهر
 فلا هو بالآتي ولا بالمغادر

تنام على النهر الجميل ضفافُهُ
 كموجة بحر قيّدتها سلاسلُ
 وحاملةٌ عند الرواح لدارها
 أهذا هو العشب الذي كان في الضحى
 أتخشاه ألا يكتم السرَّ ويحه
 فكم قبلة رقافة خبأت به؟
 وصبح خريفيّ تكفن ضوؤه
 قد اصفرّت الأوراق حتّى كأنها
 وقد «جلست» فوق الضفاف حزينةٌ
 كحوريةٍ أغرت من الموج كالثأ
 قضت بانتظار الجزر ساعات يومها
 ولكنها إن يقبل الليل هادئاً
 تذكرتها تصغي لهمس يراعتي
 ألم تعلمي أنّ الثقوب نوافذُ
 وكانت لأنغام الفؤاد منابعاً
 فداؤك روعي ما نقوب يراعتي؟
 ونائي اجتبي الأنغام حتّى تألفتُ
 فكان كحبي جمع الشمل شملنا

عدّنتي ليالي الصيف من ذا يعيدها
 فيا حبذا لي جلسة فوق شاطئ
 أراقب منه الموج يسري بزورقٍ
 سوى الوهم والذكرى لأسوان حائرٍ
 ألودُّ به إن مسّني ظلمٌ جائرٍ
 بدت فيه منّ تعنو إليها مشاعري

يسيرُ بمجذافين في النهر أشبها
 كأنَّ رشاش الماء - يعلو - أزاهرُ
 تروّج عنها بالشُّراع نسائم
 سها النجم أفلاكاً له حين شاقها
 ومن حولها مَوْجٌ تضيء كراته
 تفجّرُها الأمواج كالكَأْس حُطِّمَتْ
 وكالزهر في أكمامه اغتاله الردى
 وكالزورق السَّارِي أضلَّ سبيلَه
 وكالزمن الماضي تلاشى ولم يَعدْ

ذراعِي مشوقٍ مُدَّتَا في الدياجر
 نشرن عليها من أليفٍ مسامرٍ
 ويرتاذا ضوءُ النجوم الزواهر
 فتابعها في أفقه كلُّ دائرٍ
 وتعكس من ألوانها كلَّ باهرٍ
 وكالقلب أعياء اعتساف المقادر
 وبعثره هزُّ الريح الثوائر
 فعاد حطاماً فوق شطآن زاهرٍ
 إلى ذاكرٍ أنسَ الليالي الغواير

1943/4/9

همسك أللهاني⁽¹⁾

خيالك أضحي لابساً من فؤاديا
وكنْتَ كذاك الطائر الخادع الذي
فيعدونَ بين العشب والزهر نحوه
فما زال في إسفافه وانطلاقه
وما زال يلهي راعياً عن قطيعه
وإنك قد أشغلتني - صانك الهوى -
وإن على مرآة شعري سحابة
وإن رغبَ الروحُ انطلاقاً أعاقه
وهمسكُ أللهاني فما بُتُّ سامعاً
وقيثارتي.. ما شأنها وأنا ملي
ألا يتسنى يا ابنة الحب ساعة
فتلمح من عليائها أفق فتنة
سأهتف بالأشعار إمارأيتها
متى حومت في أفق ثغرك قبلة
وعدتُ لرب الشعر جذلان سامعاً

رداءً موشى بالروى البيض حالياً
يراه رعاةُ البهم في المرج هاويا
وإن قاربوه طار جذلان شاديا
فلا هو بالنائي ولا كان دانيا
ومزماره حتى يضل المساريا
عن الشعر لما أن تبعثك راضيا
لأنفاسك الولهي تغشي المرائيا
صدى روحك الرخو الجناحين داعيا
لحونَ إله الشعر أو بتُّ واعيا
بشعرك باتت عابثات لواهيا؟
لروحي أن ترقى النهود العواريا
يوافيه إشعاع من الحب، زاهيا؟
وأستقبلُ الإلهام سهلاً مواتيا!
يصعدها ثغري فقد زال ما بيا!
حفيف جناحيه ينادي خياليا!

1943/7/29

أغنية السلوان⁽¹⁾

تباعدا فلا حزن على ما ضاع من قرب..
 وليس الحبُّ إلَّا الرحلة استلت قوى القلبِ
 وهل يلقي انتهاء السَّفر الملاح في كَرْبِ
 إذا ما راح يطوي اليمَّ نحو الشاطئ الخصب؟
 نفضنا قطراتِ الوصل بين الورد والعشب..
 إذا ما اهتزت الزهرة ألقت بالندى العذب
 وأفردنا وفي الأفراد بعض الخير للصبِّ
 تعيش الزهرة الفيناء في المنبسط الرحب
 وتقضي وحشة الأيام بالتحديق في السحب
 تنام على وساد الشوك نائية عن التُّرب
 ولا ترمقها عينٌ فتنجو من أذى العطب
 وإما زهرتان استوتا جنباً إلى جنب...
 سرت نجواهما تنسلُّ بين العطر في السَّهب
 فتسمعها الفراشات وراء التلُّ والشعب
 فتضربُ في الفضاء الرحب نحو المنبت الرطب
 إذا ما ركض الطفلُ وراء فراشة السُّرب

فلاذتْ بصدور الزَّهر بعد الحوم والجوب
فشأن الزهرتين القطف والإذعان للخطب
عناق الحبِّ فاجأه هويّ المنجل الغضب
فيا للقبلة المشلولة الأصداء بالرُّعبِ
وكنا لوحتي نافذة في هيكل الحبِّ..
فلو لم نفترق لم ينفذِ النورُ إلى القلبِ
وكنا كجناحي طائرٍ في الأفقِ الرَّحْبِ..
فلولا النشرُ والتفريق لارتدَّ إلى التراب
ولو لم نبتعد لم تسمُ نفسانا عن الذنب
وكنا شفتي هذا القضاء مفرق الصُّحب
فلو لم نفرج لم تضحكِ الأقدارُ من كربى!

1943/8/7

الذكرى

أطللتُ من نافذة الذكريات على رياض القِدَمِ الحالمات
ولي زمانٌ عرضت لي به أجمل حلم أبدعته الحياة
أركض في أنحائها لاهياً مع الفراشات بمسّ النبات
وأسهر الليلة مع جَدُول مرتعشٍ للنُشُمِ الفاترات
يا لهفي إنَّ وراء الربى صوتاً دعاني هو صوت الرُّعاة
وكيف آتيك جنان الهوى يوماً ودوني حُجُبٌ مانعات؟

دعا صباباتي لضفاته غديرُ ذكرى مائج الأمنيات
حدّقتُ في أمواجه ساعةً مستطلعاً أغواره المبهمات
أرى ظلالَ السُّحْبِ ثَقِيلَةً مرّت على جبهته في أناة
والسَّحْبُ هل أنكرتها؟ إنها كانت نُهَيْراً شاعريّ اللهاة
ملءُ فروع الدوح ألحانه سكرى على قرع كؤوس الحصاة
نمنا على أعشاب ضفاته مختلسين القبل المسكرات

نحوَ الغدير العذب مُدَّت يدي تلمس فيه السحب العائمات
فانفجرت منها فقاعاته في إثر أترابٍ لها سابقات
إنني سمعت الحُورَ في همسة مسحورة أصداؤها عاتبات

تلك عقود الحور بعثرتها فهل أتتك المتع الذهابات؟
وصرخة الأطفال من غوره يا أيها القاسي فجرت الكرات!

ودوحة الذكرى تسلفتها مُجتذباً أغصانها المزهرات
مستقصياً ما بينها فجوة تمر منها النسم الهائمات
أبصرتُ منها ذكريات الصبا على نجيل المرج مستلقيات
والبحر يسعى دونها زافراً فالموج آهات حطمن الصفاة
يا مرج هل تذكرني راعياً أعبد فيك «الله» والراعيات!
والبحر ما كان سوى جدول ينير في الليل سبيل الرعاة
فما دهاه اليوم حتى غدا ملحاً أجاجاً بعد عذب فُرات
أحقبة نضجر من طولها وإنها طرفة عين الحياة؟

قالت لي الدوحة لا تبتش ستهبط المُرَج ففيم الشكاة
هاك جناحين فطر وائته واستوح فيه المتع الطارئات
وقدّمت بين دموع الندى فرعين من أغصانها المورقات

غنّي الخريف الغابَ ألحانهُ فانتشرت أوراقه راقصات
وقبل أن أدرك ما أبتغي ذوى جناحي مع الذاويات!

تنهّدات

«كنت أهرس سعف النخيل حذار أن
يمنع عيني من رؤيتها إذا أقبلت! أما
الآن فليتهدل السعف فهي لن تأتي»

واحجب بظلك ما يراه المجتلي
عن ناظري نزلت بأبعد منزل
وظلال روض مستطاب المنهل
ما للنفوداد بيسرها من مأمل
عطر الحبيبة فيه فلتتحول
وربابة الراعي تهيج الشوق لي
آثارها ما خلفته لمقتلي!
يشكو أساه بلوعة وتذلل
من حرقه في صدره لم ترحل
فرنا بغرب دموعها المترسل
ومسحت بعض دموع قلب مثقل
كالعاشق المتحرّق المتذلل
فمضى يحنّ لأغنيات البلبل
تجلو اصفرار سمائه للمجتلي

سَعَفَ النخيل على الممرّ تهْدَلِ
من كنتُ أحذر أن تحجب طيفها
سيان عندي اليوم قفرٌ موحشٌ
فَسَلَّ النسائم أن تكفَّ عن السرى
إن أقبلت بشذى الزهور ولم يكن
أبدأً تذكرني المروج بمن نأت
في كلّ زاوية نظرت رأيت من
فاذا سهوتُ علا ثغاء قطيعها
قد ودّعته فما شفاه وداعها
ألقت بمسمعه ثمالة شدوها
خففتُ لو ودّعتها بعض الأسى
والدوح عصفره الخريف وردّه
نَشَرَ الأصيل عليه عمق سكونه
فكأنما الورقاتِ مرآة له

أأروحُ وهو يظْلُنِّي وحبّيتي وأعود وحدي وهو غير مظلّلي
 سعف النخيل: سواك خان مودّتي وبقيت تحفظها لمن لا ينسلي
 أشكو إليك أذى الفؤاد وإن تكن لا ترجع الشكوى لصَبِّ مبتلي⁽¹⁾
 تمضي الحبيبة والزمان كلاهما وأظْلُ أُنديها وتصني أنت لي..

1943/12/6

(1) كلمة «مبتلي» غير صحيحة ويُقتضى (مُبْتَلًى). (المحقق)

تحية القرية⁽¹⁾

شَقْنِي من ربوعك النضرات
 في رياض النخيل يَجْمَعُ فيها الفجرُ
 فإذا الروض فتنة تتجلى
 أخذتْ جَلِيهَا الطبيعةُ فيه
 تَوَجَّتْ بالزهور مفرقها،
 واثنت تستحثُّ ماشطةَ الريح
 والمروج الحسان هامت عليها
 والعذارى بين الرُّبَا يتهادينَ
 والغديرُ الوسنان ظلَّه الكرمُ
 منظرٌ تستخفُّ ألوانه الطير
 وهدوء الحقول تلقى لديه النفس
 فهو نورٌ يهدي سفائن أفكارى
 فترى المبدع المصورَّ فيما
 في ابتسام الرياض للمدِّ والجزر
 يحملان الحديث عن مرقص البحر
 وعن الشطِّ والنخيل السكارى

فتنةٌ تستعيدُها نظراتي
 شمل الضياء بعد شتاتٍ
 من صناع الأنامل المبدعاتِ
 وبدت في غلائلِ عطرات
 الجدول ربَّ الخمائل الهامسات
 وتُبدي النجيل للماشطات
 حُرِّقُ من تنهدات الرعاة
 نديَّ النَّوار والزهرات
 وأصبى أمواجه الموهنات
 فتزجي ألحانها الساحرات
 ما ترتجيه من غايات
 إلى ما وراء بحر الحياة
 حولها من جنائن موثقات
 لطوفانٍ عذبي النغمات
 وحوار الشواطئ اللاعبات
 في الليالي القمرء والمظلمات

(1) من قصائد ديوان «إقبال».

رنحتها الأنسامُ لما سقتها العطرَ في أكؤسِ الندى المترعات
 وقروطُ الأغداقِ تهتز إغراءً لفُلكِ شوارعِ جاريات
 صورٌ تسجد النفوسَ لديها وتضجُّ القلوبُ بالصَّلوات
 أينما دار ناظري طالعتني فتنةٌ تستعيدها نظراتي

1943/12/22

يا ليلُ

ليت الليالي تنسي قلبي الألما
 للعين يا ليل سرّ لا تبوح به
 إلا عيوني ما أغمضت ساهدها
 قد اتّقيت أذاها فاستثرت لها
 صحبتُ فيك سُرَى الأحلام مُفزعها
 فما التقيت بمن أهوى؟ أتَحسبُها
 وهل نعمت من الدنيا برؤيتها؟
 ألم تخنك الدراري مذ شغفن بها؟
 ترى على الأرض مأواها وموطنها؟
 من السنا والندى والزهر منزلها
 إنّ الأهلّة شيء من أرائكها!
 وساءلتك وغربُ الدمع سامرُها
 فردت الطرفَ نحو الغيم حائرةً
 وهزّت الأفقَ السهران باحثة
 فما نجومُك وهي النيران سوى
 وما أغانيك وهي الخالدات سوى
 أما سئمت من الآهات تُرسلها
 ضُمّ الفؤادين لم تُبق النوى بهما
 والنجم يُنبئها عني بما علما
 أغمضت عنه عيون الناس فانكتما
 فبتنَ يرقبنَ منك النّوء والظُلما
 دمعاً لهت فيه عما فيك منسجما
 وعذبها! فطويْتُ الغور والأكما
 يقظى؟ لديك فما أهديتها حُلما
 أما احترقت فأفزعت النجوم.. أما!
 وكيف واربن غرب الدمع حين هما
 أما السماء نمثها فهي بنت سما؟
 على ثرى من نديّ الغيم قد رُسما
 والفجرَ مرآتها ما رفّ مبتسما
 عني فألفتك قد أوليتها صمما
 فارتدّ بارقه يجلو لها الظلما
 عني وبثّ أهرز القلب مضطربا
 آثار أقدامها تروي لك الألما
 أشتات قلبي تروي حبّه نغما
 ناراً، وقلبك من قلبي أما سئما؟
 ما يستطيع حياةً إن هما انصرما

خيالك⁽¹⁾

«إلى لبية ذات المنديل الأحمر»
«نظرت إلى ظلك في الجدول»
فالتقت عيناى بعينيك أو عينيه
فكان حبي لك أوله...»

لظلك لو يعلم الجدولُ
يمرُّ به القلب مرَّ الغريب
بأفيائه تحلم الذكريات
وقفت حزيناً لدى الضفتين
وقد رفَّ ظلك فوق المياه
ففي الموج مما رأى هزةً
وسرحتُ عينيَّ في مقلتين
غراماً! فهل تنكرين الغرام؟
تمنيت لو كنت ريحاً تمرُّ
ويستأسرُ الموج إغراؤها
فتمضي وتمضي به للسماء
فأخلو بظلك بين النجوم

على العذب من مائه مَنزلُ
ويهفو له الحبُّ والمأملُ
ويشدو الخيالُ ويسترسلُ
وحولي زهور المنى تذبلُ..
وجالت بأعطافه الشمالُ..
يحرار لها الشاطئ الممجلُ..
يسدُّ سهميهما الجدولُ
وحبُّ، وهل منه لي موئلُ
على الظلِّ ولهى فلا تعذُّلُ
وترديدها⁽²⁾ النائح المرسلُ
غماماً بأرجائها يرفُّلُ...
وقد جال فيها الدجى المسبلُ

(1) من قصائد ديوان «إقبال».

(2) كانت «ويفتنه لحنها» وصُححت بخط الشاعر.

ففي كلّ تقبيلة نجمةٌ تغوّرُ أو كوكبٌ يُذهل⁽¹⁾
خيالك من أهلي الأقربين أبرُّ، وإن كان لا يعقلُ
أبي.. منه قد جردتني النساء وأمي... طواها الردى المعجل⁽²⁾
وما لي من الدهر إلا رضاك فرحماك فالدهر لا يغدل..

1944/1/31

(1) كان عجز البيت: «تغور وثانية تذهل». وصُححت بخطّ الشاعر.

(2) يشير إلى زواج والده بامرأة أخرى.

أغنية الراعي⁽¹⁾

دعي أغنامنا ترعى حيالَ الموردِ العذبِ؛
 وهيا نعتلي الربوة يا فاتنة القلب...
 فنلقى تحتنا الوديانَ في ليلٍ من العشبِ!
 خيالنا به طيفٌ من الآمالِ والحبِّ!

خطانا تبعثُ الذكرى بقلب الورد والزهرِ
 سيبقى في غدٍ منها صدى ينسابُ في النهرِ
 وفي الأنداء ما ذابت على وقع خطى الفجرِ
 وفي أغنية الرعيان ما بين الربى والخضرِ

سئمنا العالمَ الفاني والناسَ ومرعانا
 لقد سجنوا بأغلالٍ من الأنظار نجوانا
 سننشدُ في أمانٍ من عيون الناس مأوانا
 ضعي يدك الجميلة في يدي ولنذهب الآنَا

ومن أثواب قطعانك يا ريحانة العمرِ
نحوكُ شرّاعَ زورقنا ونطوي لجةَ العمر
نغني الموج أغنية الرعاة على الرّبي الخضر
لقيثارٍ روى أنغامه عن ربّة الشعر!

نؤم جزيرةً منسيةً في بحرّها النائي
طوى الموجُ بشطّيتها جناحيه بإعباء
إليها أوماً المجذافُ لما ضلّها الرّائي
وأضحى دمعُه يرسمُ أقماراً على الماء

سنبني كوخنا تحت الغصونِ بجانب النّبعِ
ونملؤه بما شئناه من زهرٍ ومن شمع
وأنغام رواها الوترُ السّكرانُ بالدمع
وعطيرٍ قُطفت أزهاره من ذلك الجذع

ستهوي شفتانا فيه نحو القبلة الأولى
فيصغي في صداها خافتٌ ما زال متبولاً
إلى همس المجاذيف طواها الليل تقبلاً
إلى نجوى الينابيع برّوضٍ بات مطلولاً

تعالى نهجرُ الأثام والناسَ ودنيانا

لأرضٍ سبقتنا نحوها بالسَّير روحانا
هناكَ نرى المنى، والحبُّ والأحلام ترعانا
ضعي يدك الجميلة في يدي ولنذهب الآن...

1943/7/29

المساء الأخير⁽¹⁾

«آخر مساء قبل مغادرة الريف»

بربّ الهوى يا شمسُ لا تتعجّلي
سريت فأفق الغرب يلقالك باسمًا
كأنّ السّنا إذ فارق الأرض واعتلى
أحاسيس أخفاها الفؤاد وصانها
وصفصافة مخضوبة الرأس بالسّنا
تبينُ كعدّراء من الريف أقبلت
نعي لي وللناس النهارَ (مؤدّن)
تمنيته لا يسمع الصّوت، أخرسًا
ألا وُقِرْتُ أذان من يسمعونه
ألا نثرتُ من تحت أقدامه أسيّ
أطرتُ عصافير الربى حين غردتُ
رايتُ بها شبهاً بدّهر مجنّح
كأنّي به لما يمدُّ جناحه
ألا ليت عمرَ اليوم يزداد ساعةً

لعلي أراها قبل ساع الترحّل
طروباً وأفق الشرق بادي التذلل
رؤوس الروابي والنخيل المسبّل
زماناً ففاضت من عيونٍ ومقوّل
تراع بزفازف من الريح معول
بجرتّها من دافق الماء سلسل..
وقد كان ينعي لي فؤادي ومأملّي
تمنيت لويهوي إلى الأرض من عل!
بأشلاء قلبٍ في ضلوعي مقتل
حجارةُ ذاك المسجد المتبتّل!
كأنّ بتغريد العصافير مقتلي!
فأبغضتُ أشباه العدو المنكل
يمدُّ لأكباد الورى حدّ فيصل
ليزداد عمرُ الوصلِ نظرةً معجل.

1944/2/16

شاعر⁽¹⁾

كَفَّنَ بِالْأَوْرَاقِ أَهَاتِهِ وَارْتَدَّ يَرِثِيهَا بَآيَاتِهِ
 وَاسْتَأْسَرْتُ أَبْيَاتَهُ رَوْحَهُ فَطَافَ يَبْكِي حَوْلَ أَبْيَاتِهِ
 غَنَّى لِي صُطَادَ حَبِيبَاتِهِ فَاصْطَادَ أَسْمَاءَ حَبِيبَاتِهِ
 إِنْ تَبَكَ عَيْنِيهِ صَبَابَاتُهُ أَبْكِي عَيُوناً بِصَبَابَاتِهِ!
 سَاعَاتِهِ فِي شَعْرِهِ خَلَّدَتْ مَا بَالُهُ يَنْدُبُ سَاعَاتِهِ!
 وَهُوَ إِذَا مَا أَنَّ مِنْ لَوْعَةٍ رَجَّعَ كُلَّ الْكَوْنِ أَنْتَاتِهِ!
 إِنْ دُسَّ تَحْتَ التُّرْبِ جِثْمَانُهُ وَكَفَّ قَلْبٌ بَيْنَ طَيَاتِهِ!
 خَلَّفَ قَلْباً بَيْنَ أَشْعَارِهِ يَسْمَعُ مَنْ فِي الْأَرْضِ دَقَاتِهِ!

1944/4/21

أغرودة

«إلى ذات المنديل الأحمر»

كفى طُرفك اليومَ إنَّ غرّاً
ضللتُ وقَدَّر لي أن أراك
أضياء حياتي سنامقلتيك
وشاهدتُ قفراً بعيد الحدود
وقد خلت في ظلمتي أن لي
فرْدَي على القلب أو هامه
«لبيبه رحماك إنَّ الوصال
أهاب الغرام بقلبي الكئيب
جناحاه سهمان في جانبيه
بعينيك غدرُ بكل الرجال
إذا لم تَضْم الكيانَ النحيلَ
فقد ضَمَّك القلبُ منذ اللقاء
سأسعى لأضفي عليك الخلود
فتمسين أغرودة العاشقات

بقلب جفا الحب واستكبرا
وأهوى فصبراً لما قدراً
فأبصرتُ ما لم أكن مبصراً
تعانق فيه السماء الثرى
رفيقاً.. وها أنني لا أرى
وخلّيه فيما ادّعى وافتري
أحبُّ إلى القلب لو خُيِّرا
فخفَّ إلى عالياً الذرى
يشعّان بالنار إمّا سرى
ولكنَّ عينيَّ لن تغدرا
ذراعاي.. حيناً ولم تهصرا
فطوّق حسنك واستأسرا
بشعرٍ من الروح قد فجرا
وترنيمة الركب عند السرى

المنديلُ الأصفر

أتدري وقد أومأت للصباح
سكارى من الطلِّ صفرُ الثياب
بأن الليالي ستختارهنَّ
يتيه - وحقُّ له - بالشحوب
تبدَّى وفي عطره عطرها
أمن حبِّها جاء هذا الشحوب
أيشقى الذي ضمَّه صدرها
كأنني به هالهُ البَدْرِ في
كأنني به قبلهُ جَسَمْتُ
ففيه شذى القبلِ الناعمات
خريفٌ ولكنه كالربيع
فما مُذهب من شعور الحسان
بمشبه منديلها فتنةً
أمنديلها من تحبُّ الفتاة؟
لعلِّي - ويا ليتني - من تحبُّ
أمنديلها لو مسحتِ الدموعَ

أزاهيرُ قطنٍ بتلك البطاخ
هفا كلُّ طيرٍ لها بالجنّاح!
ليُصبحنَّ منديلُ خودٍ رادخ!
على حمرةٍ في شفاء الملاح!
ومن سرها فيه ما لا يُباح
وطولُ اصطحاب الأسي والنواح
ورواه من ثغرها كاسٌ راخ؟
ليالي الوصال العذاب الوضاح
على ثغرها أو ثغور الأقاخ
ورئي الأزاهير عند الصباح
يضوعُ بعطرِ الصِّبا والمِراخ
تراخى على كتفٍ واستراح
وسحراً إذا جاذبته الرياح
ألا! إنّ شأنَ الهوى أن يُباح
فأشقى بذاك الضنى والجراح
لمابتٌ في لوعةٍ والتياخ!..

الوردة المنثورة⁽¹⁾

«وحي ورده نثرتها حسناء»

أعولي يا قياثرَ الشعراء
وردةً أغمضَ المساءَ عليها
واستفاق الصباح يبحث في الوديان
فرآها بكفَ عذراء أزهى
وهي أنا تنيلها ثغرها الغضّ
غير أنّ التي تحطم قلباً
... لرياح الخريف أرفق بالورد
نثرتها أمام عيني لا تسمعُ
رحمةً منك فهي رمزٌ لحبي
أنت لو تعلمين كم سهرَ
ربّ طير أظللها بجناحيه
ربّ نهر مصفق أرسل الشوق
ربّ راع هفا لرؤيتها شوقاً
غير أنّ الرعاة والطير والأنهار
في سكون الدجى وصمت المساءِ
طرفه وهي في ثياب الرواء
عنها وفي خدور النساء
من جناح الفراشة البيضاء
وأنا أضمها بازدهاء
تنثر الزهر مثله في الفضاءِ
وبالقلب من يد الحسناءِ
مني تذلي وندائي!
أنا أشقى فلا تزيدي شقائي
الروض عليها وهبتها للبقاء
وغنى لها أرق الغناء
لها ذائباً مع الأنداء
وغنى على تراجع ناء
تفدى لعينك الحوراء

(1) وردت في ديوان «إقبال».

أنت خلّدتها ولولاك ما غنّى بها منشدٌ من الشعراء
 أنت خلّدتها ولولاك سارت — مثلما سار غيرها — للفناء
 فأنثري الزّهر كلّ يوم ليحيى في فؤادي ويرتوي بدمائي
 أنثريه لتلهمي قلبي الغضّ فيشدو لحون أهل السماء

1944/4/2

السَّجِينُ⁽¹⁾

سجين.. ولكنَّ سجنِي الكتابُ! وأغلالِي الأسراتِ السطوِزُ
 فما بين جنبيه ضاع الشبابُ وفوق الصخائفِ مات السرورُ!
 لقد طال بالقلبِ عهد العذابِ! وهاتَّه بعد صبري ثورُ!
 سأطويه لا رجعةً لا إيابَ وأمضي طليقاً كتلك الطيورُ!

سطورُ كتابي أوتار عودٍ عليها يُوقع لحن الرثاءِ!
 وأسرابُ غُرب⁽²⁾ من الطير سود نواعبُ تنذرني بالشقاءِ
 أفي ظلمة الكتب أفني وجودي وأحيا بليلٍ وحولي الضياءِ!
 فيا نفسُ لا تُدعني للقيودِ وثوري ولا تصبري للقضاءِ!

عيوني بأفاهه ساهراتٍ وحولي يبيتُ ردى رَقْدَا
 بأرجائه التقيِّ بالمماتِ كأنني على موعدٍ والرّدى
 وما بينَ ألفاظه القاتماتِ أشعَّةُ عينيَّ ضاعت سدى
 ...وما بين أوراقه الصامتاتِ! تلاشى غنائي ومات الصّدى

1944/4/25

(1) المصدر السابق.

(2) غريان جمع غراب.

عودة الديوان⁽¹⁾

«إلى ديواني العائد من تجواله بين
العدارى... إلى ذلك الزورق المتقل
بين موج النهود أرفع زفرتي...»

ديوان شعري يعود من سفره!
وكان في جنة فأخرجه
بين العذارى يبّيت متقلّاً
ويسهر الليل في مخادعها
ينام فوق النهود مُدْكراً
ويوشك القطن في صحائفه
ديوان شعري يعود من سفره!
ما ضرّني لو يظلّ في وطره!
منها تجتني الزمان في قدره
يا ليتني سائرٌ على أثره؟
إنّي له حاسدٌ على سهره
فترجحنُ النهود من ذكره
أن يُطلعَ المستحبّ من زهره!
ما ضرّني لو يظلّ في وطره!

زورقُ حبٍّ شراعه الغَزَلُ!
قد ضلّ ملاحه السبيل فما
لولا هواها لما تحرّك بالشعر
عاد إلى صدري الكئيب وقد
عاد وقد مُزّق الشراع كما
ما بين موج النهود ينتقل
أرسى على صدرها هي الأمل
يراعي فجاء يشتعل
ألقى المراسي فليس يرتحل!
مَزّق لذاتِ عمري الملل

(1) المصدر السابق.

كالقلب إذ عاد من صواحيه تهذه النائبات والعِلَلُ
زورقُ حبٍّ شرأعه الغزلُ ما بين موج النهود ينتقل!

أنلت من عطفهنَّ يا ورقُ ما لم ينله المسهد الأرقُ
فكنت منديل كلِّ باكية منهنَّ ينتاب روحها القلق
سدّدن أنظارهن نحوك يا ديوان شعري ولست تحترق
أما تراني أكاد إن نظرتُ لي ذات حسنٍ تُذيني الحرق
لكنَّ شعري الذي سكبت به قلبي على جانبك يأتلق
ولا تلظي بناره أفهل... تهيج فيك الصباية الحدق
قد نلت من عطفهنَّ يا ورق: ما لم ينله المسهد الأرق..

إن عاد نفسي شجى فزعزعا أصبحت مرتادها ومفزعا
تذيبُ أنفاسها بأدمعها: شعراً وتلقي عليك أدمعها
فحدّث النفس... ما رأيت وما أسمعت ممن طرقت مخدعها!!
عن العار لكلِّ عاشقة ناحت فأتت قصائدي معها
خبّان في جانبك لي قُبلاً هلاً أريت الفؤاد موضعها
حسبُ الحيّيات من عرائس شعري أن ظلَّ الحسان فنّعها
إن عاد نفسي شجى فزعزعا أصبحت مُرتادها ومفزعا

مقطع بلا عنوان⁽¹⁾

وأَيُّ خَيْرٍ فِي الْهَوَى كُلِّهِ إِنَّ كُنَّا بِالْحُبِّ لَا تَعْلَمَانِ؟
 يَا زَهْرَتِي قَدِمْتُ يَا زَهْرَتِي أَوْ عَلَى مَنْ يَعْشَقُ الْأَفْحَوَانَ
 لَوْلَا الَّتِي أُعْطِيتِ سَحَرَ اسْمِهَا مَا بَتُّ أَسْتَوْحِيكَ سَحَرَ الْبَيَانِ

1944/4/18

(1) وجدَّ هذا المقطع في دفتر يعود للشاعر، وقد لاحظَ ناجي علوش بعض أبيات من المقطع ذاته في كتاب إحسان عباس «بدر شاكر السياب، دراسة في حياته وشعر»، ص 55-56. والأبيات هي:

فانسلَّ نحو الموعِدِ العاشِقَانِ	«جاء الدجى يا زهرة الأفحوان
إِذْ يَعْطِفُ الرُّوْضُ وَلَا تَعْطِفَانِ	مَاذَا يَنَالُ الْقَلْبُ يَا وَجْهَ
إِذْ تَسْمَعُ الدُّنْيَا وَلَا تَسْمَعَانِ» (م)	وَأَيُّ جَدْوَى فِي أَغَانِي الْهَوَى

رثاء القطيع⁽¹⁾

«إلى الراعية»

لقد حدثوني بموت القطيع رأيتك تبكين بين الثرى وحولك⁽²⁾ سرب من الراعيات أما أرقّت عين هذا التراب: من الأعين الحور ينبوعها: لقد زوّقت تحت أيدي الأصيل! وقد حوّم النوم حول الغدير: وأمواجه أخلدت للسكون: وكانت تغني بحجر النسيم أحزناً على ما أصاب القطيع؟ وما لك لا تملئين المروج وفوق الثرى ذاب قوس السحاب رياض كما يشتهي العشاقون ونور سها في شفاء الزهور

فشدت على القلب كف الألم وتستصرخين رعاة الغنم يخففن عنك الضنى والسأم دموع لها فوقه منسجم فهل تصبح اليوم تحت القدم سفوح الروابي بظل القمم فما بال أزهاره لم تنم؟ فمات على ضفتيه النغم إذا لفها موهناً واستجم رفيق هواها، عراها السقم ابتساماً فإن الربيع ابتسم فبادت على جانبيه الظلم! وما صور الفن منذ القدم. ونهر عليه الذهول ارتسم

(1) من قصائد ديوان «إقبال».

(2) في الأصل: وحوليك سرب! والمسموع هو: حولك، وحوايك.

أحزناً على ما أصابَ القطيعَ أليفَ الروابي؛ اعتراكِ الألم
سأبكي وقد كنتِ تستضحكين إذا الدمع من ناظريّ انسجم

1944

حوريّة النهر

نفوس معذبة هائمة... تخبّط في الظلمة القاتمة
أجدّ لها الليل أحزانها وتذكر أيامها الباسمه
فسارت تفتش عن حبها وتنشد لذّاتها الدائمة
وأسرى بها تحت جنح الظلام زوارق في اللجة الغائمة.

إذا ما تلوّت على الشاطئين من النهر أمواجهُ اللاطمه
وأرسي على مائه زروقٌ تؤرجحه النسمة الحالمة
أطلّت على النهر حوريّة فأغوّته بالنظرة الساهمة!
فأغوارهُ وهي أوطانها بوالكِ على فقدّها نادمه!
وأمواجه وهي أترابُها جثت تحت أقدامها لائمه...
أحوريّة النهر غُضي العيون وكوني بملاحه راحمه!
تسيرين في زورق من ظلال فتدفعه النسمةُ الناعمة
ومجدأُك اخترته من ضياءَ النجوم على اللجة القاتمة

وأطربت النّهر والضفتين أغنانٍ وقيثارة ناغمه
لقد حقّ أن تسحر الكائنات وتستلّ آهاتها الجائمه
فأوتارها شعرك العسجدي وأنبت الموقعة الباسمه

رأى النهرُ مصرعَ ملاحِه بعينيك أيتها الظالمه...

وأسلمَ زورقه للظلام	رأكَ فهيأ مجذافه
فتطلقُ عن جانبيه السَّهام	يثيرُ إذا سارَ عزم المياهِ
فلم يُبق للعين إلا القتام!	طغى الموج وارتدَّ يطوي الظلالَ
بحوريّة ليس ترعى الذمام!	فيا زورقاً من ظلال تلاشى
وللموج في الشاطئين احتدام؟	أخلفت ملاحنا وحده
سوى أغنياتٍ تثير الغرام	وحورية النهر ما خلفت
وموجٌ وقلبٌ حواه الهُيام	يجاري اختلاجاتها زورقُ
ويحملها رغوه إذ تنام	ونهرٌ تمازج أمواهه
كنبع على ثغره العشب نام	ونجمٌ يعشي الدجى ضوءه
وملاحه الشارد المستهام	ويقتاف آثارها زورق
من الموج يختال في الابتسام	يطالعه طيف حوريّة
هناك وإن سار ألفى الظلام	فمن كلّ صوب سرى خالها
ينتهي فتعيد المياهِ الكلام	أوهمّا يرى؟ لا. فذا صوتها
محدّقة من وراء الغمام	ولاحت له أعين مشفقات
وقادتك نحو الردى والحمام	تنادي به: ضللتك الخطوب
حديث السموات حيث السلام!	ولكن أذنيه لم تسمعا

سوى أن يجذّف حتّى الصباح	جرى وهو ليس له غاية
ويصرع أشجانه بالنواح	ويقفو على الماء ضوء النجوم
وهيض الشراع بعصف الرياح	لقد حطّم الليل مجذافه

وقد أطفأ الموح مصباحه
تبرمت يا ليل بالبائسين
ونادى وقدمد كلتا يديه:
فيا شاطئاً كان مأوى الغريب
وداعاً... وداع الشقيّ الحزين
ويا زمّج الماء خدن السفين
كلانا يحنُّ إلى تربه
ويا أنجم الليل يا عودّي
إذا ما خبا نور كنّ الوضيء
فحدّثنه عن فتى في الدجى
رأى - ويح عينيه - حوريّة
فقد يُخبر النجم عنه الرعاة
ومات الشقيّ الحزين فعادت

فصاح ولم يُجدِ ذاك الصباح
فزُلّ واترك الصبح يأسو الجراح
لقد حان يا أرض عنك الرواح
إذا ملّ طول السرى فاستراح
يسير إلى الموت بعد الكفاح
سمير الشراع الطروب الصداح
فطرّ لي فإنني مهيض الجناح
إذا القلب في الليل بالداء طاح!
أسى وتألّق نجم الصباح!
طواه العُباب وحبّ الملاح
فجنّ بها ساعة ثمّ راح
فيكون حزناً وتبكي البطاح
تكفّنه بالشرع الرياح!

من أغاني الربيع

رسمته أجنحة الطيور	حُلِّمَ بِآفاق السُّرور
بينَ الخمائلِ، في الصُّدور	وبشائرٍ فوقَ الرُّبى
زهر الجنائن والغدير	ونسائمٍ رقصت على
عن زهرة الحقل النضير	وفراشةٌ قد رَوَّحتْ
كأنها نغمُ الحبور	تعلو وتهبط في الرياض
وَكُنَّا جَمِيلاً في الزهور	الفجر يبني للندى
للحُبِّ عِشّاً في الثغور	فلنبنِ من قبلاتنا

شعاعُ الذكرى

يبعث الهمُّ لي شحوبُ المساء
 أخذت روعي السؤوم إلى الوحدة
 فطلبتُ القفارَ أنسى بها الناسَ
 مجلسي في هدوئها قربَ نهر
 فرياح الخريف تنسلُّ منها
 ونعيبُ الغربان يصعد في القفر
 وسجوفُ الغمام في رحبات الأفق
 وأنين المياه يدفعُ بالذكرى
 سمعته الضفافُ فارتجف العشبُ
 وتنهدتُ زافراً فأجابتُ
 فالربابات رنحتها الأغاني
 وكأنَّ القطيعَ في خضرة المرج
 وقلوبُ الزهور طافت بها الذكرى
 من قلبي الكتيب أيتها الصحراء
 أه لو تكتمين سرِّي لحدّثتك
 عن هواي القديم في الرّيف
 فالصّبا ضاحكٌ وراعتي الحسناءُ
 ويشيرُ الدفينَ من بُرحائي..
 والقلبُ للأسى والعناء
 وأخلو بأدمعي وشقائي
 عند أقدام دوحَةٍ لفاءٍ
 ورقاتُ الخمائل الفرعاء...
 كئيباً مشوّش الأصداء
 مخضلةً بدمع ذكاء
 لقلبي ويستثير دمائي..
 ارتجاف الأهداب عند البكاء
 زفراتي تنهداتُ الرعاء
 ولهاتُ المزمар ملءُ الفضاء
 غمامٌ في الليلة القمراء..
 فعادت تفيض بالأنداء
 إلّا الرمال في الصحراء؟
 عن جنةٍ تركتُ ورائي..
 والأحلام والأنس والمنى والرجاء
 في المرج بانتظار اللقاء..

كم لجأنا إلى الشواطئ نستروح في لذة عطور السماء
 ينشر الظلّ فوقنا سعفُ النخل ويُلقِي الهدوءَ صمتَ المساء
 أقبل الموجُ - إذ رأنا - إلى الساحل يرنو لوجهها الوضاء
 كم خلونا إلى الحقول ضحى ننصت فيها! إلى هماس الضياء
 والنهيراتُ مالتُ ترى السهل وجيباً يشقُّ صدر الفضاء

لم يعد لي من الهوى غير ذكرى هي في مسمعي نشيدُ الرثاء!
 ذكرياتِ الهوى، لأنّ شِعاعُ راقصٌ فوق موجةٍ من دمائي

ضلال الحب⁽¹⁾

والعَصْرُ مخضوبَ البنانِ
والصَّبْحُ يملأ بالندى
والبدْرُ وهو مظلةٌ
إنَّ الفؤادَ لفي ضلالٍ
ما داخَلَ الحبُّ الفؤادَ
أو باتَ في روضٍ وأصبحَ
هبطَ النعيمَ وساكنيه
سل عنه أزهارَ الحقولِ
سل زهرةَ التفاحِ
يا زهرةَ التفاحِ... هلاً
يوم استفزَّ بها الهوى
أروي لنا نبأ (الطريد)
أغوته (حرواً) فمدَّ
ثم رُيحرَّمه الإله
ذاقاً فكانا ظالمين
وبدا الموارى منهما

وأزاهر الحقل الحسنِ
عطراً سلال الأبحوانِ
لليلة تمتلئُ افتتاني
من هـواه وفي هـوانٍ
فعاد بيتاً للأمانى..
باسماً نضرَ المجاني
فرده خلوا المغاني
على جداولها حواني
ضاحكة الأسرَّة والمعاني..
تُخبرين عن الجنان!
قلبين باتا يخفقان
فأنتِ روائية الزمانِ
يديه نحو الأفعوانِ
عليهما... ويحلّان
فكيف يجزى الظالمان؟
فإذا هنالك سوءتان

(1) من قصائد ديوان «إقبال».

وعليهما طفقا من الورق المهدّل يخصفان...
يا بؤس من فضح الإله ولم يزده سوى الهوان
لم يعرف الدوح الخريف ونزع أوراق حسان...
حتّى نضى ورقاته العاشقان الأثمان

الهدايا

(1974)

يا أبا الأحرار⁽¹⁾

هبَّ في الفجر هبوب العاصفات قدر حطم أبواب الطغاة
 قدر من سدة الله سعى يزرع الزيتون في الأرض الموات
 ياله من قبضة في حدها يكمن الموت وأسباب الحياة
 حررت أعناقنا من نيرها وأنارت في الليالي المظلمات
 يا كريماً ما رأينا... مثله من كريم، يا نجى المكرمات
 لم تُلح لولاك في ذاك الدجى شمسنا، أو تهو أصنام البغاة
 يا أبا الأحرار، يا رافعها راية تزهو على شطّ الفرات
 دُم لشعب عاش من تموزه في نعيم فوق أشلاء الطغاة

(1) جريدة «العهد الجديد» العدد (477) في 19 تموز 1962.

وحي النيروز⁽¹⁾

طيفٌ تحدّى به البارودُ والنارُ ما حاك طاعٍ وما استبناه جبارُ
ذكرى من الثورة الحمراء وشحها بالنور والقائى المسفوك، آذار
مرت على القمة البيضاء صاهرةً عنها الجليد، فملء السفح أنهار
في كلّ نهر ترى ظلاً تحف به أشباح (كاوا)⁽²⁾ ويزهو حوله الغار
يا شعب (كاوا) سل الحداد كيف هوى صرح على الساعد المفتول ينهار؟
وكيف أهوت على الطاغى يد نفضت عنها الغبار وكيف انقضّ ثوار؟
والجاعل (الكير)⁽³⁾ يوم الهول مشعلةً تنصبُّ منه على الآفاق أنوار

قف عند (شيرين)⁽⁴⁾ واهتف ربّما نطقت وحدّثتك بما تشتاق أحجار
وربّما ارتجت الأصداء، وانفجرت قيثاره في يد الراعي ومزمار
والفارسي الثائر المغوار هل بقيت من خيله الصافنات البلق آثار

(1) نشرت القصيدة لأول مرة في جريدة «السلام» العدد 19 السنة 1، 24 آذار 1948، وقد ورد عنوانها خطأ في «الأعمال الكاملة» طبعة دار «العودة»: «نفس وقبر»، والصحيح هو العنوان الذي ثبتناه حسب ما ورد في الجريدة. راجع الطبعة الثالثة لأعمال السيّاب الشعرية، دار «العودة» (2016)، ص 456. (م)

(2) كاوا الحداد بطل الشعب الكردي في عيد نوروز التحريري. (ش)

(3) الكير: هو القار، القطران بالتسمية الشعبية العراقية. (م)

(4) جبل في أربيل. (الجريدة)

تَكَادُ تَسْمَعُ فِي الْآفَاقِ صَيْحَتَهُ كَأَنَّهَا فِي سَمَاءِ الْحَقِّ إِعْصَارُ
مَرَّتْ عَلَى الظُّلَمِ فَاهْتَزَّتْ دَعَائِمُهُ وَجَلَجَلَتْ فِيهِ لِلْبَاغِينَ إِنْذَارُ
وَسَاءَ مُسْتَعْمِراً أَنْ يَسْتَفِيقَ عَلَى أَصْدَائِهَا، جَائِعٍ فِي الْحَقْلِ مِنْهَارُ
وَأَنْ يَهْبَّ إِلَى الْأَغْلالِ يَحْطِمُهَا شَعْبٌ، وَتَنْشَقُّ عَنْ عَيْنِهِ أَسْتَارُ

كَمْ أَيْتَمَ الْبَغِيِّ مِنْ طِفْلِ، وَسَارَ عَلَى بَيْتِ هَوًى، جَحْفَلُ لِلْبَغِيِّ جَزَارُ
وَاسْتَوْسَرَ الْجَائِعُ الْعَرِيَانِ وَاعْتَصَبَتْ عِذْرَاؤُهُ وَاسْتَبِيحَ الْحَقْلُ وَالْدَارُ
وَشُرِّدَتْ فِي صَحَارَى الثَّلَجِ أَفْتَدَةٌ مِنْ فَوْقِهَا أَعْظَمُ تَدْمِي وَأَطْمَارُ
وَكَشَّرَ السَّجَنُ عَنْ بَابِيهِ، وَارْتَفَعَتْ حَمْرُ الْمَشَانِقِ يَغْذُوهُنَّ جَزَارُ

شِيرِينَ، يَا جَبَلَ الْأَحْرَارِ، مَا غَفَلْتَ عَنْ حَقِّهَا الضَّائِعِ الْمَسْلُوبِ أَحْرَارُ
كَأَوْ كَيْعَرَبَ... مَظْلُومٌ يَمْدُ يَدَا إِلَى أَخِيهِ، فَمَا أَنْ يَهْدِرَ الثَّارُ
وَالْمُسْتَغْلَانِ فِي سَهْلٍ وَفِي جَبَلٍ يَدْمِيهِمَا بِالسَّيَاطِ الْحَمْرِ غَدَارُ
سَالَتْ دِمَاؤُهُمَا فِي السُّوْطِ فَامْتَرَجَتْ فَلَنْ يَفْرُقَهَا بِالدَّسِّ أَشْرَارُ
وَأَغْمَدَ الظُّلَمُ فِي الصَّدْرَيْنِ مَخْلَبَهُ فَجَمَعَتْ بِالدَّمِ الْجَرْحَيْنِ أَظْفَارُ
وَوَحَّدَ الْجُوعُ عِزْمَ الْجَائِعِينَ عَلَى أَنْ يَوْقِدُوَهَا... وَأَلَا تَخْمَدُ النَّارُ
وَكَدَّسَ الْعَرِيَّ أَجْسَادَ الْعَرَاةِ عَلَى دَرْبٍ إِلَى النُّورِ قَدْ أَفْضَى بَيْنَ سَارُوا
وَقَرَّبَ الْقَيْدَ مِنْ شَعْبَيْنِ شَدَّاهُمَا وَوَجَّهَتْ مِنْ خَطِيِّ الشَّعْبَيْنِ أَفْكَارُ
يَا فَرِحَةَ الْعِيدِ مَا فِي الْعِيدِ مِنْ مَرَحٍ حَتَّى تُحَرَّرَ مِنْ مُحْتَطَلِهَا الدَّارُ

قاتل أخته⁽¹⁾

ليلى... كفاك! إلى يدي نظراً
 هذي دماؤك فوقها صرخت:
 «ما كان ذنبي أيها الجاني؟!»
 عودي فقد شحب الدجى ومشى
 نعش الكواكب فوق أجفاني!
 شُدِّي عظامك والبسي كفنًا
 قد كان أجدر بي وبالزاني

الدود جاع وضجَّ من ألم
 عودي إليه وأشبعيه دماً
 والقبير أوصد باباه الضجر...
 حتَّى يُرنَّحَ جسمك النخر!
 حتَّى يكون عداد ما نهشت
 منك السروب وعبَّت الزمر
 وخزَّ يسيل له الضمير وما
 يجري ورائي حين أنتحر!

أختاه أنطقها وملء فمي
 أختاه، صوتك ما يفارقني
 آه يقطع حرُّها كَلِمي...
 يدعوني ظلم التراب دمي!
 حيث التفت رأيت ثمَّ يداً
 صفراء تجذبني إلى العدم
 إنني أكاد أحسها لمست
 بالثلج خدي، والنجيع فمي!

أغواك بالومضات من ذهب طام، فأغرق حَسَّكَ الذهبُ
وتنبَّه الحرمان فيك، على قصرِ حوْمٍ حوله لقب،
لما رأيت أخاك بيع دماً بالفلس من رثيته يغتصبُ
هان العفاف عليك وانحطمت قيمٌ تعهّد صوغها الكذب!

إن التراب غداً سيجمعنا في جحره المتجمد النائي!!
فاطوي عتابك إن مواعده يمشي على رمم وأشلاء!
بين العظام هناك في جدث راج... يهزُّ أساك إصغائي
شدي عليّ بقبضةٍ سَحَقْتُ أوصالها شهوات عذراء!

أثار كفك بالدم انطبعت في كلِّ ناحية، على كفني
أبلى، وتلبث غير بالية حتّى تجف منابع الزمن
حتّى أعود ثرى تنقله بين القفار عواصف الدُجن
حتّى تذوب على مدارجها بيض النجوم صريعة الحزن

رباه... نهلك وهو متكئ بين الكؤوس يداعب الأملا؟
يحني... فيقتلها... ويقتلني ظلماً - ويجهل أنّه قتلا؟
هيهات يجهل، لست أحسبه، لكنّ طرفك عنه قد غفلا!
أين العدالة، كيف تصرخ بي «جان»، وتُشبع كَفّه قبلا؟

أمضي وألف دم سيتبعني ما دام أئمن شيء الذهب

العاطفاتُ غدت تباع به والغيد، والحيوات، والرتب
والعقل صانع كلِّ معجزة والساعد المفتول والعصب
والفن: من وتر وقافية ودمى تُصاغ وريشة تُشب!

إنني لأضحك ساخرأً حنقاً، آنأـ وأخطم أضلعي أنا!
ماذا أرى؟؟ أدمى مسخرةً للمالٍ يحشدهنَّ قطعانا؟
ختم الغباء على نواظرها فتلبدت حدقاً وأجفانا!!
تبكي وتضحك وهي سائرة تحت السياط، دماً وإذعانا

إنني أكاد... أكاد أسمعها تعلو على مهل أغانيها
كالودود زاحفة مقاطعها، كالقبر... باردة قوافيها
كالخنجر المسموم مرتعشاً في كف منتحر - معانيها
كالطفل يرضع ثدي زانية شهوى وعاشقها يواليها!!

أودعتَ يا أبتاه في عنقي أنثى، وقلت: سأرقد الآن!
أورثتني... قُبلاً مجنحةً والذل يوثقها.. وحرمانا
أودعتني جسداً تكبله أسمائه، فيثور طغيانا!
أنثى تريد هوى تعانقه عطراً وأردية وعقيانا

أنثى يؤجج في جوانحها طيف اللآلي والحلى، نهبا...
يتلقف المرأة من يدها حلمٌ يكلل جيدها ذهباً

فترى وراء دموعها، أفقاً جاشت به قبلاتها شهباً
حُسناً ترفل بالحرير على عرش من المهجات قد نصبا

حلمٌ يمد يداً إلى يدها سكرى... ويجذبها فتجذبُ
جذلان يهمس: يا فتاة غد آت.. أعنَّةُ خيله ذهبُ
طارت إليك به - على عجل - في الجور مركبةٌ لها صخب
ساعاته غزل يقطّره ثگران مرتقب ومرتقب

لا تحسبيني ما همتُ به طعناتسدده، يد الحنقِ
طعنأ يعدُّ على جوانحه حمَرَ الليالي تُضاء بالشبق
في كلِّ ومضة خنجرترةً من ومضةٍ ذهبية الألق
أعمت نواظرَ غادة... فكبا جسمٌ بها... وهوى إلى نفق!

يا خنجراً رسم الجنون على مرآته رمماً وأشباحاً
رقصت على لجج النجيع يداً سوداء تملأ منه أقداحاً
وتحيطه مقلأً مؤججةً بالحقد، أحملهن مصباحاً
كيف انحطمت على يدي... فلا جرح أمات ولا دم ساحاً!؟

أقبلتُ وهو على أرائكه سكران بالضحكات والخمر...
حتّى إذا رفع انتقام أبي يمناي فاتحة فم القبر
صاح الشقي: أأنت تقتلني؟! يا ليت أختك في الثرى تدري
العار تاجك... سلّه: أي يد قد كلّلته بقائى الدر؟!؟

الهدية...⁽¹⁾

يقول المحبون: «إنَّ الهدايا طعام الهوى»... ذاك ما أسمعُ
وإنني لأهواك، حتَّى لأفشو بحبِّي، وتدمى به الأضلع
وأهواك حتَّى اللقاء اشتياق وحتى يضيق المدى الأوسع

فماذا سأهديك يوم اللقاء؟ وماذا سأهديك يوم النوى؟
أيرضيك ما يشتريه انحداري إلى حيث يأبى عليَّ الهوى؟
فما المال إلَّا دماء تباع كعرض البغايا... لدرء الطوى

سأصحو مع الفجر قبل الطيور ولمسةٌ كفيك في خاطري
أُلم الندى من حقول الربيع وأشدو مع القُبْرِ الطائر
وأجمع من زهرها باقةً لعينيك... يا زهرة الشاعر

وهيهات، هيهات إن الرياح يذرّين أزهارِي الذابله
ويبقين في مقلتيك انكساراً كمن يتبع الأنجم الآفلة
سأهديك أغنيةً كنسيم المدينة يستقبل القافلة

(1) جريدة «الجهاد» البغدادية العدد (106) - 31 آب 1952. (م)

وماذا أغنيك والحشرات وعصف اللظى كل ما أسمع
 كأن البرايا دم في عروقي تصدّى له الخنجر المشرع
 فيا قبضة من رماد الحريق على سلّم دكّه المدفع...

سأهديك من ساعديّ الحياه ومن قلبيّ الضحكة الصافية
 سأهديك ما في عبوس السحاب من النور للدوحة العارية
 سأهديك أن لا تكوني رماداً على مدرج الزعزع العاتيه
 سأهديك دنيا يرين السلام عليها «كحشد» من الأنجم
 تنامين فيها وتستيقظين بلا ريبة في الغد المبهم
 ولا خوف من أن يعزّ الرغيف وأن تستباحي... وأن تهرمي!

يوم ارتوى التائر

بشراك هذا سحاب الذلة انقشعا
 إنزلزل الشر ما خلفت زاوية
 يا أمة ما انهوى من صدرها صنم
 من كل جازي يد بالزاد تطعمه
 هاك اسمعي الصور والموتى إذا انبعثوا
 الله أكبر، ما أمهلت طاغية
 جيل من الأعين الغضبي وقافلة
 وانحط منها على الباغي وزمرته
 كالسيل من حمم والنار من ظلم
 ما رعب «قابيل» إذ يعدو فتبعه
 شق الثرى عنه من لحظيهما شبح
 يوماً بأوفى من الرعب الذي فجأت
 يوم اشتفى كل قلب كان فاجعه
 وامتد من حيث ولى باع محتجز
 وانفك عن ساعديك القيد وانقطعا⁽¹⁾
 يندس فيها ولا أبقيت متجععا
 إلا وأوصى لدان منه فافترعاً
 غلاً، ومن أكل الثدي الذي رضعاً
 فاليوم كل سيجزى بالذي صنعا
 إلا لكي يحصد النار التي زرعاً
 من غيظ جيلين في ميعادك اجتماعاً
 ظل تخطى إليه السور والقلعا
 والموت لو كان يحوي ذلك الفزعا
 عينا أخيه المسجى حيثما نزعاً
 أزجى عليه الدم المطلول فاتسعا
 نكباؤه الصرصر الطاغوت فامتقعا
 وزلزل القصر حتى مال وانصدعا
 واسود من حوله الفولاذ والتمعا

(1) كتب السياب هذه القصيدة إبان ثورة «14 تموز 1958» ولم ينشرها في حينها. وقد ألغاهما في ذكرى الثورة الثالثة بدعوة من مدير مصلحة الموانئ العراقية في البصرة، وأضاف إليها بإيعاز منه البيت الثامن والشعرين والبيت الثاني والثلاثين. (المحقق)

في موقف تنفس الشحاذ ذلتها
 وزمرة من لصوص كل ما جمعت
 أنزلت بالشورة البيضاء عاليها
 لم يرتو الثأر من جلاد أمته
 فاقنص من جيفة الجلاد مجترياً
 هذا الذي كل ثكلى فهو مثكلها
 والسارق النور من عيني أطفأه
 بالأمس كنا سبايا دون سدته
 ما قطعتة الجموع الثائرات ولا
 لم يكذب الجيش إلا ظن شرذمة
 والجيش ما كان إلا سور أمته
 إن تعلّ يعلّ وإن تُمسس بنائبة
 والجيش ما أن إلا سرّ قائده
 عبد الكريم الذي أجرى بثورته
 أسرى وبغداد تحت الليل غافية
 فما تنفس أو كاد الصباح بها
 في ثورة عادَ منها الشعب منتصراً
 حتى ازدهى كل شبر في العراق ففي

فيه الأمير الذي من جوعها شبعها
 ما ردّ عنها قضاء الشعب أو دفعها
 سفلأً وعاجلت منها الرأس فاقتطعا
 حتى وإن جندلته النار وانصرعا
 منها عداد الضحايا من دم دفعها
 والمستحل الضحايا ليته ارتدعا
 والجاعل النوم في مهد ابنتي وجعا
 فاليوم نعطيه ما أعطى وما منعها
 أدمته إلا بما أدمى وما قطعها
 خالته في كل ما تبغي له تبعا
 لرافع الجور عنها كلما وقعا
 مسّته أدهى وإن نادى به سمعا
 هذا الذي حرّر الأعناق إذ طلعا
 ماء ونوراً كغيم ممطر لمعا
 في سجنها وسهيل بعد ما طلعا
 إلا وقد حطّم الأوثان واقتلعا
 والحق مزدهراً والبغي منصراً
 مينائه اليوم نور الفجر قد سطعا

ليلةُ القدر

يا ليلة تفضل الأعوام والحقبا
وكيف لا يغتدي ناراً تطيح به
يرى شعائر دين الله هاربة
أين العنان الذي تلويه عاصفة
للرغو حول شدوق الخيل وسوسة
من كل محتسب بالله متكلم
كأن أسيافهم في كل معمة
هيجت للقلب ذكرى فاغتدا لها⁽¹⁾
قلب يرى هرم الإسلام منقلبا
يسفها النوء تمضي حيثما ذهب
ما فاتحين يرون الموت مطلباً
والنقع يذري لثاماً قنع السحبا
عليه يفري ضلوع البغي إن ضربا
جسراً إلى جنة الفردوس قد نصبا

يا ليلة القدر، يا ظلاً نلوذ به
ذكراك في كل عام صيحة عبرت
أقومُ أحمدَ مضروبٌ على يدهم
تفرّقوا شيعاً في كل حاضرة
لولا بقايا من الشوار صامدة
الموت ولّى فراراً من جحافلها
إن مسنا جاحم الرضاء ملتهبا
من عالم الغيب تدعو الفتية العربا
بالذل من هول ذاك الفتح⁽²⁾ واعجبا
قوم يقيمون من أغلالهم نصبا
في ظل وهران تسقي خصمها العطبا
والرعب ممّا تصك الظالم ارتعبا

(1) حقق القصيدة مؤيد العبد الواحد، وكان الشاعر قد كتبها ليلقيها في حفل بمكتبة الزبير عام

1961 على الأرجح. (م)

(2) كلمة «الفتح» أضافها المحقق ليستقيم الوزن. (م)

لكنَّ واضِعة الإسلام في بلد بالأمس أعلى منار الحقِّ ثمَّ خبا

يا ليلة القدر أعلى قدر أمتنا
عبد الكريم الذي جاد الكريم به
ما كان يرغب عن أنوار ثورته
هوَّوا إلى قاع بئر لا قرار لها
حبلٌ تشدُّيد الشيطان أوله
كم جيد عذراء دق الجبل أتلعه
شهم تعالى على الشطين وانتصبا
أقال من عشرة شعباً بما وهبا
إلا الخفافيش. ساءت تلك منقلبا
مستمسكين بحبل من دم خضبا
ويجذب الفوضوي الخائن الذنبا
وكم ذراع لطفل قصّ واجتذبا

يا ليلة القدر يا نوراً أضاء لنا
تنزل الروح رقافاً بأجنحة
عطف الأمومة في عينه متقد
وللملائك تسبيح وزغردة
ومن دماء الضحايا في جوانبه
يشكو إلى الله من ذرى عقابه
ومن هوت تقطع الأضلاع مديته
ذكرى تعود كأن الغدر يبعثها
أمس الذي إن غفلنا عاد جاحمه
لا صلح بين الهدى والبغي، لا سنّة
قاع السماء فأبصرنا مدى عجا
بيض على الكون أرخاهنَّ أو سحبا
وإن يكن للثقاة المحسنين أبا
تكاد رنّاتها أن تذهل الشها
نار تمد اللسان المغلق الذربا
فأنبتت زهراً من سمّها أشبا
وساق ظلماً على الجلاد من هربا
من كهف أمس الذي ولّى بما كسبا
فاقتصّ ممّن يحبّ الله والعربا
تعمي النواظر عمن سامنا العطباً

مولدُ المُختار

دموع اليتامى في دجى الليل تقطرُ ونوحُ الشكالى عاصفٌ فيه يصفرُ⁽¹⁾
وأغفى على الآهات طفل ميمٌ تقطرُ فيه الحقدَ أمٌ وتبذرُ
إذا جنَّ ليل في الصحارى ولألأت نجومٌ وقد يخضل ليلٌ ويقمرُ
ففي كلِّ قلب من دجى الليل سدفةٌ وفي كلِّ عقل ظلمة ليس تسفرُ
وقامت من الأنصاب في البيت عصبٌ كدّوح من الصّوان بالشر يثمرُ
وأجرى على النهرين أفيال فارس دماً عربياً واستباحوا ودمروا
وفي الشّام يطغى في حمى الروم تابعٌ ويعدو على الأحرار كسرى وقيصر

وأشرقَتْ فاهتزّت نواويس في الدجى وأوشك موتى أن يهتّوا وينشروا
نبيّ الهدى يا نفحة الله للورى ويا خير ما جاد الزّمان المقتّر
إذا ما افتخرنا كنتَ للفخر أوّلاً وإن جاء نصر فذكراك تنصر
ولولاك ما اندكت عروش ولا هوى صليبٌ على كفيه كنّا نسمرُ
وكم سار في شرق من الغرب جحفلٌ بقرآنك الهادي وفي الغرب عسكروا
ويا مولد المختار ميلادُ أمةٍ وميعادُ بعثٍ أنتَ فيها مُقدّر

(1) القصيدة من تحقيق مؤيد العبد الواحد عن نسخة في شريط صوتي بصوت الشاعر في مكتبة جامع «السيد عبد الحكيم الموسوي» في المعقل. وقد رجّح المحقق وقت كتابتها في العام 1961. وقد أُلقيت لمناسبة المولد النبوي ومنها جاء المحقق بعنوان القصيدة. (م)

ألا قبسُهُ ممَّا تنفستَ في الدجى
ألا تفجّر البركان في مقفراتنا
تلبّد وجه الليل يخفيه غيمة
ومالت على الأفق الضرير منائرٌ
كأن لم يضيء بالنور ميلاد أحمد
ولم يدحر الجيش الصليبيّ صامد
فنجيا وينهّد الظلام المسوّر
فيستبسل الأحرار أيان يُفجر
من الوحل والقار المدمى تزمجر
وخرّت قبابٌ وانهوى ثَمّ منبر
ولم تنطفئ للفرس نارٌ ومسعر
ولا راعت الغازين «الله أكبر»

رمت رأسها أفعى من الفرس تغتدي
شعوبية رقطاءً بالدين تارة
وما الدّين إلّا العُرب إن ذلّ منهم
هي الراية الحمراء من عهد قرمط
إذا خباؤها فهي للشرّ مكمّن
ولاحت من الكيد اليهوديّ غيمة
تبدّى لظاها فهو نور ورحمة
تذكرت والميلاد حال بنوره
سما من مطاوي نومه يقصدّ السما
أتى صخرة بيضاء يندى بياضها
فيا صخرة المعراج قد سدّ بالدجى
فما عاد بين الله والناس منفذ
بأشلاء ما أبقاءه قيسٌ ومنذر
وبالعدل أخرى تحتمي وهي منكر
عزيز تهاوى وهو دام معفر
وهيهات يخطي بالذي شاء أحمر
وإن نشروها فهي للعار مطهر
على أفقنا المنكوب بالويل تنذر
وسرم⁽¹⁾ لمن بالمال يشرى ويؤجر
شعاعاً من المعراج ذكره مطهر
نبيّ تلقاه البُراق المطهر
كما لاح في الظلماء نجم منوّر
وبالإثم منّا فيك شقٌّ ومعبر
كأن حل بالأرض العذاب المسعر

(1) كذا سمعت، ولعلها «سحر». (المحقق)

وعاث بيت الله فدمٌ مشرّد
 كأن لم يسر طه إليها ولا دحا
 وما زال في وهران والأرض حولها
 إذا جنّ ليل ساءلت كلُّ آيّم
 جهاد على اسم الله يلظى أواره
 نبيُّ الهدى عذراً إذا الشعر خانني
 نبيُّ الهدى كن لي لدى الله شافعاً
 تمرست بالآثام حتّى تهدمت
 ولكن من ينجذه طه فقد نجا

كأن فلسطين المدماة خير
 أبو حسنٍ من بابها فهي تصفر
 قلوج⁽¹⁾ أباحوا واستباحوا ودمروا
 كواكبه عن بعلها أين يقبر
 فيكوى جبين الظلم ممّا يسعر
 ولكنه قلبي بما فيه يقطر
 فإنني ككل الناس عانٍ محير
 ضلوعي وحتى جنتي ليس تثمر
 ومن يهده - والله - هيهات يخسر

(1) كذا سمعت، ولعلها «علوج». (المحقق)

ثورة 14 رمضان

أَلَّفَ لِسَانُ جَاءَ عِنْدَكَ يَشْكُرُ
 بَعَثَتْ حَيَاةَ مَنْ رَدَّاهَا وَنَفَضَتْ
 جِزَاكَ إِلَهَ الْخَيْرِ عَنْ أُمِّ صَبِيَّةٍ
 فَصَارَ الْيَتَامَى مِنْ جَدَاكَ ذَوِي أَبٍ
 أُسِيرَ فَيَكْسُو شَارِقَ الشَّمْسِ جِبَهَتِي
 أَلَسْتُ الَّذِي أَحْيَا - وَقَدْ ثَارَ - شَعْبَهُ
 وَقَامَ الْكُتَيْبُ الْمُبْتَلَى مِنْ فَرَاشِهِ
 تَقَحَّمَتْ أَوْكَانَ الْمَنِيَّاتِ وَالسَّنَا
 فَمَا هِيَ إِلَّا ضَرْبَةُ الثَّارِ وَانْجَلَى
 فَمَنْ يَرِ بِبَغْدَادَ أَلَّتِي أَنْتَ نُورُهَا
 ثَارَتْ لَشَوَافٍ وَأَمْطَرَتْ نَازِظاً
 وَسَدُّ مِنَ التَّهْرِيجِ أَعْلَاهُ قَاسِماً
 يَحْنُ إِلَى النِّيلِ الْفَرَاتِ وَدُونِهِ
 أَلُوفُ الضَّحَايَا سَامَهَا الْخُسْفُ وَالْأَذَى
 وَلَوْلَاهُ مَا عَادَ الشَّيْوعِيُّ حَاكِماً

لِإِيفَاءِ مَا أُسْدَيْتَ؟ هِيَهَاتَ يَقْدَرُ
 أَبَادِيكَ عَنْهَا كُلِّ مَا كَانَ يُوقِرُ
 أَعْدَتُ لَهَا الْبَعْلَ الَّذِي كَادَ يَقْبِرُ
 فَدَاكَ الْأَبُ الْفَادِيهِ دَرَّ وَجُوهَرُ
 فَيَعْلُو دَعَائِي: ظَلَّتْ بِاللَّهِ تَنْصُرُ
 فَصَاحَ ابْتِهَاجاً مِنْهُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»
 يَسِيرُ عَلَى سَاقٍ وَيَعْدُو وَيَطْفِرُ
 يَتْنُ وَآلَافُ الشَّيَاطِينِ تَصْفِرُ
 ظِلَامٌ مِنَ الْبَلْوَى وَبَغْدَادُ تَنْظُرُ
 يَقْلُّ عَادُ هَارُونَ وَقَدْ مَاتَ جَعْفَرُ
 بِمَا قَدْ رَوَى الْقَبْرَ الَّذِي كَادَ يَطْمُرُ
 وَمَا كَانَ يَوْمَاً كَاسِمَهُ فَهُوَ يَشْطُرُ
 صَحَارَى وَقَدْ قَالُوا لَنَا تِلْكَ كَوْثَرُ
 غُلُومٍ وَرِقَاعٍ وَيَخْشُ وَقَنْبِرُ⁽¹⁾
 كَمَا شَاءَ أَوْ كَانَ الشَّيْوعِيُّ يَنْحَرُ

(1) الأسماء الواردة في الشطر الثاني هي لأفراد بارزين في المد الشيعي بعد ثورة 14 تموز 1958 كما زعم القوميون في العراق. (م)

فكنت الجواب المرتجى من دعائه
 فيا جيش - لانت الأذى - دونك الذي
 هبطنا إلى الأعماق إذ كان يهذر
 ومن ظلمة الداء الذي فيه ينخر
 لقد جاع حتى حطم الجوع جسمه
 وطورد حتى ما على المشي يقدر
 لك الحمد إذ أرويت بالثأر أرضنا
 فسرنا على الدرب الذي كاد يطمر

لندن - سانت ماري 1963/2/10

حبُّ وشاعر

سألتني ذات يوم عابرة عن غرامي وفتاتي الساحرة
 لم تكن تعلم أنني شاعر ملهم أهوى فتون الطاهره
 وحبیب لست أهوى عاتباً إنما أهوى العيون الأسره
 وقواماً أهيفاً خلّفتني ساهماً خلّف روحي سادره
 ووفاء لم أكن أنكره أتري ينكر غصن طائره

سألتني والربى مزدانة في شروق، والأمانى زاهره
 ليتها تدرك أنني ها هنا شاعر لا بُدّ لي من شاعره
 قلتُ يا أختاه لا لا تسألني أنا ذاك الصبُّ أهوى «نادره»

البصرة 17/10/1963

خطاب والهة

أنت تدري أنّ في قلبي جرحي ألف آهٍ تتنزّى دون بوح
 أنت تدري صار مثل الليل صبحي أنت تدري أيّها الجاني - فنحّ
 ودّع الآلام واقبل بعض نصحي يا عذابي خلّني وحدي أضحي
 دغّ أغانيّ اللواتي صغتهنّ في أسار مبهم بين الدُّجنه
 دع أمانيّ، فلّني عفتهن يا عذابي دع رؤى عاودتهن
 ودع الآه فلن تجدك أنّه ثمّ دعني، فأنا أشتات محنه

البصرة 1/1/1963

فَجْرُ السَّلَامِ

(1974)

إشارة

تشيرُ المصادر إلى أن قصيدة «فجر السّلام» هي إحدى مطوّلات بدر شاكر السيّاب التي لم تنشر في مجاميعه الشعريّة المعروفة. وقد نشرت مقاطع منها، من دون ذكر شاعرها، في مرّات متفرقة مطلع الخمسينات، ثم نشرت ثانيةً في كرّاس خاصّ من تقديم المحامي عطا الشихلي، ثمّ ثالثة في مجموعة «هديل الحمام» التي جمعها وأصدرها باقر الموسوي (من دون تاريخ نشر)، وقد صُدّرت القصيدة وقتها بمقدّمة كتبها السيّاب نفسه تشرح حركة السّلام وتحلل بعض المقاطع في القصيدة.

ولم يُعرف تاريخ كتابة «فجر السّلام» على وجه الدقة، غير أن إحسان عبّاس رجّح في كتابه «بدر شاكر السيّاب... حياته وشعره» أن تكون من قصائد الفترة بين (1949 - 1951) م.

القصيدة/ المجموعة تعتمد، هنا، على الطبعة التي صَدّرت في بيروت عام (1974) عن دار «العودة» بالاشتراك مع دار «الكتاب العربي».

وسيجد القارئ مقدّمة السيّاب الخاصّة بالقصيدة في ملحق الوثائق آخر الكتاب الثاني.

فجر السَّلام

لا شهوة الموت في أعراق جزّار
الموت أوهى يدأ من أن يشابكها
وهي التي لَمّت الأحقاب واعتصرت
ومست الصخر فاخضلت جوانبه
هذي اليد السمحة البيضاء كم مسحت
وأطلقت في الدجى الأعمى حمامتها
كأنما فجّرت ماء لظامئة
سل تاجر الموت كيف اصطكّ من فزع
وسمّرت⁽¹⁾ نعش طاغوت بما شرعت
أما كفّاه الذي امتصّت على مهل
وما طفا عن شفاه الطفل من لبن؟
فانقضّ من كهفه الداجي ليعثّها
حتّى إذا امتاز من أعمارها مدداً
أهوى على ظهر من لم يقض⁽²⁾ عصره

تقوى عليها ولا سيلٌ من النار
وهي التي مدّت الموتى بأعمار
مما انطوى في دجاها، فيض أنوار
بالسنبُل الغضّ والريحان والنار
جرحاً، وكم أزهدت أنفاس جبار
بيضاء كالمشعل الوهاج في غار
أو أطلعت كوكباً يأتّمه الساري
لما رآها؟ وكم أودت بتجار
كفّاه من خنجر يدمي وأظفار
أنياه من دم الغرثان والعاري
أو حلمة المومس الشواء من عار؟
شعواء كالبحر إن دوى بإعصار؟
واقنات مما ستحيّا، عمره الهاري
عن سلعة تعبر الدنيا، فدولار

(1) سمّرت: دقّت الماسير فيه.

(2) يقضي: يموت.

عيون وراء المدى تنام... وترجو الغدا
 دُفوق السناء، باسطاً لأحلى رؤاهـا يدا
 ستجلبها... واقعاً نقياً... كذوب الندى⁽¹⁾
 يُكفّر عما جنت عصور طواها الردى
 أيفزعها المجرمون بما أشرعوا من مدى؟⁽²⁾
 كأنّ سياجاً يُقام ليحجز عنها الغدا

وفي الحقل بين الظلال عذارى حملن السلال
 لهن الهوى والغناء وللظالمين الغلال⁽³⁾
 فبعد الشقاء المرير وغبّ الليالي الطوال
 دنا موعد للحصاد فغنينه... للرجال
 أحسدهنّ الطغاة على منّة للخيال؟
 على ضحكة للربيع وأنشودة للتلال؟!

وشيخ يرّب الحفيد بأنباء قُطِرَ بعيد
 تحدى حراب الغزاة وغيّبها في الجليد
 فأنبت منها سنابلَ ضوء الصباح الوليد
 هنالك يبني الحياة كما شاء جيل سعيد
 عمالقة بالفعال ورواد كون جديد⁽⁴⁾

(1) ذوب الندى: الذائب منه.

(2) المدى (بكسر الميم) السكاكين: جمع مدية.

(3) الغلال: المحاصيل.

(4) الحديث عن الشعوب التي تحرّرت.

وآلهة يخلقون.... آلهة من عبيد!!

هناك يرين السلام كأهداب طفل ينام
ويضحك ملء الحقول وفي أغنيات الغرام
وينبض حيث المعامل يجرحن قلب «الظلام»
وفي المدن الضاحيات يندسّ وسط الزحام
وحيث التقت - وهي ترنو - عيون السورى في وئام
برغم اللظى والحديد نمت زهرة للسلام!!

وانداح من لجة الليل التي شحبت شفق⁽¹⁾ يزيد اتساعاً كلما اقتربا
كأنّ مقبرة طال الزمان بها وازلزلت فهي تبدي جوفها الخربا
تعلقت أعظم الموتى به ورنّت ألحاظها الحور فيما يشبه الغضبا
كأنّا صرّت الأسنان من حقن شيئاً، وسخرية منها بمن نكبا
كأنّ كلّ قتيل، رغم سكرته بالصمت، يسأل أماً أئكلت وأبا
وزوجة وبنين استقتلوا وأخاً من كان فيما لقينا من ردى سببا
شفق يزيد اتساعاً كلما رفعت ستر الدجى خفقت من كوكب غربا
آلى⁽²⁾ على الأرض أن يجتثّ عاليها سفلاً ويصفع من يأتي بمن ذهبها
ولا يريق دماً إلا وأضرمه ناراً وذرى رماداً منه أو لهبا
تسعى به الريح في الآفاق ناسجة للشمس من جذوة أو من دم حجبها
فالجو مقبرة كبرى.. معلقة تستعرض الشمس في ذراتها الحقب⁽³⁾

(1) الشفق: الفم.

(2) آلى: أقسم

(3) الحقب: الأحقاب، الأزمان.

والأرض كالأبرص المنبوذ هرأه داءً وعانى عليه الجوع والتعبا
تكدست فوقها الأجساد ناضحة قبحاً⁽¹⁾ ودوى عويل الناس واصطخبها
من كل رافعة جيداً كأن يداً جبارة، جاذبته الطول فانجذبا
وانمط مثل العجين الرخو مرضعها⁽²⁾ لصق الثرى واكفهر الوجه وانقلبا

وهي التي بالأمس كانت كما رجي خيال، للهوى الأول
يموج في مرآتها ظلها سوسنة بيضاء في جدول
وكان نهداها إذا رتحت ريح الصبا من ثوبها المخمل
يشف تكويرهما عن سنا يطفو بطوقها إلى المجتلي

كم عاشق كانت أمانيه أن يرتشف النور على جيدها
كان يغذيها إذا قطبت بالروح والآمال في عيدها
يا زهرة عاشقها لم يزد من زعزع هبت لتبيديها
لو كان يهواك... ارتمى دونها سداً... ونجاك بتصعيدها

ظل لقابيل ألقى عبء ظلمته: فحماً يسود البرايا حوله القلق
فحماً تصدى له الباغي بمقلته يذكيه منها لظى يخبو ويأتلق
إذا تضرع، فاندك الفضاء جذى⁽³⁾ غضبي، ونش الدم الفوار والعرق
وانقض من حيث تهوي الشمس غاربة ليل من القاصفات السود أو شفق⁽⁴⁾

(1) القبح: الصديد، الخراج.

(2) المرضع: الثدي.

(3) الجذى: جمع جذوة، وهي الجمرة. (ش)

(4) هذا البيت والبيتان اللذان بعده، تصف طفلاً شوّه جسمه انفجار القنبلة الذرية، فجن،

جنّ الرضيع الذي يجبو وهبَّ على
من فرط ما طال واسترخى وقد صهرت
كأنّ كَفَّيه مذرّاتاً ثرى.. ودم
ولألاً البدر، فاستدناه وانبسطت
وأزلزت لثة⁽¹⁾ الشيخ التي هرئت
تنساح كاللعة السوداء يطلقها
يا ربما سرّت الموتى بأن هلكوا
شدّت عليها يد عجفاء يدفعها
شلتّ يداً طالما التفتّ أصابعها
واستجهضت كلّ أنثى وهي تعضبها
وقوّست من ظهور كي يطاولها
رجليه يعدو ويلوي جسمه العنقُ
أعراقه الزرق نار فيه تختنق
لا ما يمد ابن عام: لفّه الغسق
يمناه بالشوق.. حتّى أظلم الأفق
من شدقه الأدرد المفغور تندلق
بعد الردى، نسله المطموس والحنق
قذائف كعيون الجنّ تنطلقُ
حقد وبقّات من أعصابها فرق
ثم ارتخت عن وليدٍ بات يختنق
واستدفأت باللظى والمُذن تحترق
قزح يلج ارتفاعاً وهي تنسحق

وتطلّ من أفق يفتحه الشروق إلى الحفافي
أيّد تشير على الرقاب المشرّبة: لا تخافي
لن يفصد الجلاّد عرقاً من عروقك لارتشاف

أيّد تلوح بالسلام... كأنّ موشكه الضحايا
تكتال منهنّ البقاء - كأنّ أحضان الصبايا

وأصبح - وهو لم يبلغ أوان المشي - يركض ورقبته التي طالت وانمطت تلوي جسمه ذات
اليمين وذات الشمال، كما أصبحت كفاه وكل واحدة منها كالمدراة، وليست كف طفل عمره
عام؛ يرى القمر؛ فيمد يده إليه يريد أن يدنو. (ش)
(1) اللثة: لحم الأسنان. (ش)

أودعنها الأطفال - لما ينطفوا⁽¹⁾ - حذر المنايا

ولكم تناقلت المعابر والدروب صدى نداء⁽²⁾
تشابك الرغبات، مثل الغاب؛ فيه على رجاء
هو معبر الأجيال، من خطر يهّم، إلى نجاء

تعوي الذئاب، وما يزال يجيش كالدّم في العروق
يند العواء، ويدفع المقل الغضاب عن الطريق
ويظلّ يطفئها كما انطفأت بقايا من حريق

ويظلّ يخفق بالسّلام، كأنّما نشرت جناحا
فيه الحمامة... يلطم الظلماء، فانفطرت ولاحا
من شقّها الألق⁽³⁾ الحبيس وظل ينطف... ثمّ ساحا

صوّز لنفسك في الخيال أباك في وسط الحريق
يدعوك بالصوت الأبح؛ وقد تخبّط كالغريق
ويمدّ من خلل الدخان يديه.. يبحث عن طريق

(1) لم ينطفوا: لم تتكون نطفتهم بعد.

(2) نداء السّلام.

(3) الألق: الضياء. ينطف: يقطر.

وانظر لأَمَّك وهي ترقد في التراب على قفاها
تتجاذب العقبان ثدييها ويفقأ ناظرها
وتلقّ من دمها الكلاب، وينخر الدود الشفاها

وتَمَلَّ⁽¹⁾ زوجك، وهي تركض بين أشباح الجياع
شعثاء⁽²⁾ تلهث؛ والرياح تصكها دون انقطاع
حملت قميصك في ذراع، والرضيعة في ذراع...

أو جثّة ابنك وهي تزحف دون رأس في الدماء
أو مرضع ابنتك الممزق وهو يُسحق بالحذاء
ورفات⁽³⁾ موتاك الرميم وقد تناثر في الهواء

وإذا رأيت عيون جيرتك⁽⁴⁾ الرضية كالمحار
ترتج غضبي في قرارة جدول ضحل القرار
أفلا تطاردك العيون... أما تبصك⁽⁵⁾ في احتقار

صوّر لنفسك في الخيال. أباك في ليل الشتاء

(1) تمل: انظر.

(2) شعثاء: منقوشة الشعر.

(3) الرفات: الأجساد الميتة البالية.

(4) الجيرة: الجيران.

(5) تبصك: تنظر إليك.

وكأنما ردت عليه صباه؛ أخيلة الصلاة⁽¹⁾
ما زال يقرأ، والصغار يضاحكونك في الخفاء

وانظر لأَمَّك وهي تنصت أي عَجَبٍ⁽²⁾ يزدهيها
عادت إلى الصوت الرتيب؛ إلى الغواير من سنيها
وتمثلته فتى... يجمع ساعديه، ويحتويها

وابسط لزوجك - وانتشلها وهي تلهث في الزحام
كفًّا ستختم - إذ توقَّع - بالمداد، على السلام
فُرَج⁽³⁾ الجراح، فتوقف الدم والدموع عن انسجام

الشاطئ الضحاك والأصداء والقمر الطروب....
سكران يغرق في جدائلها، وتهمس الطيوب
وتضمُّها... ويطلُّ من خلل العيون مدى رحيب

تتنفس الأضواء فيه... كأنما سمعت غناء
حلو الرنين، فراقصته، هناك أجنحة تراءى
بيضاء... يتبعها الصغار بأعين تندی إحاء

(1) الصلاة: الموقد.

(2) العجب: (بضم العين وتسكين الجيم) الازدهاء والغرور.

(3) فرج: (بضم الفاء وفتح الراء) جمع فرجة، وهي الفتحة.

ليل العبودية النكراء صدّعه
 حتّى إذا شمّر الباغي ليرأبه⁽¹⁾
 هبّت أعاصير تذرّو ما يؤججه
 واستيقظ الشرق عملاقاً تموج على
 يرمي، ويرمي ويسعى نحو غايته
 تطفو عليها الضحايا أو تغوص إلى
 راياته الداميات الظافرات كوى⁽²⁾
 ألقي بها السلم في وجه الطغاة ردّى
 وحطموا أفوق الغلّ⁽³⁾ الذي سحبوا
 حيث اشربّت على جرف الردى أمم
 وابتاع⁽⁴⁾ الدراهم المجبول من دمها
 واستأجروها لصنع الموت منه لها
 عمارها مثل بثر للدم ابتلعت

مهوى طواغيت واستبسال ثوار
 شقاً، بأن يصهر الأجساد بالنار
 في وجهه الرابع النضاح بالعار
 عينه دنيا من الأحقاد والشار
 في لجة من دجى غضبى وأنوار
 أعماقها بين تيار وتيار
 حمراء ينشق عنها سجنه الضاري
 وفي صعيد الضحايا حمر أزهار
 كي يطرقوا منه تابوتاً لجبار
 شدت إلى الصخر، إلّا بعض أحرار
 فيض الدم الشرّ فيها شرّ تجار
 بالزاد يبقى دماً فيها لجزار
 جيلاً سواها بهن ابتاعه الشاري



(1) يرأب شقا: يلحم الصدوع التي فيه.

(2) الكوى: جمع كوة، وهي الفتحة من الجدار.

(3) الغلّ: القيد.

(4) معنى الأبيات هو: أنّ أصحاب المعامل التي تنتج الأسلحة قد اشتروا دماء تلك الأمم بدراهم هي في الأصل مبتزة من تلك الأمم؛ من عملها ومن دمانها ثم استأجروها لكي تصنع الأسلحة التي ستجلب الموت لها: لماذا كانت الأجرة؟ دراهم معدودة يشتري العمال بها قليلاً من الطعام، ذلك الطعام الذي يتحول إلى دم ينقله الجزارون إذا شتوا الحرب. ومن هذه الدماء يجمعون ثروة؛ تمكنهم من استغلال الأجيال المقبلة وامتصاص دمانها في مصانعهم. فكان أعمار العمال الذين يشتغلون بصنع الأسلحة اليوم بثر من الدم؛ يتلغ الجيل المقبل من أبنائهم وأحفادهم إلخ.. وكان تجار الأسلحة قد اشتروا الجيل المقبل بدماء الجيل الحالي اشتروا حياة الأبناء والأحفاد نتيجة لسباح الآباء لهم بأن يستغلّوهم.

وتطلّ من أفق يفتحه الشروق إلى الحفافي
أيدٍ تشير على الرقاب المشرّبة: «لا تخافي!
لن يفصد الجلاد عرقاً من عروقك لارتشاف»

ولكم تناقلت المعابر والدروب صدى نداء
تتشابك الرغبات، مثل الغاب، فيه، على رجاء
هو معبر الأجيال، من خطر يهّم، إلى نجاء

ما زال يخفقُ بالسلام: كأنما نشرت جناحا
فيه الحمامة - يلطم الظلماء، فانفطرت ولاحا
من شقّها، الألق الحبيس، وظل ينطف ثمّ سحا

قصائد جديدة مجهولة

(1978 - 2020)

إشارة

القصائد التي يضمّها هذا الفصل جديدة ومجهولة على ديوان السيّاب الكامل، بمعنى أنها لم تُنشر أبداً في أيّ طبعة سابقة لديوان السيّاب أو أعماله الشعرية، وتُنشر في ديوانه الكامل لأول مرة، وقد حصلتُ عليها في ظروف متباينة أثناء العمل على هذا المشروع.

قصائد «نبوءة حزينة»، «عودة من الموت»، «أغنية انسان متحضر»، «قميص الردي» زوّدني بمخطوطاتها السيّد غيلان السيّاب، نجل الشاعر، وكانت من بين الأوراق التي وجدها في مكتبة والده على مرّ السنوات التي تلت وفاته.

يروي غيلان أنه وجد قصيدة «نبوءة حزينة» عام (1978) في دفتر قديم يعود لوالده خلال دراسته في دار المعلمين العالية. وقد عُثر على باقي القصائد عام (1982) في دفترين منفصلين، نُشر بعضها في صحف محلية وعربية عن طريق الشاعر محمد صالح عبد الرضا⁽¹⁾.

بين قصائد الفصل قصيدة بعنوان «غداً يحضنك الفجر» كتبها السيّاب عام (1942) (بالاشتراك) مع صديقه الشاعر صالح فاضل الخصيبي وهي مُهداة إلى صديقهما محمد علي إسماعيل.

(1) نشرها عبد الرضا لاحقاً ضمن كتابه «بدر شاكر السيّاب.. مقدمات وصفحات نادرة».

يبقى أن أشير إلى حكاية قصيدتين: «سؤال» و«موعد» الواردتين آخر الفصل، وهي أحدث ما اكتشف من تراث السياب الشعري حتى اللحظة: في وقتٍ تعمق تواصلني شبه اليوميّ مع الأخ غيلان - تحديداً المرحلة الثانية من المشروع - مرحلة التدقيق والمراجعة، وكان شاركني، بكرمٍ منه، مجموعة من الوثائق والمخطوطات العائدة لوالده، والتي افادتني في تصويب أخطاء قديمة ظلّت متوارثة.

وفي يوم من خريف (2020)، حمل لي الهاتف المحمول رسالةً سارةً تفيد بأنه يمتلك ورقة قديمة دوّن عليها السياب قصيدة لم يسبق أن نُشرت من قبل، أو عرفها أحد، وأن القصيدة بلا عنوان، وقد نجتهد بعنونها.

كانت لحظةً مُتفردة، أن تقع عينك على خطوطٍ وكلماتٍ قُيِّض لها التواري بين وقائع السنوات، ناجية من ظروف التلف والضياع، لتكون بعدها بانتظارك. وقتها شعرتُ كأننا على تواصل ما مع الشاعر، كأن هذه الورقة/ الرسالة جاءت إلينا من هناك، من السياب، حيث هو.

ورقة مفردة وجدها السيّد غيلان بين مجموعة أوراق في مكتبة الشاعر، كان معظمها قصائد كُتبت على أوراق مفردة، بعضها أوراق دفاتر مدرسيّة وبعضها مظاريف، (مثل قصيدة لوي مكيس) التي كُتبت على مطروف بُني من النوع الكبير. وكما يستنتج غيلان، فالسياب كان يكتبُ القصيدة فور اكتمالها في ذهنه على أيّ ورقةٍ تتوفّر أمامه، ثمّ ينقل القصائد إلى دفتر خاصّ يرسله إلى الناشر حين يفكر بنشر ديوان جديد.

الورقة تضم قصيدة غير مؤرخة، ونرجّح كتابتها في الفترة الأخيرة من حياة الشاعر، بدلالة مطلع المقطع الثاني منها: «كسيح أنا اليوم..»، وهي آخر مراحل مرض السيّاب حين بات لا يقوى على السير.

وتزخر القصيدة بالعناصر الايقونية لشعر السيّاب: الحب، الحنين إلى جيکور والطبيعة الأولى، معاناة المرض، وخيط الأسى الممتد بين الطفولة والنهاية المأساوية. وفيما بدت خطوط الشاعر في المقطع الأوّل مناسبة وسلسة فإن توتراً واضحاً طرأ عليها في المقطع الثاني من القصيدة حتى كأنه كُتب بعد فترة زمنية، وهذا محض ظن يحتاج إلى تمحيص.

وقبل فترة وجيزة من دخول المجموعة الكاملة إلى المطبعة، وجدت ورقة ثانية بين الأوراق الثمينة، كانت اكتشافاً جديداً مذهلاً، قصيدة أخرى لم تنشر سابقاً كانت ضمن مخطوطات ديوان «منزل الأقتان» في مكتبة الشاعر. ويبدو أن السيّاب استثنى القصيدة من الديوان وقتها أو أجل نشرها. هكذا قمت بتحقيق القصيدتين/الاكتشاف وإلحاقهما بمتن الشاعر، لتكونا ختاماً (جديداً) يليق بتجدد السيّاب الدائم،

وهل للشعر ختامٌ وخاتمة؟

أخيراً، توسّع قصائد هذا الفصل دائرة الضوء على مراحل مختلفة من تجربة السيّاب الشعرية، وعلى الرغم من عدم نشرها في دواوينه، لأي سبب كان، فهي تحتفظ بقيمتها الفنية والتاريخية، وإن اختلفت على ذلك الآراء. ولا يستطيع أحد الجزم بموقف السيّاب من نشرها، لذا فأنا نقدّمها، في هذا الفصل، لإفادة البحّاث والدارسين لتجربة الشاعر،

وحفظاً لها من الزمن والإغفال، ونأمل بتوثيق هذه القصائد تعميق شمولية
الطبعة الجديدة لكل نتاج السيّاب غير المعروف والذي يبقى مفتوحاً لأيّ
كشوفات جديدة.

ع.م.خ

نبوءة حزينة⁽¹⁾

الظلالُ المقمراتُ الشُّحْبُ
والسكونُ الخائفُ المضطربُ
غابةٌ تكلّى... وأشباحٌ حزاني..
وجذوعٌ كلها كانت زمانا
وجذوعٌ في غدٍ تلتهبُ...
ورياحٌ سوف تذرّوها دخانا
...

والفراشات النقيات الظمأُ
خفقةٌ بيضاء وشّاهَا بنجمين المساء
المساءُ الأسمُرُ المعطار.. وارتجت ليالي
في قرار القبة السوداء.. تهوي كالظلال
وربيعٌ وخريفٌ وشتاء
وجناحٌ باردٌ فوق الرمال.

(1) نشرت في جريدة «الرفأ» البصريّة، ثم في ملحق جريدة «الجمهورية» العدد 20 بتاريخ 25 / أيار / 1980. (م)

وتصافحنا.. وظلان.. وظلان.. ونور
 ويدٌ.. في غرفةٍ زرقاء.. والنجم الصغير
 أوقد الشباك.. فامتدت يدٌ من كلِّ باب؟
 وابتسام.. رنَّح الأهداب، مجهول الرغابِ
 واحتراق.. وانطفاء واحتراق.
 ونجوم وفراق⁽¹⁾

«أنا لا أهواك» «لا. أمضي» سأمضي في زهول
 «سوف تأتين» وأقدام على نور الأصيل..
 بعد يومين.. غداً.. حان اللقاء
 أمس ماذا كان؟ أيام بطاء
 وحديثان.. وصُبح.. ومساء.
 أكذا الحب؟ أحاديث ملولٍ لملول.
 الهوى.. كالغابة السوداء.. أشباح حزاني
 ورياح سوف تذروها دخانا..
 وفراشات على الحقل ظماء..
 وخريف.. وشتاء

(1) سقط هذا البيت من القصيدة في كتاب «بدر شاكر السياب مقدمات وصفحات نادرة»، على الرغم من وروده في مخطوطتها، لذا أوردته في تحقيقها الجديد. (م)

وتصافحنا.. وغمغمنا وداعا..

ووداعاً.. ووداعاً.

رقصة الموتى.. وأنغام تخطين الفناء

والشحوب الرَّاعِبُ المكسوفُ يُلقيه الهلال

في رقاد الليلة العشرين.. حزناً لا ضياء

وكؤوس لثمتهنّ الظلال

.. حطمتها قبضة سكري.. ومرّت مقلتان

بالشظايا؟ وتوارى عاشقان

عودة من الموت⁽¹⁾

وطرقتُ بابَ الموت.. ثمّ وقفتُ أنتظرُ الجواب
لا شيء غير صدىٍ يعود إليّ في الصمتِ العميق:
أنا والدجنة والطريق
خَفَقَ الغبارُ عليه من همس الصدى.. ما انفكّ باب
ما انفكّ بابٌ في الظلام، ولا تأوّه
عنده إلّا التراب.

ورجعتُ أسحب من خطاي كأنها العبء الثقيل
أطوي الدروب وأستغيث لعلّ نافذة تُضاء
فيها ووجهاً من هناك يُطلُّ، وجهاً كالسماء
يروي صداي، لعلّ ضوءاً يومض الدرب الطويل
مما يقول، كأنّ برقاً فيه: «أهلاً بالمسافر حين جاء»
وانشَقَّ بابٌ كالرجاء

(1) نشرت في مجلة «الرافد» الإماراتية العدد 28 الصادر في تشرين الثاني 1999. (م)

حلم رمته الذكريات كجدول عكس النهار
لا باب يَفْتَح والنوافذ مظلمات كاللحدود
يا ليت أنك يا وفيقة.. آه يا شلال دود
جرفَ القرون، طوى شراعاً من شواطئ صور طار
يا ليت أنك يا وفيقة تفتحين لي الحدود
ما بين عالمنا وعالمك المقنّع بالغبار!

* * *

قاسٍ هو الدم في العروق، وكالفلاة هو العراق
الحقد أثمر فيه والحسدُ الممزق والنفاق.
أواه لو وقفَ الزمان، بقيت تحت يد الطبيب
مثل المسيح على الصليب
تاج من الأشواك يعصبُ مفرقي ودُم صبيب
من عالم الموتى رجعتُ أجرٌ ساقاً بعد ساق
ليروح يحسبني الرفاق
قايلاً يُبعث أو يهوذا... شقّ أسوار اللهب!

أغنية إنسان متحضر⁽¹⁾

مشدودة عيناه، مشدودة رجلاه والأذن إلى النور

(لا شمس أو نجمة

أو قمر تكشفه غيمه)⁽²⁾

معبودنا.. نور من الكهرباء

تهدى قرابين الدنانير

إليه في أصبحنا والمساء.

يا ضارباً في الطور، يا سامعاً في الرعد صوت الله

عوفيت، هذا وجهه عندنا يسطع⁽³⁾

ونحن لا نسجد أو نركعُ

وإنما نذبح أعصابنا

(1) سيطالع القارئ مخطوطة هذه القصيدة في ملحق رقم (3) الخاص بمخطوطات الشاعر. (م)

(2) وجدها في كتاب «بدر شاكر السياب مقدمات وصفحات نادرة»: (الغيمة)، والأصح، كما في المخطوطة: غيمه. (م)

(3) ورد البيت، في المصدر السابق، على هذا النحو: عوفيت، هذا وجهه، وعندنا يسطع. (م)

للربّ واويلاه

من ربنا القاسي
 فإنه يصعق أو يحرق
 يتركنا في الليل، إذ تملأ الأسماع صفارات حراس
 لا نعرف العدّ، وقد ينطق...
 ينقل أخباراً عن الحرب:
 السور بين الشرق والغرب
 يفصل يأجوج ومأجوج (إذا جاعا) عن الناس...
 لكن إنساناً، وقد ثار وفي أعماقه الداميه
 ما يجعل الإنسان إنسانا
 ألقى من السور ذراعيه في دوامة الهاويه⁽¹⁾.
 ومات جوعانا.

...

(1) وردت، في المصدر السابق: وفي دوامة الهاوية. (م)

مشدودة عيناه بالنور
فالنور هاوية إلى الدرهم...
(الخبز منه والطفى للقم
والدفء في أعراق مقرر)
أليست الجنة زهراً وماء
وما يشاء المرء من فاكهه...
فهذه الجنة يا أغبياء
لا عالم تصنعه الآلهة

لندن 1/27 / 1963

قصيدة بلا عنوان

ألقيْتُ على حجر السلم
 جسمي المكدود.
 ومددتُ إلى الباب الموصود
 وعيوني مغمضة تحلم
 يمنيائي.. فأرجعها قلقي
 هل أطرق؟ همس مذعور
 هل أرجع يأس موتور
 مصباح يُعوزه النور.

الساعة تضرب في حنق
 والصمت عميق
 الصمت عميق
 الصمت عميق
 والنجم في الأفق النائي

يخبو ويغور

والشوق يزلزل أعضائي

والرغبة في شفتيّ تثور.

أأبوح.. وأصرخ بالباب

والسلم.. والنور الخابي

حطمتُ جدار الأحقاب

إني سأعود

إني سأعود.. مع الفجر

وأضّم الليل إلى قلبي

فأضيئي مصباحي المطفأ

وقفي

إني سأعود

سأراك على درج السلم

وذراعك ترفع مصباحا

في الليل المظلم، أو أحلم

أنني سأعود
وسنرقى السلم أرواحا
ضاقت بالأرض وبالزمن
تقوياً خطاً على كفن
وتلاقت...
والصمت عميق.

قميصُ الردى⁽¹⁾

يا لهيبَ السّم في قلبي، وأعرافي ولّحمي
يا جحيماً دار رأسي منك، يا رمضاء جسمي
يا هجيراً في دمي يا موت يمشي في عروقي
الأفاعي كلّها التمتّ لتمتص الشباب⁽²⁾
من دمي، أي احتراقٍ من دجى في كلّ ناب
يا قميص النار، يا ثوب الردى، سرّ الحريق⁽³⁾

(1) روى لي السيّد غيلان السياب، عن خاله السيّد فؤاد طه العبد الجليل، الذي عاصر السياب وكان صديقه، أن هذه القصيدة يُرجّح أنها كُتبت بعد حادثة محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في 7 تشرين الأول 1959 وأن المعني بالقميص، هو قميص قاسم الملطخ بالدم بعد الحادثة. وبهذا فإن تاريخ كتابتها يكون بعد تاريخ الحادثة. والقصيدة نُشرت في كتاب محمد صالح عبد الرضا «بدر شاكر السياب.. مقدّمات وصفحات نادرة»، إلا أن أخطاء كثيرة اعترت تحقيقها الأوّل شملت بعض أسماء عناصر الأسطورة التي استخدمها الشاعر في القصيدة، فضلاً عن التباس بعض المقاطع وعدم الالتزام بتوزيع الأسطر الذي أورده الشاعر وسقوط بعضها، لذا قمت بإعادة تحقيقها على وفق مخطوطة زودني بها السيد غيلان، بخطّ الشاعر، وأدناه هوامش بالاختلافات بين النسختين. (م)

(2) كان هذا البيت، في المصدر السابق، على هذا النحو: «الأفاعي كلّها التمتّ لقمعي/ والشباب». (م)

(3) كان هذا البيت، في المصدر السابق، على النحو التالي: «يا قميص النار، يا ثوب الحريق». (م)

يا عدواً كالصديق،

يا رفيقي⁽¹⁾

أيها السهم الذي حازَ المنيا

من دم الهدرا⁽²⁾.. تصيدت الضحايا،

واغتدى منك الردى، من كل زاد،

فيم تمتصُّ بشدقٍ من فم الأفعى

فؤادي

أيها السهم الذي أهدى «لنيسوس»⁽³⁾ المنية

عدت، في هذا القميص النار، كالذكرى، اليه

القميص القانيء الدامي، دمارٌ وانتحار

القميص القاني المبتل نار،

خطه «نيسوس» فيما سال منه من دماء

مصّ⁽⁴⁾ كلَّ السمّ، كلَّ النار، يا شر رداء⁽⁵⁾

(1) كانت: يارفيق. (م)

(2) كانت: من دم العمر. (م)

(3) كانت: «لييموس». (م)

(4) كانت ضمّ.

(5) كانت: يا شر الرداء.

كلما حاولتُ أن أنزعه زاد التصاقا

كلما حاولت إطفاءً له زاد احتراقا

مت، يا أنت، اختناقا

حيثما وليت، لاقيت الصباح

في مساءٍ أو صباح

«يا قميص، يا قميص»

في المقاهي

يا قميص

في الملاهي

يا قميص

أنت يا سرّ الإله

كم نباهي

بالقميص

وهو من صوفٍ رخيص

إن أسر في الدرب، رنت أغنيات

صارخاتٍ معولات

يا قميص، يا قميص

أنت، كلّ الأمنيات

إنك الحرُّ الحريص
 إنك الفدُّ الَّذي يغدو خميص⁽¹⁾
 إذ يرى في الناس جوعى أو عراة
 أنت.. أشبهت الإله
 أنت رمز للحياة
 (أنت رمز الموت يا هذا القميص)
 في دروب البرد والجوع الطوال
 يهرع الموتى كأسراب النمل
 يزحمون الجو باللحن الرخيص
 يا قميص، يا قميص
 ويسدّون المدى
 بشعارات الردى
 كتبوا بالدم في كلّ كف
 أنت يا بكر الزمن
 أنت يا باب الوطن
 أيها السور المنيع
 أنت يا وجد الجميع

(1) كانت: قميص.

دون وصفٍ أنت، إذ لا شكل لك
 يا نسيجاً في قبور⁽¹⁾ الهالكين
 يا خيوطاً من دموع وأنين
 أنت يا نور الحلك
 أيها الثوب الذي ضمّ الأفاعي
 في خيوط منه، يا ثوب الخداع
 أنت إذ تأكل من لحم ذراعي
 وتبتّ الموت في قلبي. قميص من خداع
 يا حريقاً في اتساع
 يا نذيراً بالتداعي
 يا قميص
 سملت عيني⁽²⁾ في كلّ رصيف
 صورة شوهاء، لا بل ألف صورة
 يا سراجاً مصت⁽³⁾ الظلماء نوره
 طعنت بسمتك الصفراء، والوجه المخيف
 جبهتي بالنار، أدمت أغنياتني

(1) كانت: لقبور الهالكين.

(2) كانت: عيناوي

(3) كانت: محت.

يا فناءً في حياتي
يا قميص
السما
لم تجد يوماً علينا بالمطر
والمساء
لم يُفتح بابهُ نور القمر
والحفرة
تبلع الموتى وأفواه الضحايا⁽¹⁾
فاغرات للمنايا.
والزوايا
زينتها صورة الرب القميص

(1) سقطت الأبيات الثلاثة الأخيرة من القصيدة التي وردت في كتاب «بدر شاكر السياب..
مقدمات وصفحات نادرة» ولم تُذكر، وقد أوردتها كما جاءت في المخطوطة. (م)

غداً يحضنك الفجرُ

(قصيدة مشتركة)

بدر شاكر السَّيَّاب/ صالح فاضل الخصيبي

«مُهداة إلى الشاعر محمد علي إسماعيل»

أيها الروح الذي يشدو الدنى
ويغني فوق محراب الخلود
سلسل الأنغام في دنيا المنى
وابعث النشوة في قلب الخلود
أيها الروح الذي يشكو الضنى
ويواري الحلم في ليل السقام
هاجك الحبّ وأضواك العنا
أم طواك اليأس في دنيا الغرام؟
إستفق واسبح بآفاق الأزل
باسطاً أجنحة الحبّ الطهور
وانهل الفرحة في كأس الأمل

ساكباً في الكون أحلام الدهور
أيها الروح فقم غنّ القلوب
وانفض الأحران في الأفق البعيد
سبحت حولك أطياف الغروب
وغداً يحضنك الفجر السعيد.

سؤال

وبعد انتظارٍ قليلٍ السهاد
أتتني الرسالة
أتتني كما رفَّ من سندباد
شراعٌ على الموج ألقى ظلاله
أكادُ أحسُّ وراء المداد
بصوتكِ يلقي سؤاله:
أما زلتَ إن مسَّ نور الأصيل
رؤوس الروابي
ورقتَ تزقزقُ عبر السحاب
عصافير تنحطّ بين النخيل
تحنّ إلى كركراتٍ بعادٍ
تكسرن في ماء نهر يسيل
طوال النهار الطويل،
وأغنية عن ليالي البعادِ

«نأى الركبُ إلا خيالاً تميل

به الريح في كل وادٍ؟»

كسيحُ أنا اليوم... رهن السرير

وجيكور... من ذا يعيد الطفوله

سرى في دمي من رؤاها عبير

وأصداء منها طويله

أراني فتىً في رباها أظير

وأجبل من طينها في الهجير

خيولاً: تقحمن بي ليلَ غاب الرجوله

أبو زيدَ من بعض فرسانها الغاضبين

وهل كان عمري سوى محض طين؟

موعد⁽¹⁾

المدُّ في جَيِّكُور والجزرُ فيه
 كالموت والميلاد، مثل الشتاء
 والصيف. يا وارديه
 فلتذكروني كلما بلّ من حرّ الصدى في ساعة الظهر ماء!
 فاضت بطاغي مائه الضفتان
 فأغرقَ الدربُ.
 هذا هو الموعدُ يا حبُّ
 سيلتقي في ظلك العاشقان.
 في ساعةِ العصر إذا ما رجعت
 للبيت، نشوانا
 بالشعر والحبّ.. وما قد جمعت:

(1) هذه القصيدة وجدتها ضمن أوراق خطها السياب ضمت قصائد ديوان «منزل الأتقان»، تحديداً عقب ورقة دوّن عليها قصيدة «الشاهدة»، ويرجح أنها كتبت مطلع عام 1963 كما بدا من تواريخ القصائد الباقية. لم تنشر هذه القصيدة من قبل في أي ديوان كامل أو مجموعة شعرية، وتنشر لأول مرة في هذه الطبعة. (م)

زهراً وأعشاباً وأغصاناً،
 كانت على دربي
 جالسة فيه، فما من عبور
 إلا إذا طمّنت غرب الغرور⁽¹⁾
 وقلتُ: «يا عينيّ، يا قلبي
 أعطي طريقاً واسمحي بالمرور».
 يا عين، يا قلبي؟ وأين الخصام؟
 أخوض في الماء إلى الكعب
 دون التفاتي نحوها بالسلام!
 حبُّ الصبي ولى وولى صباي

(1) هكذا وردت في المخطوطة. الغَرْبُ: الحِلَّةُ. أخافُ عليه غربَ الشباب. أو في لسانه غربٌ. (م)

ملحق (1)

قصائد لم تُنشر في دواوين الشاعر

عَادَةُ الشَّوْقِ⁽¹⁾

عَادَةُ الشَّوْقِ وفاضت عبراته
 قلبٌ صَبَّ خَطَّت الذكري به
 كلما حاولَ صبراً لم يطق
 راعه أن مرّ بالحقل.. ضحى
 أُسْرَتْ بالقلب آهات النوى
 فإذا بالقلب لا يكتمها..
 فشكا البعدَ وهل تجدي شكاته؟
 لك رمزاً، رددته خفقاته
 أيطيقُ الصبر من غابت هناته؟
 فرأى البلبل تترى حسرته
 وقديماً أُسرته ذكرياته
 فتداعت من صداها جنباته

بفؤادي صاحبٌ رَقَّتْ سماته
 حركت نجواه في القلب لظي
 واحبيباه بنفسي ما ترى
 صَبَّرَ النفس عسى أن نلتقي
 وإذا بغدادُ لحنٌ للهوى
 تبعث النوحَ إلينا زفراته
 إن سقاء الدمع زادت شعلاته
 من عذاب شملثنا نكباته
 فإذا خالد تحلوا بسماته
 تملأ القلبَ نشيداً «فتياته»

26 مارس 1942

(1) وردت القصيدة في كتاب «رسائل السيّاب» جمع وتقديم ماجد السامرائي. (م)

الخريف⁽¹⁾

قاد الخريفُ مواكبَ الأيامِ فالدوخُ نايٌّ في يد الأنسامِ
تشدوبه ألحانها فتهزه بحديثِ خمرٍ عذبةٍ وغرامِ
أضفى على الورقاتِ صفرةَ عاشقٍ حُصِدَتْ مناهِ بمنجل الآلامِ
حتى إذا هتَفَ النسيمُ بلحنه حَنَّتْ لآلِفٍ في ربي الأوهامِ
فتخفُ أجنحةُ النسيمِ لحملها صعداً فتَهجرُ غصنها المتسامي
فإذا تبدَّدَ وهمها وتدافعتْ أشجانها في مهبط الأحلامِ
سقطتْ فكلُّ وريقةٍ قيثارُ مقطوعةُ الأوتارِ والأنغامِ
عبرتْ أغانيها الغناءَ وأصبحتْ توحى إلى الفئانِ بالإلهامِ
ولعلَّها رأتِ المروجَ أمامها عريانةً من ثوبِ عشبِ نامِ
قد أغمضتْ كَفُ الغناءِ زهورها وبكى الرعاةُ لوحدةِ الآكامِ
لا طيرَ يؤنسُها بمائجِ لحنه ويدفُ عبرَ فضاءها المترامي
فهوت تنبُّها.. ولكن لا يعي الأمواتُ لحنَ الحبِّ والتهيامِ
قد أصبحتُ كفنًا لآخر زهرة وُلِدَتْ على فمِ صيفها البسامِ
تلك الشواطئُ أين همَ رَوَّادُها كيف انثنوا عنها بقلبِ دامِ؟
فلقد ألمُّ بها وحيداً شاردأ لأعيدَ ذكرى سالفِ الأيامِ
مضنى أسائلها أيرجعُ ما مضى ويجودُ من أهواءِ بالإلمامِ؟

(1) وردت القصيدة في ص 12 من المصدر السابق. (م)

أرْدُ البحيرةَ أقتفي بضافها
رَقَدْتُ على أمواجه أحلامنا
وغدا يُرجعُ ماؤُها أنغامنا
لفراشة الوادي تودّع نورَه
وعلى جذوعِ الدوحِ من أيامنا
أثرٌ يخلدُها مع الأعوام

قدمرٌ مثلي بالبحيرة طائرٌ
حيرانٌ تدعوه الغصون فيثنى
ما زال ينشدُ في الربوع أليقَه
«ذهب الحبيبُ فأنت وحدك بعده
فلعلّ في الذكرى لقلبك سلوة
والموجُ يهمس في الضفاف بلوعة
فأشعةُ الفجر العذاري بعده
والفجرُ أبدلَ من شجيّ خريره
وجلا من الأفق البعيد مسارحاً
والروضُ أبدلَ من غناء طيوره
لنعب غربان تَبَعَثَ موحشاً
وتجاوبت بين المروجِ مَزهراً
كلّ يودّعُ ذكريات ربيعِه

فَقَدَ الأليفَ وعاد بالآلام
عنها ويضرب سادراً بهيام
فتجيبه الذكرى من الأيام:
تأوي وجرحك ليس بالملتام
ولعلّ في الذكرى ارتواء الظامي
«قد جفَّ نبُعُ الطلّ في الأكمام
ظمأى لينبوعِ الجمالِ السامي
بعويلٍ عاصفة على الآكام
للشُحْبِ تذرِعُ جوّه المترامي
وصياحِ قبرةٍ وشِدو حمام
بين الربى فطغى على أنغامي
ألحانها دمعُ الرعاة الهامي
فالذكرياتُ ثمالةٌ في الجام

مريضة⁽¹⁾

حبيبة القلب أضحى السقم رائدها
 وإن فرضاً على من كان يعذلها
 يا من يضمن عليها بالزيارة هل
 إن كنت قد همت حقاً فهي عاشقة
 أو كنت قد حدث عنها فهي باقية
 لا. لم أجد عن هواها فالقواد لها
 وهل أصدُّ وقلبي لا يطاوعني
 جفوتُ خوف رقيب بات يرصدنا
 مريضة؟ لك ربي يا (هويل) ولي
 مريضة؟ لم ينلك الداء واحدة
 مريضة؟ ورح قلبي كم يكيد له
 قرية منك داري والزيارة لا
 إذا انقطعت عن الدنيا فلي صلة
 فمن وفاء لها لو كنت عائدها
 أن لم تعاوده يوماً أن يعاودها
 ضنت عليك بقلب كان واحدها؟
 فهل تُعكّرُ يا هذا مواردها؟
 على هواك فهل تنسى محامدها؟
 والروح طوع يديها لن تعاندها
 وكيف كفري بمن قد كنت عابدها؟
 فإن تغافلُ بات القلب راصدها
 وللقلوب التي ضلت مقاصدها
 فالروح مثلك عاد الداء وافدها
 علمي بذاك وداء كنت واردها
 يا للحبيبة صعب أن أشاهدها
 بمن أحبُّ فكن يا قلب عائدها

(1943/1/15)

(1) وردت القصيدة في ص 19 من المصدر السابق. (م)

الشتاء⁽¹⁾

يا رَبَّ أُمْسِيَةِ أَظْلَلْ سَحَابُهَا الدنيا وعاد شتيتُهُ يتواءمُ
فَرَقْتُ إِلَيْهِ مِنَ الرِّيحِ مَغَازِلَ وغدت وشائِعُ قطره تتساجم
حَتَّى إِذَا سَطَعَتْ ذُكَاءُ بَنُورِهَا واستقبلتها للجمالِ عوالم
وَسَمْتُ مَعَ الْأَنْسَامِ فِي مِعْرَاجِهَا قطراتُ غَيْثٍ للشعاعِ بواسم
عَاجَتْ إِلَى الْقَطَرَاتِ مِنْ دُنْيَا السَّنَا غَيْدٌ عِذَارِي كَالظَّبَاءِ تَبَاغَمِ
وَلَجْتُ⁽²⁾ هُنَاكَ خَدُورَهَا وَاسْتَسَلَمْتُ للنومِ وَهَيَّ بِمَنْ تَحِبُّ حَوَالِمِ
فَإِذَا نَوَافِذُ كُلِّ خَذَرٍ أَطْلَعْتُ حلمًا تمد له الجناح نساءم
فَتَلَاءَمَتْ أَحْلَامُهُنَّ وَكَوْنَتْ قوسَ السحابِ ولم تزل تتلاءم
وَكَأَنَّمَا قَوْسُ السَّحَابِ وَقَدْ بَدَا أوتارُ قيثارٍ مضت تتنادم
فَتَقَارَبْتُ حَتَّى يَعْاودَ عَزْفُهَا مرح الأنامل بالملاحن عالم
هَذَا الشِّتَاءُ فَأَوْسَعُوهُ تَحِيَّةً فوراءه إِنَّ الرِّبِيعَ لِقَادِمِ

(1) وردت القصيدة في المصدر السابق. (م)

(2) وردت «تحترت» في النص المنشور في المصدر السابق ولا يستقيم الوزن الشعري مع هذه الكلمة، لذا استبدلناها بـ «ولجت» ويمكن استعمال «دخلت».

في الغروب⁽¹⁾

وقف المساء بضوئه المتغور تعباً على الشطّ الكئيب المقفر
والشمس في الأفق المزوق بالسناً كرة من اللهب الضئيل الأصفر
عقدت على ثبج المياه خيالها فجرى وسال كجدول متحدر
بل مثل درب بات يبسم للندى متألّقاً في جنح ليلٍ مقمر
الموج حفّ به فكان أزهرا برّاقة الألوان ذات تغير
درب لعاطرة النسائم والشذى ترتاده ولطرفي المتحير
ولأنجم الليل الحسان تجوبه وتخفّ فيه لأفقها المستعير

يا شمسَ عمري والمغيبُ تقاربتُ لحظاته متّاقفي وتصبري
هل تألفينَ وموج شعري لم يزل متواصلَ الوثبات لم يتكدر
من قبل أن تضعي على صفحاته درباً من الأنوار حلو المظهر؟
تمشي عليه من العطور جداولٌ ومن الخيال عرائس لم تبصر
وتُمرّغُ النسائم فيه جيئها وتجوبه نظراتُ كلّ محير
وتمرّ فيه من النجوم كواعبُ تسمو لآفاق الخيال المسكر
يا موجَ شعري في غدٍ أو بعده سيضيئ شطّك دربُ نورٍ فاصبر

(1) وردت القصيدة في ص 26 من المصدر السابق. (م)

وسحابة مَلَكَ النسيمُ زمامها بيضاء تخطر في وشاح أحمر
نفخت مَلَأَكَة الدجى بشراعها وطوته في أفق الغروب الأكر
وكأنها حسدتُ دُكَاءَ فحجَّبتُ بشراعها أَلَقَ الجبين المسفر
لَمْ يا سحابةُ تسترينَ ضياءَها أو ما كَفَّتْ حجب الغروب لتستري؟
الشمس ذاهبة فلا تتعجلي والأفقُ بين يديك فاسري واعبري
هي في الوداع وجئتها فحرمتها ما في الوداع من العزاء المثر
وبعثت لي ذكرى غسَلْتُ دماءها ونسيئها فوددتُ لو لم أذكر

قسماً بمن أذكرتني بوداعها لقد ابتعثتِ صبايتي وتحسري
هي ذي «لبابة» والقلوبُ تحفها من كلّ منكسر الجناح مسعري
جلستُ وما جلسَ الفؤادُ من الجوى وتبسمت فبكى ولم يتصبر
وهبتُ تحيتها لآخر غيره فبكى.. وقال لعلها لم تبصر
وقد اكتفى - لو أنصفته - بنظرة لكنها حرمته طيبَ المنظر
فتحجبتُ بسحابة من صحبها وتسترْتُ فصرختُ «لا تستري»
لو كان يسعفنيَّ البيانُ لصغتها مرثيةً لفؤادي المتفطر

الشعرُ والحبُّ والطبيعة⁽¹⁾

زهر وأنسام.. ولا أترنم
 لا النهر جفّ ولا الأزاهر صوّحت
 الزهر أيقظه توائبُ نسمة
 والنهر قيدت النسائم موجّه
 وعلى جوانبه النضيرة عادةً
 فإذا تراقصت الدوائرُ فوقه
 وأرى خيالي إن بكيت أفاده
 وإذا ابتسمتُ بدا خيالي باسمًا
 وإذا الدجى ركبَت متونَ مياهه
 ويزين صفحته النهارُ بضوئه
 ألا يوهج ماءه ظلُّ التي
 أيسرني - وأنا معاقرٌ وحدة -
 وإذا النسائم ما عبثنَ بشعرٍ منْ
 أنى التفتُ فلتحسر مبعثُ
 أيهز قلبي جدولٌ وبحيرةُ
 و (لبابُ) لم تطأ السهول ولا مشتُ
 أترى الطبيعة كلها لا تلهم؟
 فعلام صمتك؟ أيهذا الملهم؟
 وفراشة تحت الكواكب تحلم؟
 فهبوبه لهبوبها مستسلم
 ترميه بالحجر النثير وترجم
 مثل المباسم خلته يتبسّم
 شجنًا يردّ مياهه تتألم
 فإذا المياه من البشاشة تبسم
 غشيت ملاعبه الفساح الأنجم
 فإذا النجومُ زنابقٌ تتضرم
 أهوى فخير منه كفٌ مظلم
 إن الطيورَ قرائنًا تترنم؟
 ملكتُ هوايَ فليتها لا تنسم
 ومتى نظرتُ فللمدامع مسجم
 وأرى على قمم الربى ما يلهم
 فوق التلول حياءَ تتبسّم؟

(1) وردت القصيدة في ص 30 من المصدر السابق. (م)

أترى الطبيعة حركت من شاعر فمضى بدون هوى دعاه يهيم؟
وترى البحيرة ماءها وصخورها لولا تذكر (أو لغير)⁽¹⁾ - تتيم؟
والدُّ من شعر الطبيعة غنوة الحب في جنباتها يتكلم

15 - 7 - 1944

(1) ورد اسم «أو نغير» في كتاب رسائل السياب، وهو خطأ لأنجزم بمصدره لعدم الاطلاع على أصل الرسالة والأصح، «أولغير» حبيبة الشاعر الفرنسي «لامارتين»، التي وردت في قصيدته «البحيرة». (م).

قصةُ خصام⁽¹⁾

أسكري أنْجُمَ المساء الطروب وأتبعني ظلَّهن في الجدول السَّاجي،
 وارقصي حولهن حتَّى تذوبي واسرقي من لفائف البرعم الغافي
 وأشباحهن بين الدروب رنقا حول هدبه ثمَّ دَقَّا
 جناحين رُقْشًا باللهيب واصدحي في جوانحي يا أناشيدُ،
 في رؤاه فراشةٌ من طيوب ورقّي على شفاه الغيوب

الخصام الثقيل ألقت عليه واختلاج الشفاه تلقي سؤالاً
 ظلَّها ضمةُ التلاقي فزالا والعيون التي تظلل بالهدب
 غير ما تشتهي وتخفي سؤالاً والسكون الذي يللم أصدقاء
 اشتياقاً، ولهفةً، وابتهاالا والفراغ الذي يريد امتلاءً
 التحايا، وينسج الآمالا والظنون التي تخاف الملالا

كوكبٌ لاحَ، وانتظار تلاشى وصدى تعرفُ الظهيرةُ معناه
 في انتظار.. وضحكةٌ سوداءُ و«انتھينا» تهز في كفي الكأس..
 وكأسٌ يذوب فيها المساء وحزن كأنه استهزاء

(1) نُشرت القصيدة في مجلة "البيان" العراقية، في عددها 69، 70 - بتاريخ 15 أيلول 1949. (م)

انتھینا؟! اھکذا قالت السمراء؟
 انتھینا؟! اھکذا قالت السمراء؟
 هیہات! تکذب السمراء
 هیہات لن یكون انتہاء

إنه اللیل و«انتھینا» ہتاف
 والرؤی السود مائجت علی
 جذوة فی السماء كالشمس،
 وشفاه علی المدى شاحباً
 وجناحان یمسحان الشفاه الصفیر
 فی رقادی مفجع الأنغام
 جفن یبوح انطباقه بالمدام
 حمراء.. وظلّ مقنع بالظلام
 و«انتھینا» صدی وراء الغمام
 بالظلّ تارة والضرام

«سوف ألقاك» همسة من هوانا
 الرنین اللجوج.. والهاتف المصغی
 وانطلاق إلى اللقاء المرجّی
 وظلال الخصام ضاعت لديها
 لم تنزل توثق الشقیین حتی
 رددتها مع الضحی شفتان
 إلینا.. وغصة بالأمانی
 أنكرت فیہ غیظها قدمان
 «سوف ألقاك» وانطوت فرحتان
 حطمتها علی التلاقی یدان!

أمُ سجين في نُقْرة السلمان⁽¹⁾

في قلعة جُبِلْتُ حِجَارَتِهَا بدمِ القلوب وباردِ العرقِ
ظلماء يَلْهَث في مغاورها داجي الهواء لهات مختنق
وتعفن الزمن الحبيس لدى جدرانها طبقاً على طبق
وتلظت الصّحراء فاغرةً عنها فم المتثائب القلق
حيث النهار هجيرةٌ ودجى والليل غاشيةٌ من الأرق
قلب أعزُّ من الحياة على قلبي.. يلوك بقيّة الرّمق

ما كاد يخطر أمس في بالي أني سأشهد موتَ آمالي
إنني أمد يدي فيمنعني عن أن أضْمَكَ حائطُ عالٍ
أأرى النجوم ولست تبصرها إلّا خلال كُوى وأغلال
تحنو وتسطع.. مثلما خفقت في ركضها أقدام أطفال
وشواطئُ الأنهار ضاحكةٌ لك والسنابل والضحي العالي
وأظللُ أحلم ثمّ ينبئني كيف انتهت سريرك الخالي

(1) وردت القصيدة في كتاب غائب طعمة فرمان «الحكم الأسود في العراق» ص 61 - 62، من قصائد عام 1952. (م)

أفللسَّجون ولدُّته؟! أجرى
وضحكُ والحمى ترج دمي
لما استهلّ وأدرسته يدي
ليموتَ - أينع ما يكون - طوى
تلك العظام أكنت أطعمها
ليدَّكها نملٌ ويركلها
عريقي وزلزل جسمي الألم
والدمع في عيني يضطرم
ورأيت كيف تجسَّدَ الحلم
بئسَ القضاء وبئستِ النظم
لحمي، وأبنيها وأنهزم
بحدائِه المتجبرُ العرم

إنني اغتصبت من الردى ثمناً
حسبوه بخساً وهو لو علموا
إنني عرفت وقبلي اطلعتُ
أن ليسَ من ولد لوالدة
حتَّى يحرَّرَ حيثما سمعتُ
باسم السلام فداعبتُ فمها
لدم الشهيد ودمعي الجاري
وعد البذور بقطف أثمار
مقل الثكالي من كوى الثار
حتَّى يجندل كلَّ جزار
أم تدثر طفلها العاري
خلل الدموع طيوفُ آذار

العودة⁽¹⁾

إذا عدت من وحدتي واغترابي
أصيلاً نَ يوم حزين السحاب
حديقتنا فيه تنضج موتاً وصمتاً
وتنثر أوراقها في اكتئاب،
وأنت تلفين صمت الحديقة
على غمغمات الأسى في كتابي
تظلين منها بعينيّ (وفيقة)
على عالم خلف سور الحديقة

(1) نشر حسن توفيق هذه القصيدة في كتابه «أزهار ذابلة وقصائد مجهولة»، عن أصل منشور في جريدة «الأنباء الجديدة» العراقية بعددها الصادر بتاريخ 23 كانون الثاني 1965. وواضح أن المقطع الثاني من القصيدة هو ذاته قصيدة «حميد» الواردة في آخر دواوين السياب. ويرى توفيق أن ناجي علوش حذَفَ الأبيات من الأول إلى الثاني والعشرين (أيّ المقطع الأول من قصيدة العودة) ونشر الباقي في ديوان «إقبال» تحت عنوان جديد هو «حميد»، وأن القصيدة، في الأصل، واحدة واسمها «العودة» وهذا نصّها الكامل، ولم يتح لنا التأكد من صحة المعلومة. ومن يقرأ المقطعين الواردين هنا، يرى وكأنهما قصيدتان منفصلتان، وهذا أغلب الظن عندي، وقد تكون الجريدة ارتكبت خطأ طباعياً في إخراج القصيدة وأنها أساساً قصيدتين، وهذا محض احتمال أيضاً، لا نجزم فيه، وترك تقدير القصّة للقارئ. (م)

إذا عدت أعجز عن طرق بابٍ
 وعن صبيحةٍ، من بعيد، مشوقة
 تدحرجني عجلاً تدور
 كدوامة الماء / شُدِدْتُ بكرسي
 ألوذ عليه بنفسي
 - ويا لانكسار الهوى والحبور! -
 فلا تهتفي: (آه.. واحسرتاه
 تحطمت قبل انقضاء الشباب)
 فإني لأدري بأنّ الحياه
 قد استدرجتني إلى الفاجعة
 إلى هوةٍ، كالردى، من عذابٍ
 وإني أحاول نسيان ما بي
 وأتبع أحلامي الخادعة

«حميد» أخي في البلاء الكبير
 فقد كان مثلي كسيحاً
 يدب بكرسيه مستريحاً -
 تساءلت عنه فقالوا: «يسير

على قدميه فقد عاد روحا
لقد مات.. يا ويلنا للمصير
ينام ورجلاه مطويتان
شهوداً على الداء في قبره
إذا ما رأى الله رأي العيان
وقد سار زحفاً على صدره
فأي انسحاق وأيُّ انكسار
يشعان من عينه الضارعه
سيبكي له الله من رحمة واعتذار
وفي الساعة السابعة
إذا ذرت الريح ورد الغروب
سأجلسُ في الشرفة الخالية
ومن تحتي الدرب يخفق، ينأى، يذوب:
ألوف من الأرجل الماشيه
إلى أيّ مبعًى وراء الدروب
وخمارة في الدجى نائية!!
إلى اللغو والقهقهات الكذوب!!
والمح فيما وراء الظلال

حميداً وكرسيه في الخيال
فتخفني اللوعة الباكية
فأواه لو توقدين الشموع
لدى مسجد القرية المترب
تمد من النور خيطاً تعلّ فيه الدموع
ولو تضرعين، مع المغربِ
إلى الله: «يا ربّ رفقا بطفلي الصغير
وأبق أباه
وجنّبه، يا ربّ، هذا المصير!»
ولكنني متّ.... واحسرتاه!

ملحق (2)

مقدمات

مقدمة ديوان «أزهار ذابلة»⁽¹⁾

«للاستاذ الكبير رفائيل بطي»

حمل إليّ ثلاثة من الطلاب العراقيين الذين يتلقون العلم في الجامعة المصرية، مجموعة هي مادة ديوان لشاعر عراقي شاب، يطبع في إحدى مطابع القاهرة، وطلبوا مني تقديماً لها.

تصفحت هذه الأشعار، فعرفتني بناظمها أنه في عنفوان الفتوة، وقد ركب في طبعه الإحساس، واتقدت العاطفة في قلبه وأفعم ذهنه بالخيال، وأكثر ما اندفعت إنسانيته نحو (نصف الإنسان) الثاني.

وليس الشباب وحده مبعث الهوى الذي يعصف بفكره، بل إن الفتى مفطور على الانجذاب نحو عروس خياله، ولا أعتقد أن جهاده سيطول في الوصول إلى محجته، لأن الشعور هو الغالب على قواه الفكرية، فستضعف الأيام هذه الحدة، وتطورها التجربة، ويكفي أن يكون شعوره العام قد جعله لا يعي عمق الحياة، فأنطقه اللاوعي هذا الشعر وفي مذهب الشعراء الرمزيين: أن اللاوعي هو ذروة الوعي الذي يخلق الشعر الصافي والأدب الحي.

(1) النص الكامل للمقدمة التي وردت في الطبعة الأولى لديوان «أزهار ذابلة»، مطبعة «الكرنك» في القاهرة، 1947.

وبدر شاكر السياب بعد ذلك، تتلألاً الطبيعة والفطرة السليمة في كل ما يصدر عنه مسطوراً على الورق، فهو ابن الريف العراقي السعيد، يفسح أمامه الفضاء اللاحب، وتسمو ببصره باسقات النخيل، والصبية السمراء بنت «أبي الخصيب»⁽¹⁾ شغل فؤاده، وإن كان قد استعار لها مثلاً في بغدادية لعوب.

وهذا التمرد على الشعور الحبيس، قد تجلى عند الشاعر الغض الأهاب في مظهر آخر بحنوه على المضطهدين من الزوج، فخاطب المغنى الزنجي (روبسن) الثائر على الظالمين في أمريكا الذين يسومون بني جلدته خسفاً ويعدمونهم لغير ما سبب، فناشده «أن يملأ الكون اضطراباً وأمل أن ينبثق عن ليل هذا السواد فجر يترع الدنيا صفاء وسلاماً».

وهذا الانطلاق في نفس الفتى الحساس، قد جعله يرسل شعره على سجيته من غير أن يتقيد دائماً بتعابير رصينة أو قوالب تقليدية درج عليها صاغة القوافي الفحول في قديم الزمن وحديثه، فشعره من اللون الجديد في وادي الرافدين وهو غير مألوف عند من ينشدون الشعر عندنا، إلا أنه يتسم بميسم العصرية وإن خلا من الطلاوة أحياناً.

بل نجد الشاعر الطليق يحاول جديداً في احدي قصائده - هل كان حباً؟ - فيأتي بالوزن المختلف وبنوع في القافية، محاكياً الشعر الأفرنجي، فعسى أن يمعن في جرأته في هذا المسلك المجدد، لعله يوفق إلى أثر في شعر اليوم، فالشكوى صارخة على أن الشعر العربي قد احتفظ بجموده في الطريقة مدة أطول ممّا كان ينتظر من النهضة الحديثة.

(1) بلدة الناظم.

إن هذه الباكورة التي قدمها لنا صاحب الديوان تحدثنا عن موهبة فيه، وإن كانت روعتها مخبوءة في أكثر هذه البراعم - بحيث تضيق أبياته عن روحه المهتاجة - وستكشف الأيام عن قوتها، ولا أريد أن أرسم منهجاً مستقبلاً لهذه القريحة الموهوبة - لأن الموهبة الأصلية تتفجر وتفيض من غير أن تخضع للحدود والقيود، ولكن سير الشعراء تعلمنا أن ذوي المواهب الناجحين، هم الذين تعبوا كثيراً، وعالجوا نفوسهم بأقصى الجهد، وكافحوا كفاح الأبطال، حتى بلغوا مرتبة الخلود.

وإني أنتظر خرائد للشاعر المسحور، نستعذب تلاوتها، وتجلب لنا المتعة الذهنية وتسكب عراقنا فخراً، في عالم الشعر الحديث.

القاهرة في 31 تشرين الأول 1947

رفائيل بطي

مقدمة ديوان «أساطير»⁽¹⁾

ليس ما أكتبه الآن مقدّمة، إنما هي خواطر تتجاوب في نفسي، وأنا مقدم على وضع هذه القصائد، التي يحويها هذا الديوان، بين أيدي القراء. والقراء يختلفون في أذواقهم الفنية، وفي نظراتهم إلى الشعر وإحساسهم به؛ اختلاف شاعر عن شاعر، وأديب عن أديب، أو أكثر من هذا. ولهذا كان لزاماً علي أن أسجل بعضاً من هذه الخواطر، علها تعين على فهم هذه القصائد والانفعال فيها من صور وأحاسيس.

وأول ما يلتقي به قارئ هذا الديوان، نوع من الموسيقى، لا عهد به لأغلب قراء الشعر في العراق. لقد ثار أكثر من شاعر في كل بلد عربي، على تلك الموسيقى الرتيبة، التي تأثر الشعر العربي بها، وتناولت الثورة، في أول عهدها، وحدة القافية، ثم تعدتها إلى الأوزان فهجر كثير من الشعراء المجددين البحور الطويلة، واستعاضوا عنها بالبحور القصيرة، إلا في القصائد التي تستلزم الفخامة. وقامت دعوة إلى «الشعر المهموس» كان أول من قادها الأستاذ الكبير محمد مندور. وهناك فريق آخر من الشعراء، ثار على وحدة الوزن، منهم الشاعر الكبير المرحوم؛ إلياس أبو شبكة في «غلواء» و«إلى الأبد» وبعض القصائد من «أفاعي الفردوس» والأستاذ

(1) نشرت هذه المقدّمة مع الطبعة الأولى لديوان «أساطير»، مطبعة الغري الحديثة في النجف، 1950. وقد حذفها الشاعر لاحقاً حين دمج «أساطير» مع مجموعته الأولى «أزهار ذابلة». (م)

خليل شيبوب في قصيدته «القصر القديم والحديقة المهجورة»؛ وشعراء آخرون. ولكن الانتقال من وزن إلى وزن سواه، كان كثيراً ما يسبب «نشازاً» في الموسيقى لا تقبله الأذن الحساسة. وللاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي، بحث ممتع عن الموسيقى في الشعر الحديث، في كتابه القيم «الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث» نود للقارئ أن يرجع إليه.

وقد لاحظت من مطالعاتي في الشعر الإنكليزي، أن هناك «الضربة» وهي تقابل «التفعيلة» عندنا، «مع مراعاة في خصائص الشعرين من اختلاف» و«السطر» أو «البيت» الذي يتألف من ضربات مماثلة في النوع للضربات الأخرى في بقية الأبيات، ولكنها تختلف عنها في العدد «في بعض القصائد» وقد رأيت أن من الإمكان أن نحافظ على انسجام الموسيقى في القصيدة، رغم اختلاف موسيقى الأبيات، وذلك باستعمال «الأبحر» ذات التفاعيل الكاملة، على أن يختلف عدد التفاعيل من بيت إلى آخر. وأول تجربة لي من هذا القبيل، كانت في قصيدة «هل كان حباً؟» من ديواني الأول «أزهار ذابلة» وقد صادف هذا النوع من الموسيقى قبولاً عند كثير من شعرائنا الشباب، أذكر منهم الشاعرة المبدعة الآنسة «نازك الملائكة».

وهناك شيء من الغموض في بعض القصائد؛ ولكنني لست شاعراً رمزياً وقد كنت مدفوعاً إلى أن أغشي بعض قصائدي بضباب خفيف، وذلك لأنني كنت متكتماً، لا أريد أن يعرف الناس كل شيء عن حبي الذي كانت كل قصائد هذا الديوان صدى له؛ فقد كانت «موحية» هذا الديوان، تغضب أشد الغضب، إذا أنا ذكرت شيئاً عن قبلاتنا ومواعيدنا، وكثيراً ما مزقت بعض القصائد التي كانت تشير إلى شيء تأبى هي أن يعرفه الناس.

وقصيدة «أساطير» تكشف عن «العقدة» في هذا الحب، ولكنها توشحت ببعض الغموض الذي تزيله المقدمة الثرية لهذه القصيدة، وكذلك الحال في قصيدة «اللقاء الأخير» ولولا أنها خانت هذا الذي كانت تسميه «النبى الوديع» لظلت هاتان القصيدتان غامضتين، دون مقدمة يفهم منها القارئ ما أقصده.



وهناك ظاهرة أخرى في هذه القصائد، هي تنادي المعاني وتداعيتها، ومزج الوعي باللاوعي، وتلوين الأمل بالذكرى، وهذا يظهر في القصائد: «في القرية الظلماء»، «في السوق القديم» و«نهاية»، «لقاء و لقاء»، و«اتبعيني» وغيرها.

ولا بد من أن ألقى ضوءاً على موقفى من المرأة وإحساسى تجاهها، لىتم الفهم على وجهه الأكمل:

فقدت أمى وما زلت طفلاً صغيراً، فنشأت محروماً من عطف المرأة وحنانها. وكانت حياتى، وما تزال كلها، بحثاً عن تسد هذا الفراغ، وكان عمري انتظاراً للمرأة المنشودة، وكان حلمي في الحياة أن يكون لي بيت أجد فيه الراحة والطمأنينة. وكنتُ أشعر أنني لن أعيش طويلاً؛ لهذا وجب على القارئ أن يربط بين «رثة تمزق» وكثير من قصائد الديوان.

وهناك ظاهرة لعلها أهم الظواهر في هذا الديوان، تلك هي أن البيت ليس وحدة للقصيدة. فالمعنى يتسلسل من بين بيت إلى آخر، سالكاً عدداً من الأبيات. لهذا وجبت مراعاة «علامات الترقيم» وإلا تعذر فهم القصائد، ومن بعد تذوقها.

وقبل أن أختم هذه المقدمة، لا بد من التعرض لمشكلة كثيرا ما ثار حولها الجدل، تلك هي رسالة الفنان في المجتمع. أنا من المؤمنين بأن على الفنان ديناً يجب أن يؤديه لهذا المجتمع البائس الذي يعيش فيه.

ولكنني لا ارتضي أن نجعل الفنان - وبخاصة الشاعر - عبداً لهذه النظرية، والشاعر إذا كان صادقاً في التعبير عن الحياة في كل نواحيها، فلا بد من أن يعبر عن آلام المجتمع وآماله دون أن يدفعه أحد إلى هذا.

كما أنه من الناحية الأخرى يعبر عن آلامه هو، وأحاسيسه الخاصة التي هي في أعماق أغوارها، أحاسيس الأكثرية من أفراد هذا المجتمع. وبالإضافة إلى ديوانين من الغزل أصدرتهما «أزهار ذابلة» وهذا الديوان؛ لا تزال لدي مجموعة ضخمة من الشعر الاجتماعي والإنساني ستطبع في المستقبل القريب.

وبعد فهذا قليل من كثير، مما أردت أن أقوله، وأرجو أن تسمح الظروف فأقول في فرصة أخرى، ما فاتني قوله الآن.

بدر شاكر السياب

مقدّمة «فجر السلام»⁽¹⁾

لا أظنّ أنّ بي حاجة إلى شرح أهداف حركة السلام ومراميها وتبيان خطوطها العامة، فذلك ما تولاه الكثيرون من قبلي وما سيتولاه الكثيرون من بعدي، وما جاءت هذه القصيدة تعبر عنه بالمقدار الذي يستطيع أن يشرح به ويبيّن دون أن يفقد كونه شعراً، ولكن لي رأياً واحداً أوّداً أن أقوله، رأياً يلّمسه القارئ في المقطع الأوّل من هذه القصيدة.. إنّ الصراع بين الشرّ والخير، بين الموت والحياة، بين قابيل وهابيل، منذ أقدم الأزمنة، وقد تبلور الآن في هذه الحركة حركة السلام العالمي... فانقسم العالم اليوم لا إلى آشوريين ومصريين ولا إلى يونان وفرنس، ولا إلى مسيحيين ومسلمين، ولا إلى دُول متقدّمة ودول متأخرة، ولا إلى شيوعيين ورأسماليين، كما كان يحدث دائماً، وإنّما انقسم إلى شيء أعمّ من ذلك وأشمل وأحفل بالروح الإنسانية كما عبّر عنها بوذا والمسيح ومحمّد وجميع الأنبياء والمصلحين منذ أقدم العصور حتّى الآن.. انقسم العالم إلى أختيار وأشرار. والأختيار كلهم على اختلاف أجناسهم ولُغاتهم وأديانهم وعقائدهم السياسية، في معسكر واحد هو معسكر السلام، والأشرار كلهم في معسكر آخر هو معسكر أعداء السلام. فإنّ كنت ممّن لا يريدون الموت لهم ولآبائهم

(1) نص مقدّمة السياب التي كتبها للقصيدة ونُشرت في مجموعة «هديل الحمام» من إعداد باقر الموسوي، من دون تاريخ. (م).

وأُمَّهَاتِهِمْ وَأَطْفَالَهُمْ، والدمار والخراب لمساكنهم وحقولهم وجوامعهم وكنائسهم ولا يريدون الجوع وقنابل الذرة والجراثيم والنبالم، فأنت من هذا المعسكر الخيّر، معسكر السلام وما عليك إلا أن تعم في خدمة هذه القضية، في سبيل نفسك، في سبيل أطفالك في سبيل كلّ الناس الذين تحبهم، إن كنت ممن لم يعملوا في خدمة هذه القضية المقدّسة، قضية السلام العالمي.

والآن أودّ إلقاء بعض الأضواء على أجزاء هذه القصيدة لأكون قد أدّيت الرسالة كاملة على أتمّ وجوها:

فالمقطع الأوّل «لا شهوة الموت... فدولار» يتحدث عن يد الشعوب، هذه اليد الخيرة التي كانت - منذ البدء - مصدر السعادة والرفاه، والتي أزهدت وستزهد أنفاس الطغاة، ثمّ يتحدث عن تجار الموت والحروب ويتساءل: أما كفاهم أنّهم يستغلّون دماء الناس قطرةً فقطرة، فيريدون الآن إهراق تلك الدماء مرّةً واحدة، في حرب ماحقة؟ نحن نعتقد أنّ في الإمكان أن يعيش النظامان الشيوعي والرأسمالي معاً، دون حاجة إلى الحرب.

... والمقاطع القصيرة التالية له واضحة لا تحتاج إلى شرح. أمّا المقطع الذي يليها «وانداح من لجة الليل... واكفهرّ الوجه فانقلبا»: فهو يتحدث كيف أقبل من لجة الليل، الذي أصبح شاحباً لأنّ فجر الحرية والعدل والسلام قد أوشك أن يُشرق، كيف أقبل من ذلك الليل، فمه مغفور، فم الحرب الذي يريد ابتلاع الحرث والنسل، والذي يذكر الناس بمقبرة تنظر منها عيون الموتى.. عيون ضحايا الحروب منذ أقدم الأزمان وكأنّها تتساءل: من كان السبب في هذا المصير الذي انتهينا إليه؟ إنهم دعاة الحرب الذين يريدون أن يفرضوا عليكم الآن هذا المصير نفسه، ويعود

المقطع المبتدئ بـ (ظل لقابيل) إلى معاودة الحديث عن القنابل الذرية، ويصف تأثيرها على طفل رضيع، وعلى شيخ، وعن اليد المجرمة التي تهدد العالم بهذه القنابل.

ولكن لا داعي إلى اليأس.. فهناك أيدٍ أخرى تطلُّ من الأفق المشرق تبشّر الناس بالسلام، والأبيات «وتطل...» إلى «بأعين تندي إخاء» واضحة مفهومة.

عن المقطع التالي لها «ليلة العبودية النكراء» فهي تصوّر كيف آذن ليل الظلم والعبودية على الزوال، لفعل الحركات التحررية الوطنية في آسيا وأفريقيا في فيتنام وبرما والملايو، وإيران وتونس والجزائر... وكيف أراد الظالمون، وقد رأوا صرح بغيمهم يتفطر ويتصدّع، أن يذيبوا أجساد الناس لكي يجعلوا منها طيناً أو غراء يُلحمون به هذه الصدوع وكيف هبّت أعاصير الشعوب فقذفت النار في أوجه مشعلها وردّ كيد الظالم إلى نحره. إنّ حركات الشعوب في سبيل استقلالها وتحرّرها الوطني وجلاء الجيوش الأجنبية من أراضيها، وعدم السماح للمستعمر بأن يتخذ من بلدانها رأس جسر للحرب يقيم قواعده العسكرية ومطاراته الحربية فيه.. هذا كلّ جزء متمم لحركة السلام.

اللهم اشهد أنّي رأيت منكراً فآليت على أن أغيّره وأحاربه بيدي ولساني وقلبي!

الشاعر الحديث⁽¹⁾

لو أردت أن أتمثل الشاعر الحديث، لما وجدت أقرب إلى صورته من الصورة التي انطبعت في ذهني للقديس يوحنا، وقد افترست عينيه رؤياه، وهو يبصر الخطايا السبع تطبق على العالم كأنها أخطبوط هائل.

والحق أن أغلب الشعراء العظام كانوا طوال القرون، أنماطاً من القديس يوحنا. من دانتني، إلى شكسبير، إلى غوته، إلى ت.س.إيليويت وايديث ستويل.

وإذا تذكرنا أن الدين والشعر نشأ توأمين، وأن الدين كان، وما يزال، وسيلة يستعين بها الإنسان لتفسير ظواهر الطبيعة وقواها الغامضة ولاسترضاء هذه القوى المجهولة من جهة، ثم لتنظيم العلاقات بين البشر من جهة أخرى، أدركنا أن تفسير الحياة وتنظيمها، أو تحسينها بالأحرى، ظلاً، طوال أجيال عديدة، من أهم أغراض الشعر وأهدافه.

وكما تلاشت الحدود بين الغاية والوسيلة في الدين، تلاشت هذه الحدود في الشعر أيضاً. فنحن نؤمن ونتدين لا سعيّاً وراء فائدة دنيوية،

(1) زار السياب بيروت بدعوة من مجلة «شعر» ربيع عام 1957، وأقام هناك أمسيات شعرية ولقاءات صحافية، منها المناسبة التي هيأتها المجلة للشاعر في المنتدى الكبير للجامعة الأمريكية في بيروت، وقد ألقى فيها مختارات من شعره قدّم لها بهذه الكلمة التي نضع نصّها الكامل. (م)

ونحن نقرأ الشعر لا بحثاً عن متعة مادية. ولكننا نعلم أن الدين غاية نبيلة وكذلك الشعر.

وقد حاول الشاعر، المرة تلو المرة، أن يتملص من الواجب الضخم الملقى على كتفيه: تفسير العالم وتغييره. ولكنها محاولات لم يكتب لها ولن يكتب لها أن تنجح أو أن تستمر. فتهاوت مدارس وحركات شعرية بكاملها، غير مخلفة سوى شاعر هنا وشاعر هناك، لعل لهما من القيمة التاريخية أكثر مما لهما من القيمة الفنية.

من رأي الشاعر الناقد الإنكليزي الكبير ت. إس. إليوت أن الشاعر العظيم يُزعج قارئه، أكثر مما يبهجه. إن قراءة قصيدة عظيمة نوع من أنواع المخاض، من أنواع الميلاد. ولن نولد إلا من خلال الألم. أنه ميلاد الروح.

إننا نعيش في عالم قائم، كأنه الكابوس المرعب. وإذا كان الشعر انعكاساً من الحياة، فلا بد له من أن يكون قائماً مربعاً. لأنه يكشف للروح أذرع الأخطبوط الهائل، من الخطايا السبع، الذي يطبق عليها ويوشك أن يخنقها. ولكن ما دامت الحياة مستمرة، فإن الأمل في الخلاص، باقٍ مع الحياة. إنه الأمل في أن تستيقظ الروح. وهذا ما يحاوله الشعر الحديث.

وهناك مظهر مهم من مظاهر الشعر الحديث: هو اللجوء إلى الخرافة والأسطورة، إلى الرموز. ولم تكن الحاجة إلى الرمز، إلى الأسطورة أمس مما هي اليوم. فنحن نعيش في عالم لا شعر فيه، أعني أن القيم التي تسوده قيم لا شعرية، والكلمة العليا فيه للمادة لا للروح. وراحت الأشياء التي كان في وسع الشاعر أن يقولها، أن يحولها إلى جزء من نفسه، تتحطم واحداً فواحداً، أو تنسحب إلى هامش الحياة. إذن فالتعبير المباشر، عن

اللاشعر، لن يكون شعراً فماذا يفعل الشاعر إذن. عاد إلى الأساطير، إلى الخرافات التي ما تزال تحتفظ بحرارتها لأنها ليست جزءاً من هذا العالم: عاد إليها ليستعملها رموزاً، وليبني منها عوالم يتحدى بها منطق الذهب والحديد. كما أنه راح، من جهة أخرى، يخلق له أساطير جديدة، وإن كانت محاولاته في خلق هذا النوع من الأساطير قليلة حتى الآن.

غير أن هناك فئة من النقاد والشعراء، ما تزال ترى أن في الإمكان التعبير عن هذا العصر، تعبيراً مباشراً. وهناك الكثير من القصائد التي عبرت عنه بصورة مباشرة، دون أن تفقد ماهيتها كشعر.

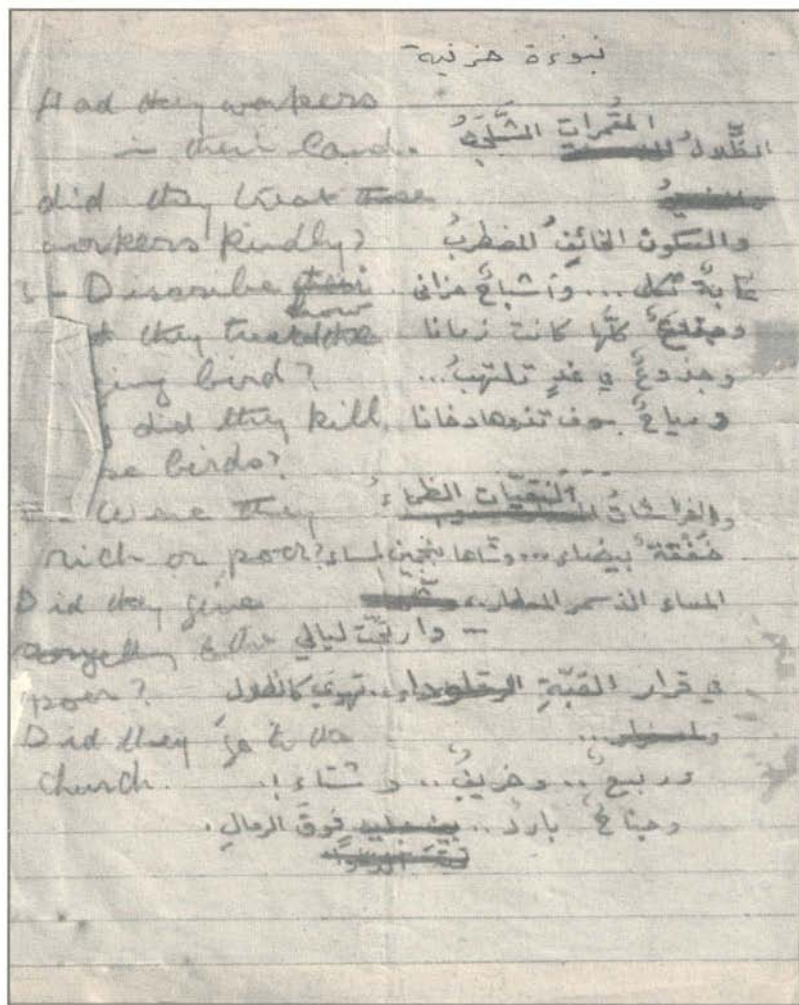
وقد تأثر الشاعر العربي الحديث بكل هذه التيارات، لأنه فتح نوافذ بيته جميعاً، لكل الرياح. وفي الوقت الذي فقد فيه التافهون من الشعراء شخصياتهم، وأصبحوا مجرد مقلدين لهذا الاتجاه أو ذاك، نجد نخبة طيبة من الشعراء المحدثين، تدرك أن الاقتباس غير التقليدي، وأن العالم كله، لا قيمة له، إذا ربحناه، وخسرنا نفوسنا.

وعلى كل حال، فما زلنا في بداية الطريق، ما زلنا نحاول ونجرب، وقد ننجح في هذه المحاولة وقد لا ننجح. ولكننا واثقون من شيء واحد: أننا سنمهد الطريق لجيل جديد من الشعراء، سيجعل الشعر العربي، مقروءاً في العالم كله.

ملحق (3)

قصائد بخط الشاعر

أسمع يكي ، ياديني
 في ليلى المستوحش القفا
 يدعو: « أبي ، كيف تخليتي
 وعدي ، بلا عارس ؟ »
 غيد ، لم أهرتك عن قصيد...
 الداء يا غيدون أخصاني ،
 عرواني لأدبكي شدا أنت تبكي ، في الرطب وحره
 ويشترى الليل الحزاني ،
 فكلما مر ~~حزاني~~ ، وجاء
 ليلى من البرد
 القيتي أحب ما ظن في جيبتي من النقد
 أشرت هذا القليل الفاء ؟
 أظرت الباب على الموت في دهن ممتلئ
 في البرد والظلماء والصمت ؛
 أظرت الباب على الموت
 في برهة طال انتظارها بها في تعب من دماء
 وأرسل الطرخا
 فلا أرى إلا الدجى والحواء .



راقب منه، والطلح ~~والعلم~~
 والدفء في لم أتمرك مقور
 ألسنة الحنة زهراً وما
 وما شيا المرء من خاتمه...
 ويحفظ
 منه الحنة يا أغنياء
 له عالم يقضه القهقهة
 لنك ٦٣/٢١

أغنية ناث متحضر
 مشددة عنياه، مشددة عليه، والأذن إلى النور
 رلدشاً وشمه
 أو قمر كشفه عنه
 معبودنا نور من الدنيا
 نعتقه قرابين الدنا
 البه في أصابعنا والماء
 يا ضارباً في الطور، يا ساعاً في الزمهرير الله
 عوفيت هذا وجهه عننا يطرح
 ونحن لندشاً ونزك
 وانما نذكر أصابعنا قشور
 الرب وأولده

من ربنا القاسم
 فانه يصعق أو يحرق في السماع
 يركنا في الليل ~~بصيص~~
 لندفء القدر، وقد يهتق...
 فيقول أخطأ عن الحربة
 النور بين الشرق والغرب
 نصل ما يوجع وما يوجع الجماعة عن الناس...
 كن انثناً وقد ثاب في المحافة الدائمة
 ما قبل الدلائل الأنا
 ألقى من النور ذراعاً في دوامة الجوز
 ومات جوعاً
 مشددة عنياه بالنور
 كالنور هاربة إلى الدوم...

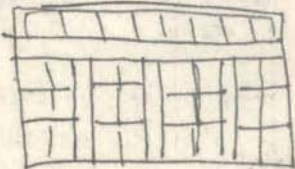
قصيدة من درم

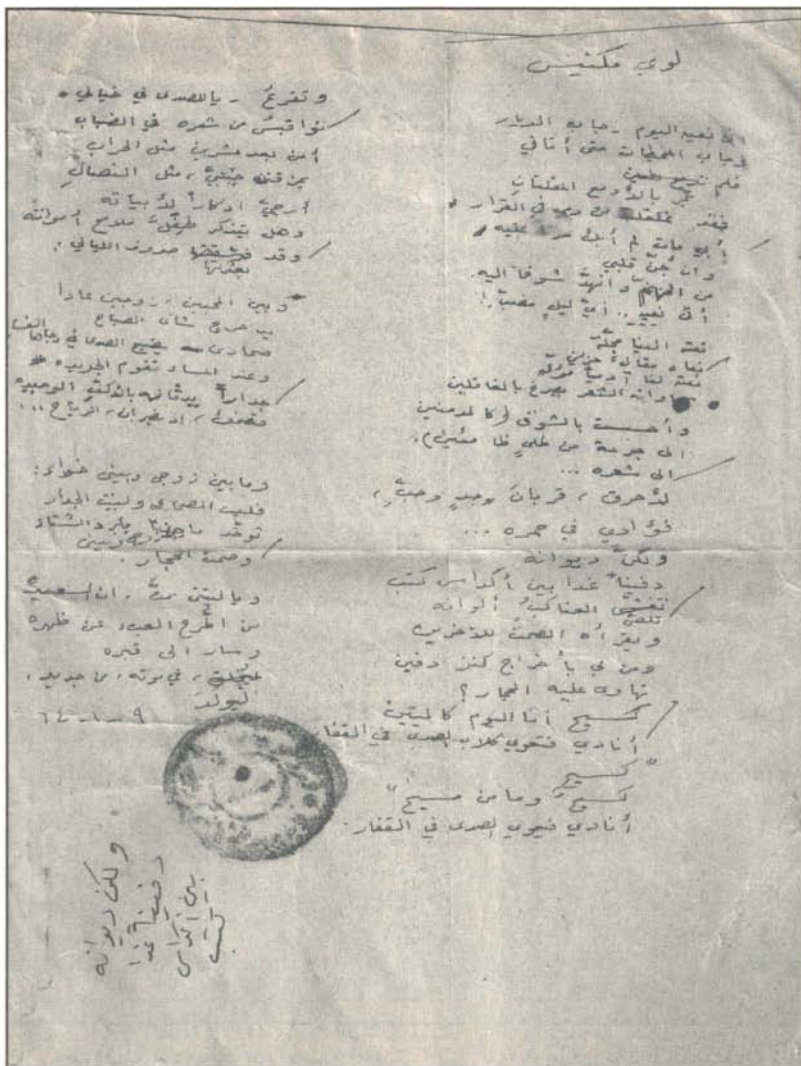
قصيدة من درم

من درم أكتبها قصيده
كالخير في آفاقه البعيدة
لادبعت النور ولا شير
يلحمه الصخر
تبيط الكفة له، يثير:
تغير في أحلامه لقصيده
يعلق بالضباب
كنخفة الرب
تضلل لغرائف الشريدة .
المأمن يوحى أوالملل
كأنها في الظلمة الظلال
تعمق الظلمة حين تنشر .
أظن ما يقال
في نفسه والله يموت عمره، يحد
ويغير .
يحيى على مكالمة ويغير

من درم أكتبها قصيده
كالخير في آفاقه البعيدة
لادبعت النور ولا شير
يلحمه الصخر
تبيط الكفة له، يثير:
تغير في أحلامه لقصيده
يعلق بالضباب
كنخفة الرب
تضلل لغرائف الشريدة .
المأمن يوحى أوالملل
كأنها في الظلمة الظلال
تعمق الظلمة حين تنشر .
أظن ما يقال
في نفسه والله يموت عمره، يحد
ويغير .
يحيى على مكالمة ويغير

درم 74/5

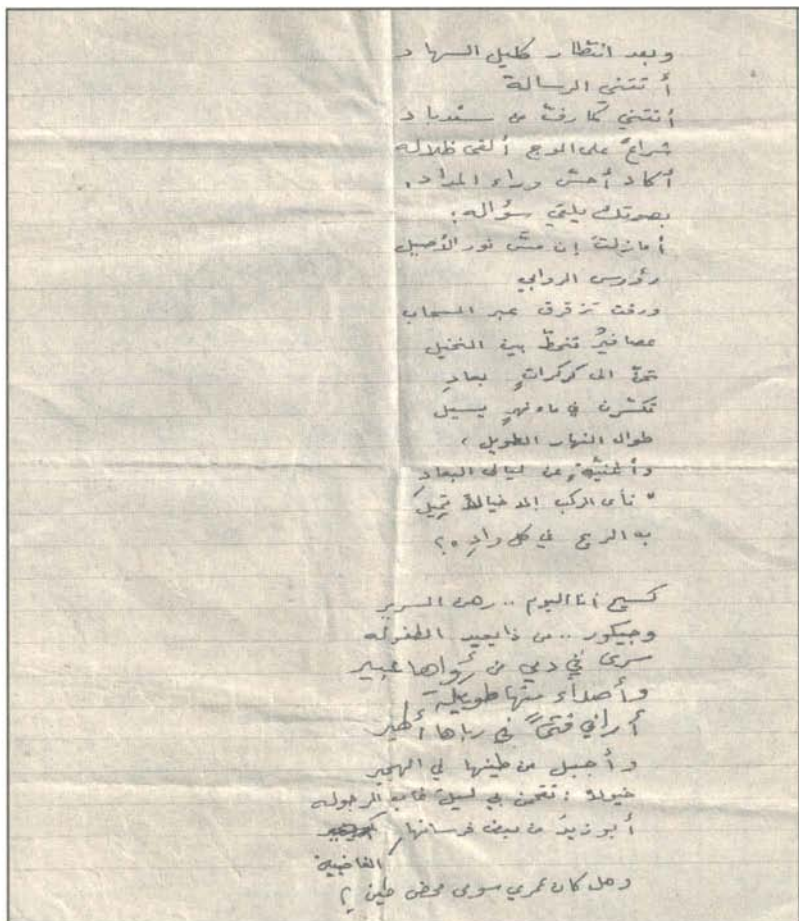
مودة من المودع ولم تكن باب الموت .. ثم رفعت أنظر الجواب لأشئ غير صدى يعود الحية في الصلة العنية في الدخيلة والطريق ففتحة الغبار عليه من كنه الصدى .. ما انتك باب يوما انتك باب في القدم ولدنا عند الدراب	كاس هو الدم في العروق كالسند هو لسان المقدس ثم فيه الحسد المبرق والنفاق لا والله لو وقف الزمان بقية قته يد الطبيب من المسيح على الصليب تاج من الدسوك يعصبه مرقى وهم صبي عالم المرقى رجيلة أهدى ساكنه مرقى لمرج يسببه الرفاق لا كليل يجه أويروا شق أسوار اللحية!
ورجيلة أضحى من خطاي كأن العبد يثقل أطوي الدروب رأستني لن نافذة قفا فيها دجبا من هناك يطول يردي صدى .. لعل صدى يرفعه الرب يطول ما يقول كأن مرقا فيه : « أهذا المسافر وانشأ باب كالرجاء	بجعة ٢٢/٤/١٥
علم رسته الذكريات كبدل عكس الضارب لأب باب يفتح والنوافذ مظلمات كاللورد بالية أنه يا دقيقة آه يا شلال دود كأب حرف القرون طوي شرا من شوالين ومعد طمار بالية أفك يا دقيقة تفتح في الخرد عابتي عالمنا وممالك المقنع بالخيال	



7- المخطوطة الأولى لقصيدة «لوي مكيس» وكما يلاحظ فإن السياب كتبها على مطروف رسالة من النوع الكبير

فنهبطها فطارت مني الترافيق بالأسرار ناعمة
 تومح النور ناعماً قوادماً ، دققت في خواصها
 ضلك الليل . أني أصلنا في حلق
 وسار بنا موشرة . زورقاً في مائه البلور ...
 وأقرأ وهي تضيء وللصباح والنخل والدعائب حاتم في دولها ؟
 تفرقة الدروب بنا نير لغير ما رجع ...
 وفيها ظلام السحب تونس ليلها ضمه
 قندك في ديك . غير أني لست أذكرها .
 كلفتها من مصر المصراحي
 وحي الدنيا على شراها في فدادين أوفندادها .
 وآخرها آه زوجهي أقدرني . كان الداء
 ليتجعي كأي من سران لولدها ؟
 دها أنا .. كوني من أعيت قبل لم تحبني
 وأنت أنت الكيفات الله لدمر الله
 إذا ما كنت الرمة للالحج ، الذي فته يطيق
 كورس من نعيم . آه هات الحبر ، رؤيتي
 ناصي على صدي ، أضحيتي
 أعيد تهديك .. أواها
 من الحرق التي رصفت قواي ، حمة اندست شراي
 أضحيتي

8- مقطع من مخطوطة قصيدة «أحيني» التي تم ذكرها في مقدمة المحقق



9. مخطوطة قصيدة «سؤال» التي أكتشفت أثناء العمل على دراسة أوراق الشاعر خلال المشروع

اقباد يا زهرتي الحبيبة
 لا تغلبي . ما اظنا يا بني
 وليلة الفخيل بالخلد
 كوفي لعنيدون ضي رطية
 وعلمية حب كل الناس
 وعلمية .. ظلمة النعاس
 احداها شك من عيوني الغريبة
 في البلد الغريب في سريري
 فتدفع الريب عن ضميري ...
 لا تحزن في ان مني امة باس
 ليدن يكون المعجزة فدي ؟
 لا تبغيني ...
 لا تبغيني
 لا ...

١٩ / ٤ / ٢٠

كوفيل يا دأنا وارحمي تحس
 وعلمية ان فخير القلب للبا نبي والنفس
 بيزيل

ان عظم الماع وبيعت طه حتى غدير

نسيم من القبر

نسيم الليل كالزخات من جيلور يا نسيم

فنبكيه

بما نفضت من فيه من رجب راسوق

تنفس تبرها لهور غنما قمرها الباني

على الأيام تهيم في تراب في شرايينه

ودور عيشه كان ديم وأعراني

هبار في ضيوط العنكبوت وأدمع المرقى

تحت بطنه

إذا كره أخطايا في ظلم المرقى ترويح
فظم أبى وما خلفك عليه

لمية في صوتا

كلح الصور يسمع فحقة الضيق

المرقى هو المرقى

تفكك منه جسمي واخنة ساق

فما مهي فليج أرواحه

لم أهرق .. إلى أفتق المربا

لذلك منه بعض ألة ماضيه الذي ليس

إذا ما برت كعطي الخفاق لي لوم هيريدني

أمارت الصدى في قبرك المنهار من دهلج مستقر

صداء .. أصيح من غيبوبة الخدير أنتقد

على ومن المشرق حين سقطت من دمي سفا

ومن لمحبي أمارت الصدى في قبرك المنهار

وكم ناديت في أيام سهدي ظفد أو ليليه

أيا أمي تملك فاعسى ساقية واشتقي

بنة الشبيخ والغربان تلعب من طوى فيه

وبنة سريرة المبتل حتى القاع بالذمار

وقدك شهدر الذنار

وتغضب البجار إلى القمار تخضها الذمار

...

أما حلت اليك الريح كبر كسنة الليل

بكار هفيدتلك من الطوى وعفدك الجوان

لقد جحنا في صمت هملنا البرق والحرمان

ويهلك سرا الأطفال يتحبون من دبل

أخي الوطن الذي آراك موع ألبا أزمان

توتق أعين الذموات؟ لدمهم والدمير

هيمها زجاج للرافد منق اللؤلؤ

هالك لكل شية منزل بالليل

بالنجم صمور

الحمد لله الذي جعل



الشطراومة الأصيل^{لحوت} نضى على وطن^{لحوت} يمين^{لحوت}
وأناه بعد المد^{لحوت} من^{لحوت} فهو موهون^{لحوت} كليل^{لحوت}
الماء غادر^{لحوت} جانبا^{لحوت} وراح^{لحوت} زرقاء^{لحوت} زينبا^{لحوت} التليل^{لحوت}...

باتين طوفي واسمي^{لحوت} فطال^{لحوت} الشط^{لحوت} الجليل^{لحوت}
واسمي على تيج^{لحوت} الميا^{لحوت} سما^{لحوت} السهم^{لحوت} لبيل^{لحوت}
فها سراع^{لحوت} فاق^{لحوت} الـ... حجاب^{لحوت}ات^{لحوت} كقبة^{لحوت} الأصيل^{لحوت}
وصلة^{لحوت} صارية^{لحوت} تلح^{لحوت} ع^{لحوت} وتم^{لحوت} تيداف^{لحوت} يحول^{لحوت}
وعلى^{لحوت} السماء^{لحوت} نلولة^{لحوت} هراء^{لحوت} نشرها^{لحوت} الذقون^{لحوت}
هراء^{لحوت} تيداف^{لحوت} في ضل^{لحوت} ع^{لحوت} أكون^{لحوت} نار^{لحوت} لا تزدل^{لحوت}

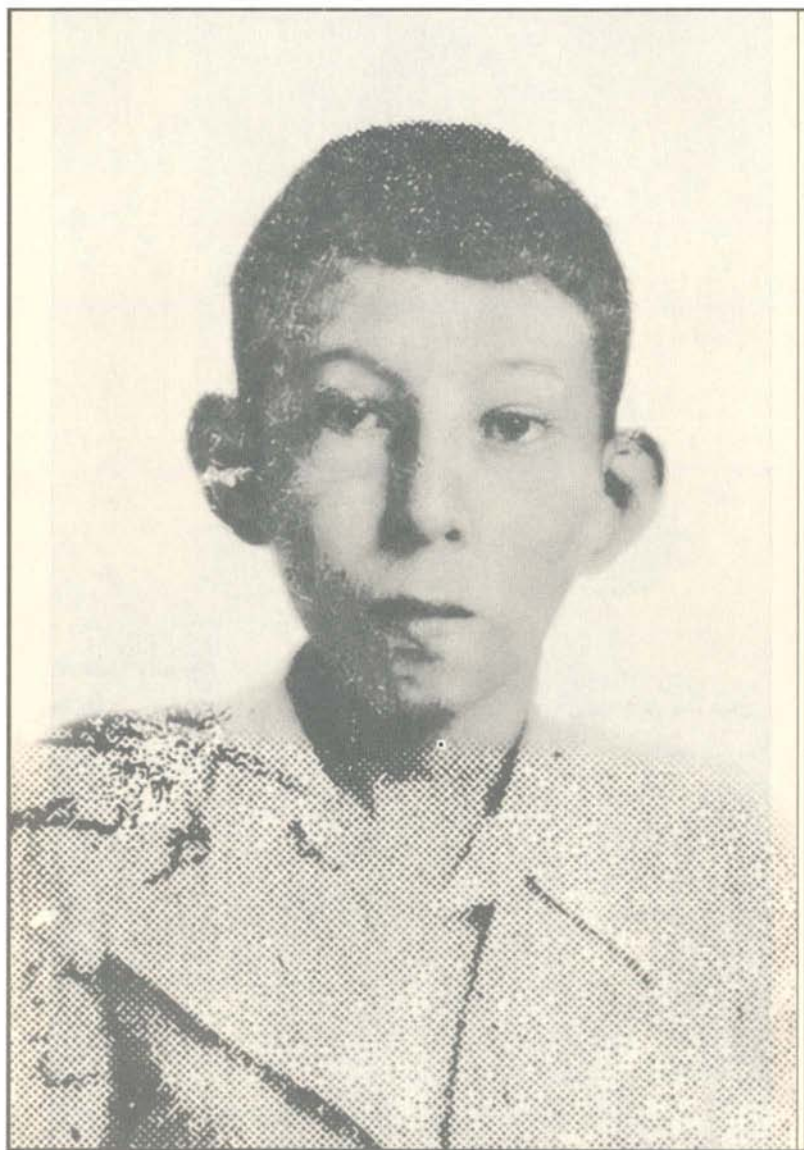
الحند

لترجي^{لحوت} يابن^{لحوت} القارع^{لحوت} والتمنا^{لحوت}
للمشقة^{لحوت} بل^{لحوت} ولصاف^{لحوت} شلمانا^{لحوت}
لترجي^{لحوت} والشعر^{لحوت} فراح^{لحوت} أصناف^{لحوت}
أفصح^{لحوت} الله^{لحوت} على^{لحوت} ناي^{لحوت} سلك^{لحوت} الظلم^{لحوت}
ملك^{لحوت} الخيل^{لحوت} المدم^{لحوت} بفق^{لحوت} قهنا^{لحوت}
والواقع^{لحوت} المر^{لحوت} أتي^{لحوت} وأجنا^{لحوت}
عذرا^{لحوت} ولت^{لحوت} بعد^{لحوت} راي^{لحوت}
كالجرح^{لحوت} على^{لحوت} وفيه^{لحوت} الله^{لحوت} طمانا^{لحوت}
والجرح^{لحوت} النار^{لحوت} داف^{لحوت} نل^{لحوت} أتم^{لحوت} نص^{لحوت}
والمشقة^{لحوت} بل^{لحوت} ولصاف^{لحوت} شلمانا^{لحوت}
لترجي^{لحوت} والشعر^{لحوت} فراح^{لحوت} أصناف^{لحوت}
أفصح^{لحوت} الله^{لحوت} على^{لحوت} ناي^{لحوت} سلك^{لحوت} الظلم^{لحوت}
ملك^{لحوت} الخيل^{لحوت} المدم^{لحوت} بفق^{لحوت} قهنا^{لحوت}
والواقع^{لحوت} المر^{لحوت} أتي^{لحوت} وأجنا^{لحوت}
عذرا^{لحوت} ولت^{لحوت} بعد^{لحوت} راي^{لحوت}
كالجرح^{لحوت} على^{لحوت} وفيه^{لحوت} الله^{لحوت} طمانا^{لحوت}
والجرح^{لحوت} النار^{لحوت} داف^{لحوت} نل^{لحوت} أتم^{لحوت} نص^{لحوت}
والمشقة^{لحوت} بل^{لحوت} ولصاف^{لحوت} شلمانا^{لحوت}

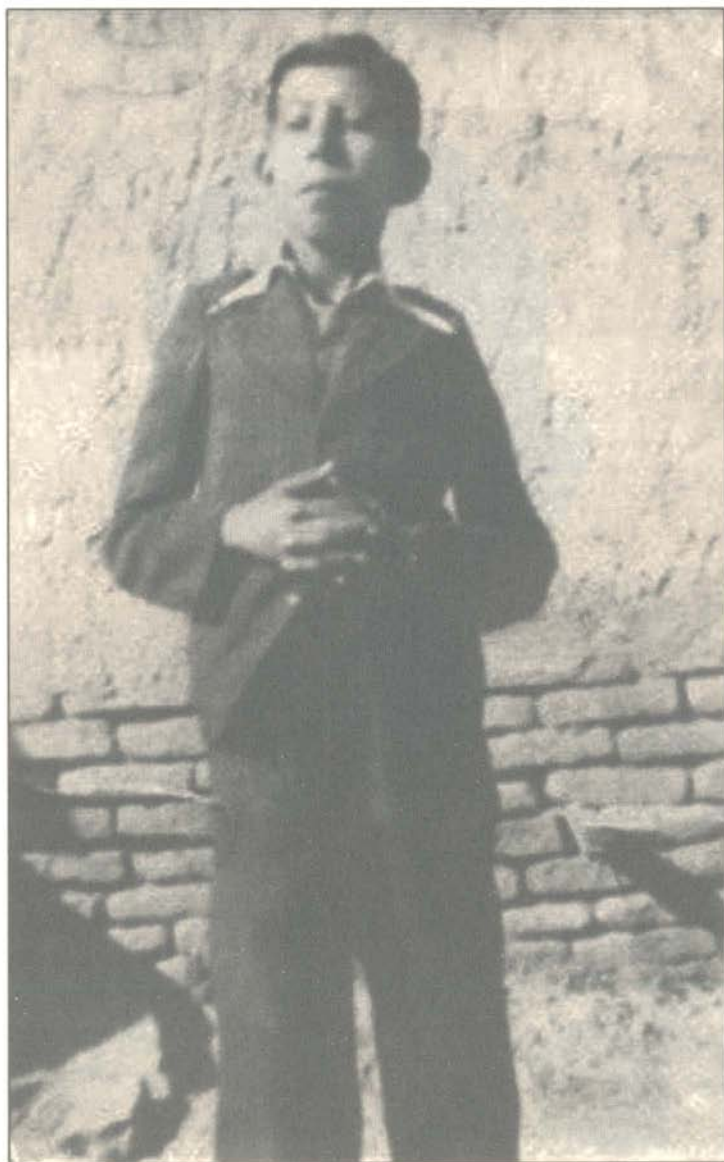
13. صفحتان من دفتر الذي ضم قصائد ديوان «قيثارة الريح»

ملحق (4)

صور ووثائق



1. السياب في عام 1934



2- أول الصبا



5. نشرت هذه الصورة في الطبعة الأولى لديوان «أساطير»



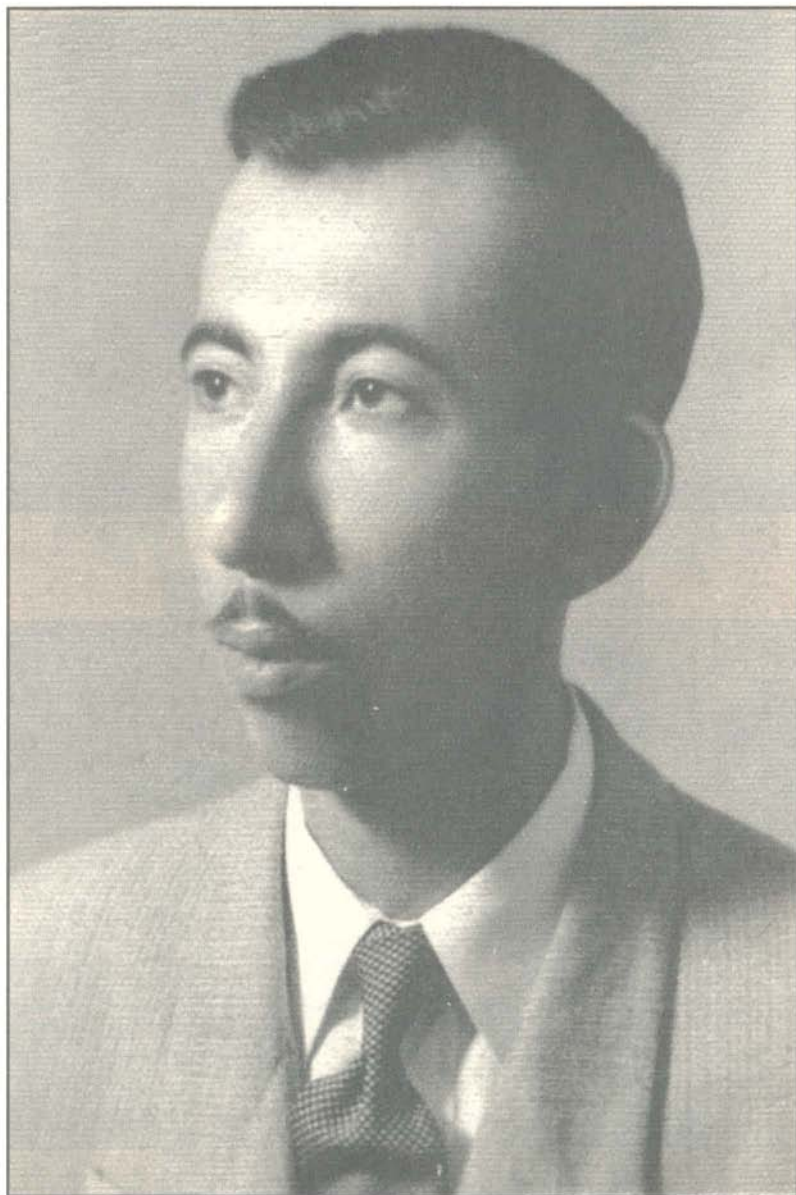
6- «على الشاطئ أحلامي... طواها الموج يا حبّ»



7 - ملقياً قصيدة في إحدى المظاهرات ببغداد



8 - مع نازك الملائكة وباقي زملائه في دار المعلمين العالية



9- كتب المصور في ظهر الصورة التاريخ التالي 18 / 7 / 1954



10 - دَوْن في ظهر الصورة: 19-9-1959



11 - مع القاصّة الفلسطينية سميرة عزام وآخرين حيث كان السيّاب يعدّ المجلة الثقافية
الإذاعية عام 1956



12- خلال مناسبة أدبية في بيروت ويبدو على يمين السياب الشاعر أدونيس



13- مع غيلان في بيروت



14 - مع الشيخ محمد بهجت الأثري



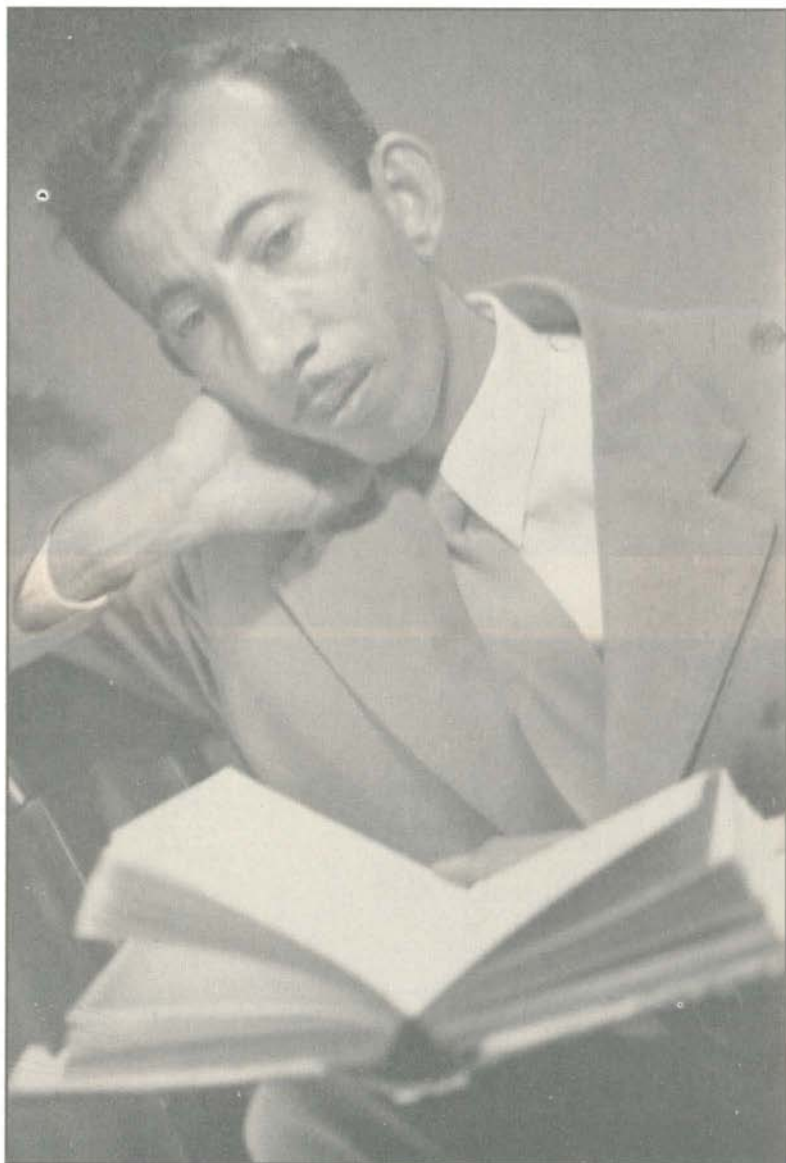
15 - في مناسبة عامة، لم يُكتب شيء في ظهر الصورة



16 - مع عبد الرزاق محي الدين



17 - مع توفيق صايغ وجبرا إبراهيم جبرا



18. «رُبّ فتى مُورِّدٍ/ يقرأ من شعري على الصحابِ/ يقرأ في كتابي/ قصيدة خضراء
عن جيِّكُورٍ/ غافية تحت غصونِ النورِ/ تحلم بالسحابِ»



19 - كتب السياب في ظهر الصورة: مساء 17 تموز 1961



20 - «مِنْ مُقْلَتَيْنِ عَلَى الطَّرِيقِ، وَمُقْلَتَيْنِ عَلَى كِتَابٍ»



21- مع الكابتن أحمد سعد معاون رئيس القسم البحري في مديرية الموانئ العراقية حين كان السياح يكتب في مجلتها



22- «في شحوب دامع، فيه ابتسام...»



23- من أرشيف فؤاد طه العبد الجليل



24- غيلان بدر شاكر السياب وشقيقته غيداء



25- «كيف حالي، في غد، إن قال أصحابي وداعاً؟!»



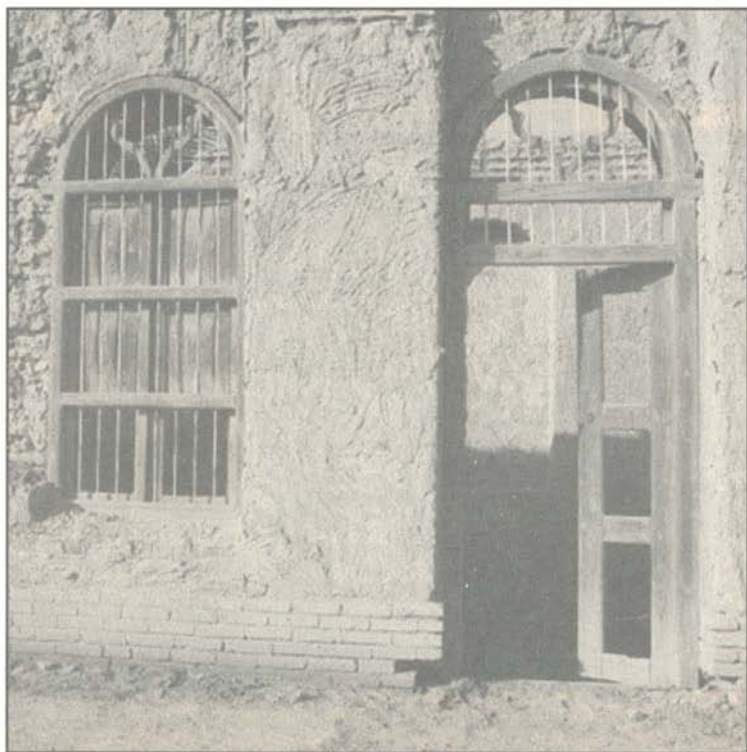
26- «من مرضي، من السرير الأبيض...»

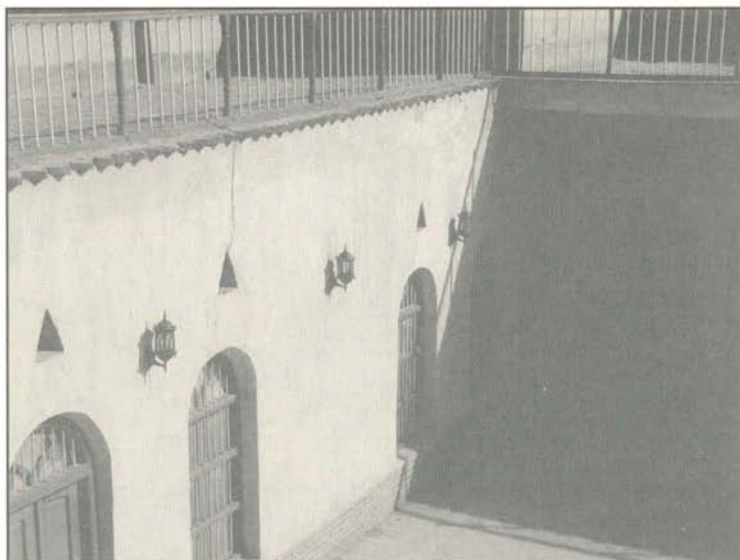


27 - في أيامه الأخيرة وأوراق الشعر لا تفارقه

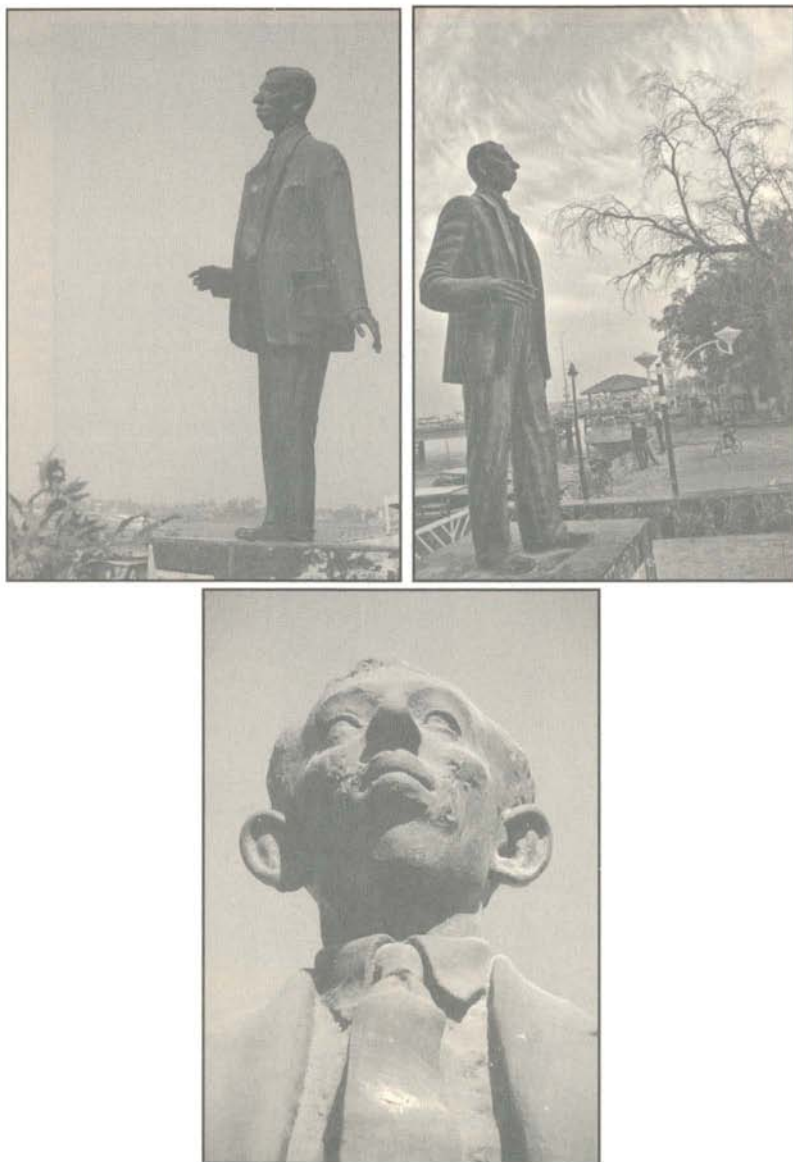


28 - طابع بريدي صدر في العراق عام 2002

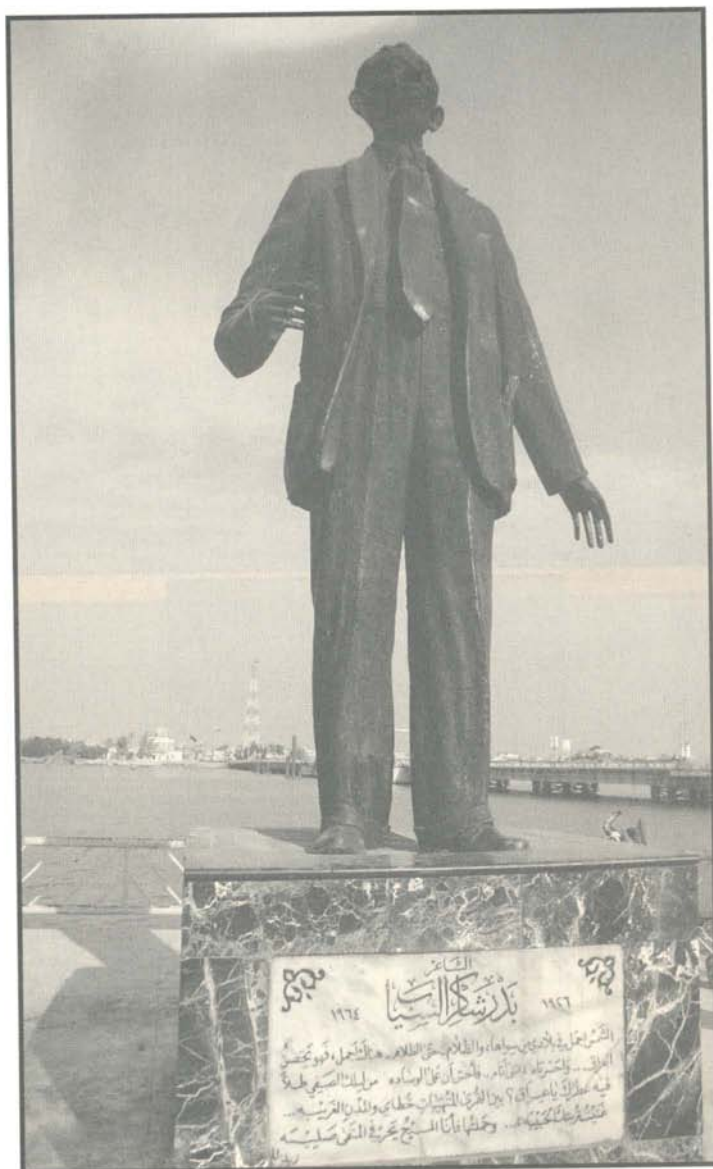




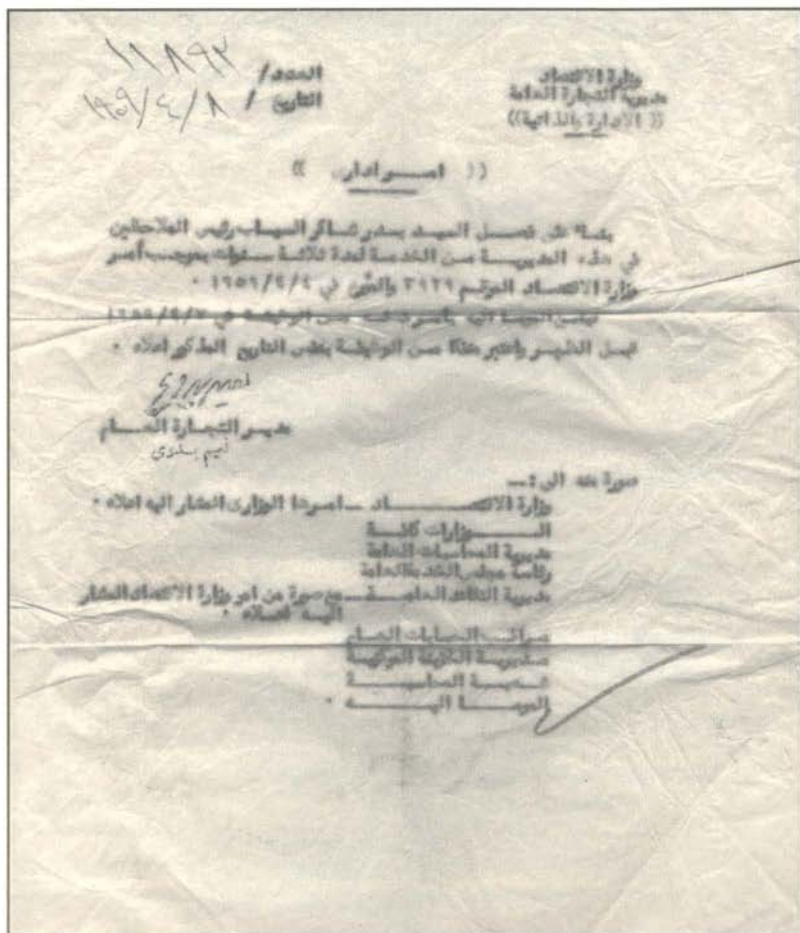
29- بيت الشاعر بدر شاكر السياب وقد كُتِبَ عنه قصيدته المعروفة «دار جدي»
والصور تبين المكان قبل الترميم الذي أجرته الحكومة العراقية وبعده.



30- تمثال السياب، مدخل شارع الكورنيش في العشار- البصرة، للنحات نداء كاظم، وقد أزيح الستار عنه عام (1971). فوتوغراف: أحمد محمود



31- تولد الشاعر في اللوحة التعريفية (1926) وهو التاريخ الشائع الذي بينا عدم صحته



32. كتاب فصل السياب من وظيفته في وزارة الاقتصاد العراقية عام 1959 وهذا نص الكتاب:- وزارة الاقتصاد مديرية التجارة العامة (الإدارة والذاتية) التاريخ 8/4/1959 (أمر إداري) بناءً على فصل السيد بدر شاكر السياب رئيس الملاحظين في هذه المديرية من الخدمة لمدة ثلاثة سنوات بموجب أمر وزارة الاقتصاد المرقم 3929 والمؤرخ في 4/4/1959 تبليغ الموصى اليه بأمر فصله من الوظيفة في 7/4/1959 قبل الظهر واعتبر منفكاً من الوظيفة بنفس التاريخ المذكور أعلاه



الأستاذ بيم

الصلحة الوفاي - العراق

الموضوع استحقاق معاش

نظرا لتوفر شروط المقررة (١) - (ج) من المادة الأولى وشروط المقررة (١) من المادة السادسة عشرة من قانون صندوق التقاعد رقم ١٢٢ لسنة ١٩٥٩ يا السيد مدير شاكل الحساب فقد صادفنا على استعادة الملاكات استلامية التي تسلمها الهيئة السيد من مديرية التقاعد العامة والمالية - ٤٦/٥٤٦ خمسة وستة واربعين دينارا عن خدمته المسجلة في كل من المعارف وزارة التجارة الهيئة ذات صلبها ادناه والباي لسنة مباح بها عشرة سنوات وستة اشهر وثلاثة ايام على ان تحسب عليها الفوائد بنسبة ٥% اعتبارا من ١٩٦١/٨/٤ - يرجى تأييد استحقاقه عنه حقة واحدة او استقطا عنه بما لا يقل عن ٢٥٠ من راتبه ان لم يندمها حقة واحدة اعتبارا من الشهر الحالي وارسل الى المبالغ الباقي على ان تسجلوا المدة المتوقعة عنها كخدمة للتقاعد للمدة السيد في جدول خدماته واحوال الموظفين عند تسديده المبلغ المذكور با جمعه وسيد اليكم دفتر الدخوس والخدمة واجبين الشكر با لاستلام

المرفقات /

دفتر الدخوس

دفتر الخدمة

تولده ١٩٢٧ بلوغه الثلاثة عشرة في ١٩٤٥/٧/١

الوظيفة	المرحلة	الخدمة	الملاحظات
المرحلة	الخدمة	الخدمة	الملاحظات
١٩٤٨/١٠/٢	١٩٥٩/٤/٦	٣ ٦ ١٠	بجانب يدون راتب
٣ ٦ ١٠	٣ ٦ ١٠	٣ ٦ ١٠	عشرة سنوات وستة اشهر وثلاثة ايام

المدير العام
عبد الأمير المراذي

صورة منه الى /

مديرية التقاعد العامة - للمعلم -

وزارة التجارة

الحوا اليه يتوصل بصلحة الوفاي - العراقية - ليرجى دفع المبلغ المستحق عليهم حقة واحدة الى حاسبة ذلك

34- 1961، صندوق التقاعد يسترجع المكافأة التقاعدية من الشاعر، يلاحظ في هذه الوثيقة الهامة هامش يبين تولد الشاعر: «تولده 1927 بلوغه الثانية عشرة في 1945/7/1».

Telephone No.: MUSEUM 202/4
Telegrams: SOASUL, PHONE, LONDON

SCHOOL OF ORIENTAL AND AFRICAN STUDIES,
UNIVERSITY OF LONDON, W.C.1

RES/JS/664

July 19, 1961

Dear Mr. Sayiab,

Thank you for your letter of the 7th of July
and your application for admission to the School.

I regret that owing to the very great pressure
on our places at the School I cannot accept any more
research students for the session 1961-62. I could, however,
consider you for the session 1962-63 if you are interested
in coming in a year's time, and I shall retain your
university transcript pending a reply from you.

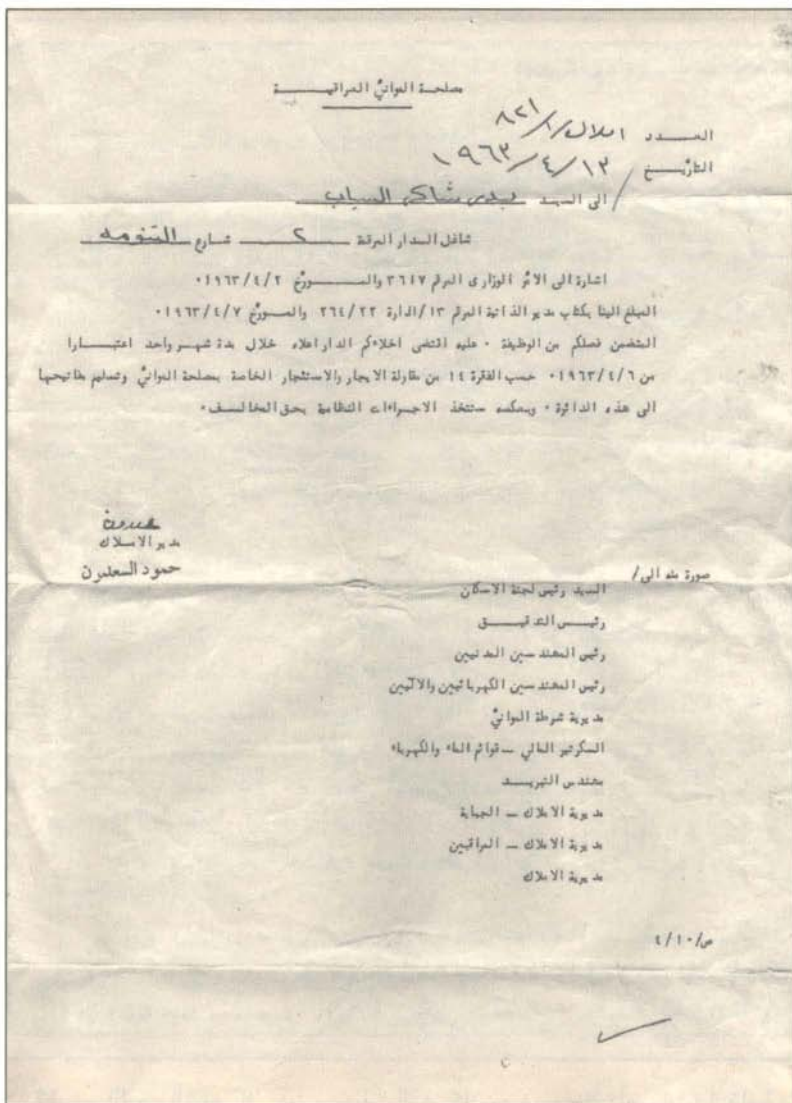
There are two points which I should mention here.
Firstly, I do not think I could consider a thesis on
Contemporary Arabic Poetry as there are already several
students who have worked or are working on this subject.
I should prefer that you work on a classical theme, though
I do not rule out a modern subject. The second matter is
that it is essential to polish up your English to the
highest possible level in order to pass even the
qualifying examination which you would have to take.

I am sorry to have to refuse your application
for the present but I have unfortunately no alternative.

Yours sincerely,

R. B. Serjeant
(R. B. Serjeant)

Badir Shakir Al-Sayiab,
c/o Transport Dept.,
Iraqi Ports,
Margil,
Basrah, Iraq.



البصرة في ١٤ - ٢ - ١٩٦١

أخي الاستاذ دينيس جونسون - ديفيز

حصل اليك البريد العدد الأول من مجلتيك الرائعة «أصوات»
لأنه تحفة من حيث الأخراج (الشكل) ومن حيث المواضيع أيضاً
وكذلك في بعض الملاحظات التي قد ترون فيها بعض الروايات وقد
لقد ترون .

١ - ألترون أن مجلتي (١٢٨) صفحة مع التعليقات من هذا القطر

صغير بالنسبة إلى كونها فصلية Quarterly ؟

٢ - لنسأل : ماهي الغاية من إصدارها ؟ هي تعريف القارئ
العربي بالأدب الانكليزي المعاصر - بصورة خاصة - وبالأدب الحديث
بصورة عامة . هذه هي الغاية الرئيسية . وقد حقق هذا الهدف
في مواضيع عدة : د. هـ . لورانس ، أربع سوناتات لكبير كتّاب
عرب في الأدب الفرنسي . وأما في باب الكتب .

هنا لا تروهم فيما نشرته على الأدب الانكليزي : مقالات
عن الصحائف الحديثة في الشعر والرواية والقصة . بعض المقامات
الترجمة على الشعر الانكليزي المعاصر .

٣ - كان يودعوا هذا المقال عن بيكاسو . لكن جهة
سياسية معينة تدعي به وتتفاخر . لذلك - وأنت في لندن -
لقد تمسكت بما تحس به من هذا الصراع الضيق بين فلسفتين : مادية
وسياحية فنيوية وما يتبعها من أدب وفن وسياسة الخ . وسيا
أنت ملتزم بهذه المبادئ لأن الطرف الآخر يلتزم بها أيضاً
يسحق الرئاء .

وكذلك لنفهم صفحا من هذه الملاحظات البسيطة ، لأقول
أنت تسمى التهنئة على هذه المجلة الممتازة ، التي يغير لذيذ
لأن انتاجه مشهور فيها ، ويغير القارئ بأنه يقرأها .

37 - رسالة من الشاعر الى دينيس ديفيز الذي كان يصدر مجلة «أصوات» الثقافية
الفصلية في الستينات

والدولة برئيس تحريرها ان يتغير بها .

هناك احتمال بان ازرر لندن وأبقى فيها سنة كاملة للدراسة.
لقب واخفت جمعية الثقافة المرة التي تصدر مجلة *Encounter*
على معنى زمالة دراسية لمدة عام أقتضيه في لندن . بقي
ان توافقوا داتريكي - وجبل الزمان باعتبارها السلطة العليا
قوى كل دائرة - على معنى هذه الزمالة . بحيث ان يدفعوا
لها كلتي - خلال مدة دراسي - نصف راتبتي .

للتعب اذا قلنا لك ان ليس لي في البنك من صابه . ولا
في دوائر البريد . ولدي البيعة ولدي اي مكان . اما عمري
فقد تغير وأصبح :

Traffic Dept. ← D. G. of Iraqi Ports →
Maqil - Basrah
Iraqi Republic.
Badr Shakir Al-Sayab

هذا و ارجو لكم التوفيق والنجاح في مشروعكم الجليل ودم لكم

محبة

بدر شاكير

صوت العرب - العدد ٤ - التاريخ ١٢/٨/١٩٦٤

اخطار

الى السيد بدر شاكر السياب
رئيس ملاحظين مصلحة المواني العراقية

بناء على انتهاء اجازتك المرضية وتغيبك عن العمل
منذ يوم ١٩٦٤/٧/٩ فاننا نخطرک بهذا بوجوب التحاقك
بالوظيفة خلال مدة ثلاثون يوما من تاريخ نشر هذا الاخطار
وبعكسه فسوف تعتبر مستقيلا من الخدمة استنادا الى احكام
الفقرة (٢) من المادة ٣٧ من قانون الخدمة المدنية رقم ٢٤
لسنة ١٩٦٠.

المدير العام

لمصلحة المواني العراقية
اللواء الركن عبدالعزيز العقيلي
٣-٣ ح ١٥
صوت العرب - العدد ٤ - التاريخ ١٢/٨/١٩٦٤

38 - إخطار بالإقالة من الوظيفة قبل أربعة أشهر من وفاة الشاعر

"كتب السياب عشر قصائد، على الأقل، هي بين أجمل القصائد العربية التي كتبت، منذ خمسينات القرن الماضي حتى اليوم. هذا يكفي لكي يبقى. وهذا يكفي لكي أحبه".

أدوينس

"أما السياب، فكان متمرداً من أجل رؤيته المتميزة المشفوعة بفهمه الخاص للتاريخ والانسانية، كما بفهمه للغة ذاتها وإمكاناتها التعبيرية. فكان جزاؤه جزاء كل متمرد: لا بد من موته بشكلٍ ما، قبل أن تنتبه الأمة الى عبقريته ودوام حضوره. غير أن السياب، إذا كان قد خسر الدنيا إبان سنيته القلائل من العمر، فقد كسب أولاً نفسه، ثم كسب معها ذلك الخلود الذي لا يتيسر في كل عصر إلا لعدد صغير من الأفراد".

جبرا إبراهيم جبرا

"السياب ما يزال هاجساً بالنسبة لي، وقصائده ما تزال تشدني وتثير في غابة من الأسئلة".

سركون بولص



ISBN 978-9-9226348-2-1



9

789922

634821

www.daralafaidain.com
info@daralafaidain.com
daralafaidain
dar.alafaidain
دار الرفدين